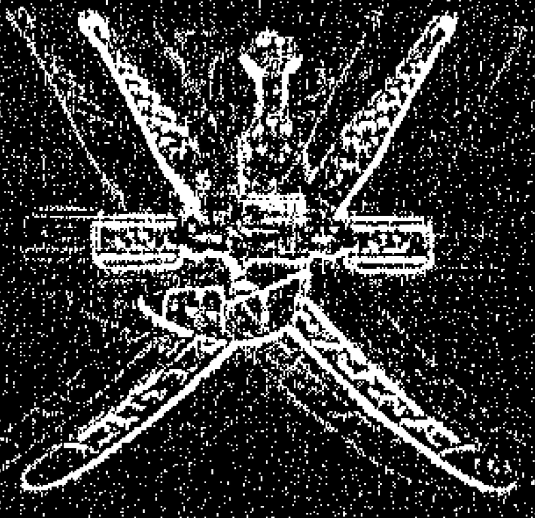
سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة



كتاب
تمهيد قواعد الإيمان
وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان

من تصنيف
الشيخ العلامة
أبي محمد سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي

الجزء الأول

١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م

سلطنة عمان
وزارة التراث القومي والثقافة

كتاب
تمهيد قواعد الإيمان
وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديان

من جوابات
الشيخ العالم العلامة
أبي محمد سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلي

١٤٠٧ هـ — ١٩٨٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقــــدمة

قيــد بســـــفر قواعــد الايمـــــان
لشـــــوارد الأحــكام والأديـــان

وارسب ببحــر العــلم تلق جواهــرا
تحشــــــو بهــن مســــــامع الآذان

واستجلى للأنــــوار من أنــــواره
تجلو بهــن غشـــــاوة الأذهــان

واجعــله ســلطانا الى ســبل الهــدى
تقمــع به لغـــــواية الشــــيطان

وأعظم بجامعنـــــا الكبــير فانـــــه
علــم الهــدى ودلالـــة الحـــــيران

تجـــدن بـــه ما شئت من حــكم ومن
حــــكم ومرفقــه ومن تبيـــــان

فالثم شـــذى أزهـــاره واقطــف جنى
أثمـــــاره وارتـــع بروض بيـــان

ســفر هو البحــر المحيط فغص بــــه
تظفــر بنيـــل الـــدر والمرجـــان

فالـــدر فى أســـدافه كالـــدر فى
أصــــدافه فانعـــم بدر معـــــان

واللؤلؤ المكنون فيه وفيضه
من بحر فكر العالم الربان

ذاك ابن خلفان سعد المرتقى
قصب العلى والسبق فى الميدان

قد أتقن السفى صيغة وضعه
ناهيك من وضع ومن اتقان

أهداه سفرا بيمين سطوره
عن لؤلؤ متنظم وجمان

يهدى بغرته الأنام فأرخوا
عزا بفضل قواعد الايمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى مهد بحكمته للعالمين ، قواعد شوارد الاسلام ، وبين للمبصرين برحمته فى خلال صفات كتابه العزيز المبين ، معالم الحلال والحرام ، ليهتدوا بنور العلم الى توحيده ومعرفته وتفريده ، فسبحانه من حكيم علام ، ألهم العلماء تأويل كتابه ، وأتقنهم تحقيق صوابه ، ففضلهم بالعلم على سائر الأنام ، وأذن لهم فى استنباط آياته من محكمات كتابه ، ومتشابهاته ليقتدوا بها على القياس فى أحكام ، وجعل اختلافهم فيه منه رحمة فيما كان من طريق الاجتهاد ، ونعمة فيا لها من نعمة لا ترام •

وأودع العارفين لطائف ستره فهم أهل الحضرة والالهام ، ووفق العالمين لخدمته فهجروا لذيذ المنام ، وأذاق المحبين من كأس لذة قربه ، وحلاوة مناجاته ، فحين جعلهم من خواصه ، هانت عليهم مفارقة العوام ، وأيقظ عيون قلوب العاشقين ، لما هب عليهم نسيم المكاشفة فى خلوة المعاملة ، فهم منها بواد المحاضرة فى حبه هيام •

أحمده سبحانه وتعالى على ما منحنا من جزيل الانعام ، وأشكره إذ هدانا الى سبيل دين أهل الاستقامة من الاسلام ، وأنزهه عن قول الملحدين ، وما خرقوا له فى افكهم من بنات وبنين ، فسبحانه عن أن تكيفه مدارك العقول والأفهام ، وتعالى عن الأنداد والأضداد ، والكمية والكيفية والتحديد والتجسيم والانقسام •

صنع المصنوعات بحكمته ، وأقام الموجودات بوحدانيته ، ودبر الكائنات بلا واسطة فى أحكام صنعها ، فلا مساعد له ولا معين ، بل هى حكمة بالغة فلا نقض فيما أحكمه ولا إبرام ، بسط البسيطة

للأنام على لجة المـــاء ، ورفع الســـماء بقدرته على الهواء بغـــير عمد ولا قـــوام •

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة أدخرها ليوم القيـــام ، وأشـــهد أن محمـــداً عبده ورســـوله امـــام كل امـــام ، صلى الله عليه وسلم صـــلاة وســـلاما يتجددان لـــه على الـــدوام ، وعلى آله وأهل بيته وأصحابه السادة الأعلام •

أما بعـــد :

قال العبـــد الفقـــير ، مؤلف الجـــامع الكبير ، المعترف بالذنـــب والتقصير ، المرتجى من ربه العلى الكبير ، غفر المساوى والآثام :

لما كان علم الشريعة أشرف العلوم وأنفعها ، وأعلاها قدرا وأرفعها ، مع أنه أعلق بالذات عما جـــري فى اللهوات ، وانطـــوى فى الصفحات ونمق بالأقلام ، وان آثار الشـــيخ العالم النحرير الفاضـــل المحقق المدقق سيدى أبى محمد سعيد بن خلفان الخليلى الخروصى من أصح الآثار ، وأسفاره من أوضح الأسفار ، لمـــا ألهمه الله تعـــالى من بصيرة والهـــام ، ولـــم يعتن بهـــا أحـــد أن يجمـــع ما نثره فيهـــا من دره المصون ، وأظهره بها من جوهره المكنون ، أن ينظمه فى سلك نظام التركيب على عقـــد قانون الترتيب بأوضح تأليف وأحسن نظام •

كنت قد جمعت منها كتابا ، وسميته (الجـــامع الصغير لكتـــاب تمهيد الايمـــان وتقييد شوارد مســـائل الأحكام والأديان) من جوابات الشيخ العلامة سعيد بن خلفان ، لـــكن جـــاء غـــير مستوعب المسائل والأبواب ، ولم يفهم دليـــل القول فيه من لحن الخطاب ، ولم يشتمل على كيفية النهاية والاتمـــام ، عَنّ لى أن أجمـــع غيره منهـــا كتـــابا وأؤلفه أبوابا ، ليسهل على المطالع إن أسفرت منه المطالع ، وان أضيف

اليــه ما شذ من آثاره ، وأضم معها ما تشتت من مسائله وأسفاره ، لكى يتحصل فهمه لذوى البصائر والأفهام ، فحيث وجدت معنيين فى مسألة ، ولم تفترق ألفاظ تلك المعانى منها ، لنضع كل معنى فى بابه ، أتينا به فى بـــاب كل معنى منهـــا لئلا يتوهم الناظـــر أن ذلك التكرار لا فائدة فيـــه فى تلك الأبواب والأقسام •

وسميته (الجامع الكبير لكتاب تمهيد قواعد الايمان وتقييد شوارد مسائل الأحكام والأديـــان) فأشرقت أعلامه على كل الأعلام ، وقـــد ذيلنا بعض مسائل هذا الكتاب بأجـــوبة نسج طرتهـــا ، وأبرز للمبصرين غرتهـــا ، السيد الجليل أبو نبهـــان رضوان الله عليه ، توضيحا لمـــا أبهمه شيخنا الخليلى من لبس وابهام ، فجاء بحمـــد الله كتـــابا يسر الخاطر ، ويبهج بـــرؤيتـــه الناظر •

والله أستمده واستهديه ، ومن فيض سبب جوده وحسن رعايته أستوهبه واستجديه ، وأسأله أن يغفر خطيئتى يوم يؤخـــذ بالنواصى والأقـــدام ، وأستمنحه الهداية والتوفيق ، والسلوك الى أقوم طريق ، لأنه ولى الفضـــل والانعـــام ، يهب ما شاء لمن يشـــاء من الأنـــام ، تبارك اسم ربك ذى الجـــلال والاكرام •

بـــــاب

فى العلم وفى طلب العلم وفى العلم النافع وفى خلق القرآن والناسخ والمنسوخ منه وشواهدها من كتـــاب الله تعالى

قوله عز وجل : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمـا بالقسـط) فانظـر كيف بدأ سبحانه وتعـالى بنفســه ، وثنى بالملائكة ، وثلث بأهـل العلم ، وناهيك بهذا شرفا وفضــلا وجـلاء ونبـلا ، وقال الله تعالى : (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العـلم درجـات) •

قال ابن عباس رضى الله عنــه : للعلماء درجـات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ، ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام •

وقال الله عـز وجـل : (قل هل يسـتوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون) وقال تعالى : (انمـا يخشى الله من عبـاده العلمـاء) وقال تعالى : (قل كفى باللـه شـهيدا بينى وبينكـم ومن عنـده علم الكتاب) وقال تعالى : (وقال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به) تنبيهـا على أنه اقتدر بقوة العلم •

وقال عز وجـل : (وقال الذين أوتوا الكتاب ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا) ان عظم قدر الآخـرة يعلم بالعلم ، وقال تعالى : (وتلك الأمثـال نضربهـا للناس وما يعقلهـا إلا العالمون) وقال تعالى : (ولو ردوه الى الرسـول والى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) رد حكمه فى الوقائع الى استنباطهم ، والحق رتبتهم برتبة الأنبيـاء فى كشف حكمه الله •

وقيل فى قول الله تعالى : (يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسـا

يوارى سـوءاتكم) يعنى العلم (وريشـا) يعنى اليقـين (ولبـاس التقوى) يعنى الحيـاء ، وقال عز وجـل : (ولو جئنـاهم بكتـاب فصلناه على علم) وقال تعالى : (فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) وقال عز وجل : (بل هو آيات بينات فى صـدور الذين أوتـوا العلم) وقال تعالى : (الرحمن • علم القرآن • خلق الانسـان علمه البيان) وانما ذكر ذلك فى معرض الامتنـان •

وأما الأخبار الواردة عن النبى المختـار : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من يرد الله به خيرا يفقهه الدين ويلهمه رشـده » وقال صلى الله عليه وسلم : « العلماء ورثة الأنبيـاء » ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبـوة ، ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة •

وقال صلى الله عليه وسلم : « يستغفر للعـالم ما فى السـموات والأرض » وأى منصـب يزيد على منصـب من يشـتغل ملائكـة السموات والأرض بالاستغفار لـه ، فهـو مشغول بنفسـه ، وهـم مشغولون بالاستغفار له ، وقال صلى الله عليـه وسلم : « ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك » ، وقـد نبـه بهـذا على ثمـرته فى الدنيـا ، ومعلوم أن الآخـرة خـير وأبقـى •

وقال صلى الله عليه وسلم : « خصـلتان لا يكونان فى منـافق : حسن سمة وفقه فى الدين » ولا تشـكن فى الحـديث لنفاق فقهـاء الزمان ، فانـه ما أراد به الفقـه الذين ظننتم • وقال صلى اللـه عليه وسـلم : « يوزن يوم القيامة مداد العلماء بـدم الشـهداء » وقال صلى الله عليه وسلم : « أوحى الله عز وجل الى ابراهيم عليه السـلام يا ابراهيم انى عليم أحب كل عالم » ، وقال صلى الله عليـه وسلم : « صـنفان من آمتى اذا صلحوا صلح النـاس واذا فسـدوا فسـد النـاس » •

وكثير من الأخبار والآثار ما ورد عنه عليه السلام فى فضيلة العلم ، وناهيك به شرفا وفضلا ما أورده الله فى كتابه العزيز من مدح العلماء وعلو شرفهم ، حيث عظمهم هذا التعظيم بفضل العلم ، وجمعهم معه ومع الملائكة فى الشهادة على وحدانيته وعدله ، حيث استنبطوا من كتابه العزيز الحجج الساطعة ، والبراهين القاطعة ، وهم علماء العدل والتوحيد ، الذين حظهم ورثة أنبيائه ، والقوام بالعدل فى أرضه ، وهم علماء الآخرة لا علماء السوء المبتدعين •

وقال النبى عليه الصلاة والسلام : « علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل » وقال عليه الصلاة والسلام : « علماء أمتى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » وقال عليه الصلاة والسلام : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » وقال عليه الصلاة والسلام : « تعلموا العلم فان تعليمه لله خشية ، وطلبه عبادة ، والبحث عنه جهاد ، ومذاكرته تسبيح ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهله قربة » لأنه معالم الحلال والحرام ، وهو منار سبيل أهل الجنة ، والأنيس فى الوحدة ، والصاحب فى الغربة ، بالعلم يعرف الله ويوحد ، وبه يطاع الله ويعبد ، وهو امام العمل والعقل تابعه ، يلهمه الله السعداء ، ويحرمه الأشقياء ، والعلم على ثلاثة أصناف : وهو وهبى وضرورى وكسبى •

قلت لشيخى الخليلى سعيد بن خلفان : ما الفرق بين العلم الوهبى والضرورى والكسبى ؟ تفضل بينه لنا بيانا شافيا للاشكال نافيا •

قال : الوهبى : يلقيه الله تعالى فى قلب عبده فيض نورانى ، ومدد رحمانى •

والضرورى : ألا يمكن أن يتصور لذى بال خلافه ، بأن الاثنين أكثر من الواحد •

والكسبى : ما عرف بالتعلم والتحفظ والاجتهاد ، فحصل بسمع من المسموعات ، أو نظر من المرئيات ، أو بفكرة من نتائج المقدمات ، لأهل الاستدلال والنظر ، والله أعلم •

وقيل فى الخبر : العلم ميت احياؤه الطلب ، فاذا حيى بالطلب فهو ضعيف قوته الدرس ، فاذا قوى بالدرس فهو محتجب اظهاره المناظرة ، فاذا ظهر بالمناظرة فهو عقيم نتيجته العمل ، فاذا نتج بالعمل فهو مريض صحته الاخلاص ، فاذا صح بالاخلاص هدى الى سبيل الجنة ، ولا توفيق إلا بالله •

*** مسألة :**

وسألت شيخى الخليلى فى قراءة سورة الاخلاص ما الأفضل عندك فى قراءتها ، أن يقف بالجزم فى كل صفة منها ، أم يقف على الصمد ليميز بين النفى والاثبات فعلى هذا ما الأولى له أن يضم دال أحد ليحصل له تفخيم اسم الذات ، أم ينون الدال ويرقق الاسم ؟ تفضل أوضح لى ما الأفضل معك من ذلك كفيت المهالك •

قال : الله أعلم ، وعندى أن الوقف عند كل فاصلة من هذه السورة الشريفة جائز حسن ، والوصل جائز كذلك بلا فرق أعرفه ، والنفى والاثبات منها كله سواء فلا يحتاج الى فصل بينهما ، كما لا فصل بين قوله تعالى : (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) واذا وقف على الفواصل المعربة بالجزم ، فليسكنها على ما عهد من جزمها ، وان وقف على الفواصل المعربة جاز له فيها ثلاثة أوجه فى المشهور من القراءات وهى : السكون والجزم والاشمام ، فان وصلها رجع الى اعرابها المعهود إلا فى الفاصلة الأخيرة ، فيقول :

(قل هو الله أحــد • الله الصمد) بتنوين أحــد مع رفعــه ، ويكسر التنوين لالتقــاء الساكنين ، فيرقق اللامين فى اللفظ من اسم الجــلالة فى أول الفاصلة الثانية لمناسبة الكسرة التى قبلهــا ، ولا فرق من جهة التعظيم بين الترقيق والتفخيم كمــا تراه متفقــا عليه ، أو مجتمعــا اذا ولى الكسر فى كل موضــع من القرآن العظيم الكريم ، ولو لــم نجــده كذلك إلا فى بســم الله الرحمن الرحيم لكفى ، وانمــا ترقق الحروف أو تفخــم لتناســب اللفظ لاغــيره ، وما فى ذلك خفــاء ، والله أعــلم •

* مســألة :

ومن هذا سؤال من شبية الاسلام الى الفقير لفظه : هل تعــلم شيئا من القرآن أن يحجر الوصــل فيه قطعــا ، حتى يقــال انــه لا يجوز شرعا ، كنحــو قوله تعــالى : (ولم يجعــل له عوجا • قيمــا لينذر بأســا شديدا) وكقوله تعــالى : (تنزيــلا ممن خلــق الأرض والسموات العلى • الرحمن) فيصــل عوجا بقيما ، والعلى بالرحمن ، مارا ولا يقف بينهما ؟ تفضل أوضح لنــا الحــق فى هذا كما عرفتــه من مذهب أهل الصدق مأجــورا مثابا ان شاء الله •

قال : ان فى الأثر من قول أصحابنا ما دل فى صريح البيــان على جواز فصــل القرآن ، ولو قدر تاليه أن يقرأه كله فى نســم واحــد ، فيما عرفنا من قولهم : انه غــير الاحن بذلك ولا لاحد ، وانما فيــه مواضع استحسنوا الوقف عليهــا ، ومواضع أخــرى يحسن الفصــل بغير وقف لديهــا •

فالأول ما يخشى أن يفهم منه غير مراده ، بصرف تأويله عن وجــه رشــاده ، فاستحسن فصــله بالوقف لســداده لموضــع الفاصلة من قوله تعالى : (وما هم بمؤمنين • يخادعون الله) لئلا يتوهم نفــى

المخادعة عن تقدير على التبعية ، ولأجله كان الوقف أولى مع هذه الفاصلة البهية •

ومثل هذا استحسنوا الوقف بعد البسملة الشريفة فى ابتداء تسع السور المشهورة المنيفة ألا وهى : سورة محمد صلى الله عليه وسلم ، والقيامة ، وعبس ، والمطففين ، والبلد ، والبينة ، والقارعة ، والتكاثر ، والهمزة وسورة أبى لهب • وليس فى استحسان ما يدل على أنه مما وجب ، ولا بأس أن يلحق بهن فى القسم ، كما أشبههن بالمعنى ، كالحاقة ، والقارعة ، وما صدر منهن بواو القسم ، وما جرى من الآيات بهذا المجرى ، فانه به فى الحكم أحرى ولو فى غير الفواصل كالوقف على : (فاستبقوا الخيرات) والابتداء بالشرط والجزاء لئلا يتوهم تعلق الشرط بالأمر كون الجزاء جوابا للأمر أيضا فيفسد المعنى •

وكذا فى قوله تعالى : (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) والابتداء باسم اشارة ليتمحص استئنافه للجواب ، لئلا يتوهم كونه نعتا لما قبله ، ويكفى فى كل من هذه المواضع من الفصل ما يدل عليه ، ولو لم يقف القارىء لديه ، غير أن الوقف أولى بالفواصل وأحلى •

والثانى : ما تعارض فيه معنيان يقتضيان وصلا وفصلا ، فتجاذب منه اليهما الطرفان ، كقوله تعالى : (ولم يجعل له عوجا • قيما) فلئلا يتوهم فى قيما كونه صفة للعوج حسن الفصل ، ولئلا يفصل بين الحال وصاحبها حسن الوصل فكان من حق هذا الموضع أن يفصل قليلا بغير وقف ، ولهذا نفى بعض الرواة أن ينسب الوقف عليه الى بعض أعلام القراءة لم يحضرنى ذكر اسمه •

وقال من نسب ذلك اليه : فقد أخطأ وانما كان يفصل بينهما قليلا قدر ما يظهر فصلا بينهما ، ولعله بقدر أخذ النفس ، وأما الوقف على الفاصلة من قوله تعالى : (خلق الأرض والسموات العلى) والابتداء بقول : (الرحمن على العرش استوى) فحسن جيد لمن رامه ، من غير أن يوجب التزامه ، فانه لا مقتضى له البتة ، فالوصل فيه كالفصل ، والوقوف عليه كالاندراج فى التلاوة بحكم الأصل ، وليت شعرى أى داع الى وجوب الوقف عليه ألا يخبرنى من يدريه أنى لا أعرفه فأقتفيه ، ولا يبين لى أن يصح ذلك فيه •

وليس هو من الفصل الأول فى شىء وكفى بمغايرة الاعراب بينهما برفع الرحمن فى أشهر القراءات دليلا على أنها فى الأحكام من مستأنف الكلام ، فأين محل الاشكال ، أو موضع الجدال فى هذا •

فان قيل : فيوجد فى بعض كتب القوم أن الوقف لازم فى نحو الفصل الأول دفعا لمظنة الوهم ، فما لأصحابكم لا يقولون بلزومه ؟

والظاهر أنه من قولهم حسن فيقال : ان القرآن قد أنزل باللسان العربى فى البيان ، فجرى فى بديع خطابه لأفهامهم على أساليب كلامهم ، وفى لسانهم الحقيقة والمجاز ، والتورية والكناية ، والاشارة والابهام والالغاز الى غير ذلك مما سبقت لهم به مزدوجة البلاغة أفانين الفنون ، وتصرفوا فى كل فن منه بعدة أوجه من بديعه ، والحديث كما قيل شجون ، ولما به فى أسرار البلاغة من عظيم الاعجاز ، خاطبهم بما حسن فى لسانهم ، وجازوا لهذا حين تقاصرت الأفهام ، وتكاثرت الأوهام ، فضل قوم فتاهوا فى مناهج التأويل ، واهتدى آخرون من أعلامه بواضحة الدليل •

فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منـه ابتغـاء الفتنه وابتغـاء تأويـله ، وأما الذين يستمعون القـول فيتبعـون أحسنه ، فلا يغترفون من بحر أنواره إلا ما يهـدى الأقوم سبيله ، فلا لبس فى الحقيقة ، ولا وهم لمن آتاه الله فى معانيـه الفهم ، وأى داع الى تصور فاسـد التأويل مع دعـوى احتماله ، ولا لبس فى نور الحـق تجلو المعنى ما فى دفع ذلك أظهر من الشمس ، أليس الحـق أحـق أن يتبع ، أليس الصـدق أولى بأن يكون فى التأويل هو المستمع ، وأن يكون الباطل كاسمه ، زاهقـا فى حكمه مقطوعا دابره ، مدموغا بسيف الحـق أوله وآخـره ، غير معتد به ، ولا معـول عليه ، ولا ملتفت اليـه ، فانه غير شيء فأنى يعـول عليه •

أما فى الآى الشريفة من قرائن المبـانى ، وشـواهد المعـانى ، ما يكتفى به فى البيـان ، على صريح الحق لمن لا يجحد العيـان ، فكيف يصح الوقوف من بعد هذا باظـلال الوهم ، ولم يكن شيئا مذكـورا ، والعدول اليهـا عن معالم العـدل وهى تتلألأ نورا ، هذا ما لا سـبيل اليـه ، وإلا فما يصنع من عارض اجتراء ، أو حـاور مراء بنحـو قوله تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائمـا بالقسـط) •

ولولا الاكتفـاء فى هذا المعنى بصريح المعنى ، لجاز أن يقـع فى فاسـد الفهم أنه من مظنة الوهم ، كما لا يخفى لأن العطف انما هـو فى الحـق على الفاعل ، ويحتمـل أن يكون على المستثنى فى صريح الباطل ، والوقف بين المعطـوف والمعطوف عليـه إلا لعـذر هو قبيح ولا ضرورة ، فالفصـل فى هذا النسق الفصيح هو لا غـيره الصحيح والمبتدأ بالمعطوف على تقدير عطفه ، لا يدفع بالجزم باطل ما يتصـور منه فى الوهم ، والابتداء به استئنافا لا معنى له لاخـلاله بالمعنى •

وكأين من موضوع فى كتاب الله كذلك يظهر بالاستقراء لمن بـه تعنى ، ألا ترى الى قوله تعالى : (يسبح لله ما فى السموات وما فى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم) فعلى القراءة الشهيرة فى هذا الموضع الكريم ، برفع الملك القدوس العزيز الحكيم لو تأولها الجـاهل أنها بدل من الفـاعل من يسبح ، لشاع له فى الباطل أن يكون من الكلام العاطل ، ولكن أبى الله إلا أن يظهر نوره ، ويتم ظهوره ، فلا يضره الجاحدون ، ولا يخفى عليـه الملحدون ، وليس فى هذا وبابه ما يؤذن بوهم فى صـوابه ، فيجوز أن يسمى شيئا فى جوابه •

كلا بل هـو فى كل زمـان نوع هذيان ، أو وسوسـة شيطان ، أو حديث نفس ما لها به من سـلطان ، لعدم ما عليـه من برهـان ، ان الحكم إلا لله يقضى بالحـق ويقول الصدق •

فلا عبرة فى مراء بتأويل هزاء من فوق الأرض ، ليس بذى طول ولا عرض ، أم يكون من السداد أن يقـاس بيت العنكبوت بارم ذات العماد ، التى لم يخلق مثلها فى البلاد ، ولا جـرم فالحـق أعظـم ركنا من ارم وأثبت ، والباطل يضمحل هباء ، ويذهب جفاء ، لأنـه ليس شىء جزما ، فأنى يستوجب فى الحق أن يكون فى الثابت حكما •

وفى الاجماع أن الحق يعلو أو لا يعلى فلا قرار لتأويل الباطل ، ولا احتمـال له فى دين المولى فقد بطـل الباطل وتلاشى ، وكان ذلك هو به أولى ، وبه يسـتدل قطعـا على أن ذلك الوقـف فى موضـع استحسانه ليس بالواجب شرعا ، إذ لا موجب له إلا مخافة تلاعـب الأوهام ، بما يولاهـم فساد المعنى من مفهوم الكلام •

ولا عبرة به على حال ، فان تطـرق المجال اليه فى حـكم الحق محـال ، لأنه فى محكم وصفه لا يأتيـه الباطل من بين يديـه ولا من

خلفـه ، ومن عرض لـه فى وهمـه ، سـوء فهمه ، فذلك لقصـوره وغرقه فى بحر نوره ، ولا يحمـل على غيره ، لعظيم خيره ، فانـه مجرد من الشـوائب برىء من المعائب ، وبهذا ينكشف لك الحـق فيما أصله أصحابنا فى هذه المسألة ، وعليه نبنى جوابنا •

والله نسأله أن يفيض علينا من نور هداه وتوفيقه ، ما يبلغنـا الى أقوم طريقة ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم •

* مسـألة :

ومنه : وهل تعلم شيئا من القرآن يحجر الوصـل فيه قطعـا ، حتى يقال انه لا يجـوز شرعا ، كنحو قوله تعالى : (ولم يجعـل له عوجـا • قيما لينذر بأسـا شديدا) وكقوله تعالى : (تنزيلا ممن خلق الأرض والسموات العلى) فيصـل عوجـا بقيما ، والعلى بالرحمن ، مارا ولا يقف بينهما ؟ تفضل أوضح لنا الحق فى هذا عما عرفته من مذهب أهل الصدق مأجورا مثابا ان شاء الله تعالى ؟

الجـــواب :

ان فى الأثر من قول أصحابنا ما دل فى صريح البيان ، على جواز وصل القرآن ، ولو قدر تاليه أن يقرأه كله فى نسـم واحـد ، ففيما عرفنا من قولهم أنه غير لاحن بذلك ولا لاحـد ، وانما فيه مواضـع استحسنوا الوقـف عليهـا ، وأخـرى يحسن الفصـل بغـير وقف لديهـا •

فالأول ما يخشى أن يفهم منه غير مراده ، بصرف تأويله عن وجه رشـاده ، فاستحسنوا فصـله بالوقف لسـداده ، كموضع الفاصـلة

وقوله تعالى : (وما هم بمؤمنين • يخادعون الله) لئلا يتوهم نفى المخادعة على تقدير التبعية ، ولأجله كان الوقف أولى من هذه الفاصلة البهيــة •

ولمثل هذا استحسنوا الوقف بعــد البسملة الشريفة ، فى ابتداء تسع السور المشهورة المنيفة ألا وهى : سورة محمد صلى الله عليــه وسلم ، والقيــامة ، وعبس ، والمطففين ، والبلد ، والبينة ، والتكاثر ، والهمــزة ، وســورة أبى لهب ، وليس فى الاستحسان ما يــدل على أنه مما وجب ، ولا بأس أن يلحــق بهن فى القسم ، كلما أشبههن فى المعنى ، كالحاقة ، والقارعة ، وما افتتح بواو القسم ، وما جــرى من الآيات بهذا المجرى ، فانه به فى الحــكم أحــرى ، ولو فى غير الفواصل كالوقف على (فاستبقوا الخيرات) والابتــداء بالشرط والجزاء جوابا للأمــر أيضا فيفسد المعنى •

وكذا فى قوله تعالى : (قالــوا يا ويلنــا من بعثنــا من مرقدنا) والابتداء باسم الاشــارة ليتمحص استئنافه للجــواب ، لئلا يتوهم كونه نعتا لمــا قبله •

ويكفى فى كل من هذه المواضع من الفصــل ما يدل عليه ، ولو لم يقف القارىء عليه غير أن الوقف أولى ، عند الفواصــل وأحلى ، والقول به فيهــا حيث لا مانع أظهر وأجلى •

والثانى ما تعارض فيــه معنيان للوصــل والفصــل يقتضيان ، فتجاذب منه اليهما الطرفان ، كقوله تعالى : (ولم يجعــل له عوجا • قيمــا) فلئلا يتوهم فى قيما كونه صفة لعوجا حسن الفصــل ، ولئلا يفصــل بين الحال وصاحبها حسن الفصل ، فكان من حق هذا الموضع أن يفصــل قليلا بغير وقف مراعاة للاعتبارين ، وجمعــا بين الوجهين ،

كمـا هو مذهب حفص ، وأما غـيره من القـراء فانهم يصلونه كمـا صرح به الشاطبى فى قوله :

وسـكتة حفص دون قطـع لطيفـة
على ألف التنـوين فى عـوجا بـلا

وفى نـون من راق ومرقـدنا فـلا
م بل ران والباقون سكت موصـلا

قال الشارح : أخبر أن حفصا يسكت سكتة لطيفة دون قطـع نفس عن الألف المبدلة من عوجا ، ثم يقول : (قيما لينذر بأسـا شديدا) ، وكـذلك يسكت فى سـورة القيـامة على النون من من ثم يقـول : (راق) وكذلك سكت فى سـورة يس على الألف من (مرقـدنا) ثم يقول : (هذا ما وعد الرحمن) وكذلك يسكت فى المطففين على اللام فى (بـل) ثم يقول : (ران على قلوبهم) ، وان الباقين يصـلون ذلك كله من غير سكت انتهى .

فانظروا فى هذا كله ، فان فى صريح قوله ما دل فى عـدله على غلط من أوجب الوقوف على عوجـا فى كل قول ، كمـا صرح به الشاطبى فى نظمه ، والمفسر فى شرحه فى المذهبين جميعا ، لأن الباقين من القراء ماعـدا حفصا يوافقون على وصلها ، ومذهب حفص هو ما قلنـاه من فصلها إلا أنه كما صرحوا به بسكتة لطيفة من دون قطع نفس ، فهـو فى حكم الوصـل ، كما لا يتصـور الوقف فى الموضعين المذكـورين فى القيامة والمطففين ، لأنه لا يحـل الوقف فيهما البتة ، ولكن هـذا الموضـع من قبلهما فى معنى الفصـل فى موضع الوصل ، جمعت كلها فى باب واحـد لحكم واحد كما ترى .

وبالجملة فالوصـل أظهر حسـنا فى هذا الموضـع من الوقف .

لمـا تقرر فى القـواعد ، وأما الوقف على الفاصلة من قوله تعالى : (خلق الأرض والسموات العلى) والابتـداء بقوله : (الرحمن على العرش استوى) فحسن جيد لمن رامه من غير أن يجب التزامه ، فانـه لا مقتضى له البتة ، فالوصل فيه كالفصـل والوقوف عليه كالاندراج فى التلاوة بحكم الأصل •

وليت شـعرى أى داع الى وجـوب الوقـوف ألا يخبرنى من يدريه ، انى لا أعرفه فأقتفيه ، ولا يبين لى أن يصح ذلك فيـه ، وليس هو من الفصل الأول ، وكفى بمغايرة الاعراب بينهما برفـع الرحمن فى أشهر القراءة دليـلا على أنها فى الأحـكام من مستأنف الكلام ، وفى القراءة بالجر كذلك ، لأنها صفة لمن خلق أو عطف بيـان أو بدل منه ، ولا لبس هنالك فأين محل الاشكال أو موضـع الجـدال فى هذا ، فان قيـل فيوجد فى بعض كتب القـوم أن الوقف لازم فى نحو الفصـل الأول دفعـا لمظنة الوهـم فما لأصحابكم لا يقولون بذلك الظـاهر انه من قولهم حسن ؟

فيقال : ان القرآن قد أنزل باللسـان العربى فى البيان ، فجرى فى بديع خطابه لأفهامهم على أساليب كلامهم ، وفى لسـانهم الحقيقة والمجاز ، والتورية والكناية والاشـارة والابهـام والالغاز ، الى غير ذلك مما سبقت لهم من دوحـة البـلاغة أفانين الفنون ، وتصرفوا فى كل فن منـه بعدة أوجـه من بديعـه ، والحـديث كما قيـل : ان الحديث شجون •

ولما به فى أسرار البلاغة من عظيم الأعجـاز ، خاطبهم بما حسن فى لسانهم وجاز ، ولهـذا حين تقاصرت الأفهام ، وتكاثرت الأوهام ، ضل به قـوم فتاهوا فى مناهج التأويل ، واهتـدى آخرون من أعلامه بواضحة الدليـل ، (فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشـابه

منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله) وأما الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فلا يغترفون من بحر أنواره إلا ما يهدى الى أقوم سبيله ، فلا لبس فى الحقيقة ، ولا وهم لمن آتاه الله فى معانيه الفهم ، وأى داع الى تصور فاسد التأويل ، وأى داع الى تصور فاسد التأويل ، وأى داع الى تصور فاسد التأويل مع دعوى احتماله ولا لبس •

أليس فى نور الحق بجلى المعنى ما فى دفع ذلك أظهر فى الشمس ، أليس الحق أحق بأن يتبع ، أليس الصدق أولى بأن يكون فى التأويل هو المستمع ، وأن يكون الباطل كاسمه زاهقا فى حكمه مقطوعا دابره ، مدموغا بالحق أوله وآخره ، غير معتد به ولا ملتفت اليه ، فانه غير شىء فأنى يعول عليه ، أما فى الآى الشريفة وقرائن المبانى وشواهد المعانى ما يكفى به فى بيان ، على صريح الحق لمن لا يجحد العيان ، فكيف يصح الوقوف من بعد هذا ضلال الوهم ، ولم يكن شيئا مذكورا •

العدول اليها عن معالم العدل وهى تلألأ نورا ، هذا ما لا سبيل اليه ، لأن فى ثبوته ما لا يخفى من بطلان كل ما احتمل وجهين من نوع البيان ، ان كان أحدهما يقضى فى المعنى بفساد لما به من عناد ، فيشمل المنع معظم أنواع البديع كالاستعارات المستغربة ، والمجازات المستغذبة ، ونظايرهما مما جاء به القرآن ومن حقه ولابدا ، يعدل به لزوما فى الطريقة لصحة تأويله الى المجاز عن الحقيقة ، وكفى بالقرآن شهيدا على الجواز له والاستحسان ، ولا ينكر شيئا من هذا من رزق ذوقا من عقل وايمان •

وهكذا تطرد فى مثله من القول أحكامه المبنية فيما اتضح المعنى المعنى والمحل القرينة لعدم الفرق بينهما فى الحق ، وإلا فما يصنع

من عارض اجتراء أو جاور مراء بنحو قوله : (شهد الله أنه لا إلــه إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط) فلولا الاكتفــاء فى هذا المعنى بصريح المعنى ، لجــاز أن يقع فى فساد الفهم ، أنه من مظنة الوهم كما لا يخفى ؛ لأن العطف انمــا هو فى الحــق على الفــاعل ٠

ويحتمل أن يكون على المستثنى فى صريح الباطل ، والوقوف بين المعطوف والمعطوف عليه فى هذا لا تأثير له فى حكم صحيح ، فالوصل فى هذا النسق هو الجــائز والحسن الفصيح ، لأن الابتداء بالمعطوف على تقدير عطفه ، لا يدفع بالجزم باطل ما يتصور منه فى فاســد الوهــم والابتداء به استئنافا ، لا معنى له لاحــلاله بالمعنى ، وكأين من موضع من كتاب الله كذلك يظهر بالاستقراء لمن به تعنى ، ألا ترى الى قوله تعالى : (يســبح لله ما فى الســموات وما فى الأرض الملك القــدوس العزيز الحكيم) فعلى القراءة الشهيرة فى هذا الموضــع الكريم برفــع الملك القدوس العزيز الحكيم وتأولها الجــاهل بأنها بدل من الفاعل ، لساغ له فى الباطل أن يكون من الكلام العــاطل ، ولكن أبى الله إلا أن يظهــر نوره ، ويتم ظهــوره فلا يضره الجاحدون ، ولا يخفى عليــه الملحدون ، وليس هذا وبابه ما يقــدح فى صوابه ، فيجــوز أن يسمى شيئا فى جــوابه ٠

كلا بل هو فى كل زمان نوع هذيان ، أو وسوسة شيطان أو حديث نفس ما لها به من ســلطان ، لقــدم ما عليــه وبرهان ، ان الحــق إلا لله يقص الحــق ، ويقول الصدق ، فلا عبرة فى مراء بتأويل هراء ، مجتث من فــوق الأرض ليس بــذى طــول ولا عرض ، أم يــكون من السداد ، أن يقاس ببيت العنكبوت بإرم ذات العمــاد ، التى لم يخلق مثلهــا فى البلاد ، ولا جــرم فالحــق أعظــم ركنــا وأثبت من إرم ، والباطل يضمحل هبــاء ، ويذهب جفــاء لأنه ليس بشىء جزما ، فأنى يستوجب فى الحــق أن يكون من الثابت حكما ٠

وفى الاجمــاع أن الحــق يعلو أو لا يعلى ، فلا قــرار لتأويل البــاطل ، ولا احتمال له فى دين المولى ، فقد بطــل الباطل وتلاشى ، وكان ذلك هو به أولى ، وبه يستدل قطعــا ، على أن ذلك الوقــت فى موضع استحسانه ليس بالواجب شرعا ؛ إذ لا موجب له إلا مخالفــة تلاعب الأوهام ، بما يوهم فســاد المعنى من مفهــوم الكلام ، وقــد اتضح بما قدمناه أنه لا عبرة بذلك على حــال ، فان تطــرق الوهــم فى حكم الحق محال ، لأنه الذى قال الله فى محكم وصفه : (إنه لا يأتيه الباطل من بين يديــه ولا من خلفه) تنزيلا فعرفنا به يقينــا أن من عرض له فى وهمــه بما يوجب شكا فيه ، أو لبســا فانمــا هو لســوء فهمــه ، لمــا به من قصــوره ، لقلة نوره ، وذلك لا يحمــل على غيره لعظيم خيره ، فانه مجــرد من الشــوائب برىء من المعايب ، وبهــذا ينكشف لك الحق فيما أصله أصحابنا فى هذه المسألة وهو جوابنا •

ولقد صرح به بن الجوزى فى قوله : وليس فى القرآن من وقف وجب ، ولا حــرام غير ما له سبب •

فان قيل : هذا حكم الوصل أفمثله يكون حــكم الوقف والفصل ، أم بينهما فى الحكم فرقا فلا تخبرنى عنه بالحــق ؟

فيقال : بل ان الفرق بينهما ظاهر ، عند أهل العلم شــاهر ، فى القرآن أنزل مفرغــا فى قوالب البيان ، سمطا منتظما نظما محكما ، إلا أنه لعظم العناية ، ومن يد الإلطاف والهداية ، فصلها سورا تتلى ، وآيات تترى ، هو الفواصــل تسمى ، وجعــل فى فواصــله مواضع ، هى للفصــل مقاطــع ، أيضــا فعلم بالاستقراء بحجج أحكامهــا أن للسور جميعا عند مقاطع أختامها ، حكم صحة الوقوف عليهــا ، وكونه الأحسن لديهــا الاستقلال حكمها بذاتها ، لانقطاع متعلقاتها •

وأما الوقوف من بعد على رءوس الفواصل أو ما دونها من الألفاظ ، فهو تبع للمعنى ، فلما عرفنا من قول العلماء والحفاظ ، ولهذا يتفرع فى أحكامه الى خمسة أوجه :

فأولها : الوقوف عليه أفضل من وصله ، وهو المندوب اليه ، وهو الذى سبق القول فيه أنه يوجد فى بعض كلام القوم ، أن الوقف واجب لديه ، وتكلمنا على أثره بما حضرنا من قول المسلمين الصحيح فى منع الوجوب ، وكونه من خبر المندوب ، على أنى لا أراه موضع اجماع يمنع دينا من نزاع ، ولو قيل فيه رأيا بايجابه لم أبعده من أن يكون قريبا من جواز الرأى عليه فى صوابه ، وقد مضى منه فى الفصل الأول ما يغنى عن الاعادة وكفى به •

وثانيها : الوقوف وهو ما استوى فيه الوصل والفصل بعدم ما يرجح أحدهما على الآخر من حيث دلالة المعنى فى المعدل ، ومحله تمام الكلام ، واستقلال المعانى بذاتها بلا متعلق بها فى الأحكام ، كالوقوف عند قوله تعالى : (ملك يوم الدين) أو مع قوله : (اياك نعبد واياك نستعين) ، وكقوله تعالى : (انا أعطيناك الكوثر • فصل لربك وانحر • ان شانئك هو الأبتر) ولا ينكر أهل الأحلام والفهوم ، أن يلحق من غير الفواصل ما كان بهذه المثابة كقوله تعالى : (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) غير أن الوقف على الفواصل أوجه وأولى ، والوصل من قبل تمامها أوجه وأسوغ وأحلى بمن أمكنه ذلك وإلا فهما من حيث الحكم فى الجواز سواء •

وثالثها : الوقف لتمام ما شرع فيه من الكلام ، إلا أن ما بعده يتعلق به فى الأحكام كالتوابع الأربعة ، النعت والعطف والتوكيد والبدل ، وكالحال وأدوات الخفض وما يضاهيهن فى المثل ، فوصل هذا وبابه أولى ان أمكن صوابه ، والوقوف عليه فى قولهم جائز ،

وليس بأحسن غير أنى أستدرك منه ان استطالت الفواصـل ، قوله تعالى : (الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • ملك يوم الدين) فليس فى الأولى والثانيـة محل الفصل ، فالوقف غـير حسن فيمـا صرحوا به لمن أمكنه الوصـل ، هو كذا فى قوله تعالى : (انك لمـن المرسـلين • على صراط مستقيم • تنزيل العزيز الرحيم) مع جر لام تنزيل وقس على هذا ما يشبهه بصحيح التأويل •

فان تسع القول واستطالت الفواصـل ، أو كثرت كـذلك مم فى استحسانه مجادل ، كقوله تعالى : (تبارك الذى بيـده الملك وهو على كل شىء قدير • الذى خلق الموت والحيـاة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور • الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور) وكقوله تعالى : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سـلاما • والذين يبيتون لربهـم سـجدا وقياما) الآيات وفى (قد أفلح المؤمنون) وفى سورة المعارج وغيرهن من الحق هذا ما لا ينكره المبصرون •

فان قيل : فأى شىء سوغ هذا مع كثرة الفواصـل أو استطالتها ولـم نجـد من تفرقة بينهمـا فيمـا ألقينـاه فى الآثـار من صحيح مقالتها ؟

فيقال : لأما ما تعـذر على القارىء وصله ، فسقوط التكليف عمـا لا يستطاع هو الدليـل على أنه يحسن فصله ، وأما ما دونه فالأصـل الصريح ، فى هذا المنهاج الصحيح ، أن فى لسـان الخطباء والشعراء من فصحاء العرب ، ما بنى على قواف عـديدة ، يتصـل بها قواف من التوابع مديدة ، فلا تناكر معهم أن يقفوا عنـد القوافى ، ويبتدءوا من بعـدها ملحقين بها حكما ما اتصـل بهـا معنى من نعت ، أو عطف

أو حـــال ، فتكون توابع للأول ، أو قوافٍ ، أم ينكر شيء من هـــذا فيقال بعد استحسانه ، وانه لوضـــوح بيـــانه ، على المنصفين غـــير خـــاف ٠

وللفواصل فى ذلك من الحكم كذلك ، ألا ترى فى النعت مع كمـــال اتصـــاله جواز قطعـــه عن التبعية فى اعـــرابه ، ان عـــرف المنعـــوت بدونـــه فى حاله ، ولـــكن الحـــال فى الأصـــل غالبـــا صفة قطعت عن موصوفها ، فدلت على الهيئة فغـــير بعيد أن يتوسع فيهـــا بهـــذا إذا أثبتهـــا معنى ومحـــلا ، ولا سيما مع استطالة الفواصـــل كما قلنـــاه فيما سبق قبـــلا ، فانه فيه ظاهر ، كقـــوله تعالى : (فأقم وجهـــك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخـــلق الله ذلك الـــدين القيم ولكن أكثر النـــاس لا يعلمون ٠ منيبين اليـــه واتقـــوه وأقيمـــوا الصـــلاة ولا تكونـــوا من المشركـــين) وكقـــوله تعـــالى : (لئين لم ينته المنافقون ، والذين فى قلوبهـــم مرض والمرجفـــون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيهـــا إلا قليـــلا٠ ملعونين أينما ثقفوا أخـــذوا وقتلوا تقتيـــلا) وكقـــوله تعالى : (ان الذين آمنـــوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنـــات الفردوس نـــزلا ٠ خالدين فيهـــا لا يبغـــون عنها حولا) ٠

ولمثل هذا لم نقل فيما سبق بالمنع من الوقوف عند قوله تعالى : (ولم نجعـــل له عوجا) فقوله : (عوجـــا) رأس الآية ، وموضـــع الفاصلة ، وهى مقر الوقوف مع ما بين عوجـــا وقيما من التبـــاين الداعى الى فصل بينهما عند أهل العرف إلا أنهـــا من الفواصـــل التى لا تستطال ، وتعلق ما بعد بها يؤذن بالاتصـــال ، فلابد لتعارض المعـــانى هنـــاك من أن يجـــوز ثمت هذا وذاك فاعرفه ٠

ورابعهـــا : الوقف قبـــل تمـــام الكلام من دون افســـاد معنى

ولا تغييره عما له من الأحكام ، كالوقف بين القســم وجوابه ، وبين الشرط والجــزاء ، وقس على ذلك ما كان من أضرابه ، كالوقــف بين المبتدأ وخبره ، وبين اسم ان وخبرها ، واسم كان وخبرها ، وبين ظن ومعمولاتها ، والفعــل وفاعله أو مفعوله ، والموصول وصلته ، والتمييز والمميز منه ، والحــال وصاحبها ، فلا تقف عند شيء من هــذا وباقه وتوقه إلا من عــذر ، فلابــد من اجتنابه أنــه على الصحيح وقف مكروه قبيح ٠

فالقسم كقوله تعالى : (يس والقرآن الحكيم ٠ انك لمن المرسلين ٠ على صراط مستقيم) ٠

والشرط كقوله تعالى : (حتى اذا رأوا ما يوعدون ٠ إما العذاب وإما الساعة فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا) ٠

والمبتدأ كقوله تعالى : (ليلة القدر خير من ألف شهر) ٠

والموصول كقوله تعــالى : (صراط الــذين أنعمت عليهم غــير المغضــوب) وقس على ذلك ، فان حصــل العــذر تفادى فوقف في هذا البــاب ، خــرج من حد القبح ، فكان الجــواز أولى به في هــذا الجــواب ، لكن القــارىء في هــذا ومثله الى ذلك الكلام بحســب المعنى فيعيده الى التمــام ، كمــا سيأتي ان شاء الله ٠

واذا اتسع القول ، أو كثرت الآيات لتعــذر فصلها ، حتى عجــز التالي والحالة هذه عن استيفاء معنــاها في وصلها ، فهو له من صريح العذر ، في هذا المقــام بغير نكر ، وحينئذ فيكون الوقف عندها للضرورة حسنا ، ولا تلزمه إعادته فيما معنا لتأسيس المباني على ذلك ، وعــدم التكليف بما لا يستطاع هنالك ، فيقتدر بها ، وان فصلت لفظــا فهي موصولة معنى ، أو ليس من الحق الذي لا نزاع فيــه ولا شقاق ،

ولا يجوز أن يطـوق ما لا يطـاق ، وليس فى هذا فى الاجمـاع من القول إلا منـاع مناع ، فمثال هذا المستثنى جوازه فذكره لبيـان المعنى ، قوله تعالى : (إذا الشمس كورت • واذا النجـوم انكدرت • واذا الجبـال سيرت) الى قوله : (علمت نفس ما أحضرت) فتمـام الكلام لم يكن إلا على رأس أربع عشرة آية ، لا تظن أحـدا يقـدر على وصلها جميعا ، وتدون هذا كفاية •

وكذلك فى قوله تعالى : (والشمس وضحاها • والقمر اذا تلاها) فانهـا متصلة الأقسام ثمانى آيات وبالتاسعة والعاشرة تـم الكلام ، فالعذر بين لمن يقـوى على وصلهن من الأنام ، وربمـا اقتـدر بعض التالين على مالا يقـدر عليه الآخـر فى حين ، فلا يجـوز أن يكلف غير القادر ما لا يستطيعه هو فى رأى ولا دين ، وربمـا سبق عليـه ما لو تكلفه لاستطـاع ، فلا يلزمه فى هذا الموضـع تكلف المشقة فى رأى ولا اجمـاع فدين الله يسر ما فيه عسر •

ومثال ما توسـط فى الطول والقصر فيختلف فيه أحكام الناس ، ويقال حينئذ : ان لكل ما يخصـه من حكم ولا بأس قوله تعالى : (فلا أقسـم بالخنس • الجـوار الكنس • والليـل اذا عسس • والصبح اذا تنفس • انه لقول رسول كريم) وقوله تعالى : (اذا جاء نصر الله والفتح • ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا • فسبح بحمـد ربك واستغفره انه كان توابا) •

وحكم الفريدة فى هذا كالآيات العـديدة ، اذا اسـتوى المعنى ، ومثـاله فيهـا قـوله تعـالى : (ان المسـلمين والمسـلمات والمؤمنين والمؤمنـات والقانتين والقانتات والصـادقين والصـادقات والصـابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصـدقين والمتصـدقات والصائمين والصـائمات والحافظين فروجهم والحافظـات والذاكرين الله كثـيرا

والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) فانهـا لما بها من طول تبيح الوقف فى خلالها ضرورة فى غير محله لمن لا يقوى على وصلها كما سبق فى هذه الفصـول •

وخامسها : الوقف المحجـور على من أراده ، اذ لا رخصـة فيـه ولا هـوادة ، وهـو إذن يقطع الكلام عنـادا أورث المعنى فسـادا ، فلا يجـوز قطعا لحرامه ، إلا لعذر صريح فى مقامه ان صـح لـه فى زمان ، كخطأ أو نسيان ، أو غلبـة من عطـاس أو تثاؤب أو نحـوه ، مما يغص به القارىء لشجوه وإلا فلا يباح لعـذر فى علم ولا جهـل ، وانه لقول فصـل ، وما هو بالهـزل ، وأعظمـه ما كان فى التوحيد ، والثنـاء على الله المجيد ، فانه بالتعمـد لإفكه على وجهه بحكم شركه ، وهذا أشـهر من أن يحتـاج الى تمثيـل ، وان كان ولابـد فكالوقف والايجاب ، فيما به من تهليل ، وكأين من موضع فيه كذلك لا ينكره من له أدنى فهم من الخواص ، كالوقف على (ولم يكن) فى أول آخر آية سورة الإخلاص •

وبعد فالاستثناءات كلها لاحقـة بذلك عنـد كل العارفين ، كمـا ترى فى موضعيهما من سـورتى والعصر والتين ، وفى غيره كذلك يتضح بالمعنى ويبين ، كمـا لا يجـوز الوقف على قوله تعـالى : (فويـل للمصلين) و (قل يا أيهـا الكافرون • لا أعبد) (ولم يكن الذين كفـروا من أهل الكتاب والمشركين) وهذا مما لا نعلم أنه يختلف فيـه برأى ولا بدين ، لأن جوازه يؤدى ولا شك الى افسـاد مبانيه ، والإلحـاد فى معانيه ، (وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) •

ومن اضطر الى ما به يعذر الى وقف على شىء مما يكره الوقف عليه أو يحجر ، فيؤمر فى هذا وجوبا ، وفى الأول مندوبا ، مع القدرة

أن يستأنف ما قطعــه من الكلام حتى يأتى من أوله على التمــام ، بحسب ما له فى صحة المعنى فى الأحكام ، ليخــرج من قبح فصله ، الى ما أمر به من وصله ، وكذا من تعمــده فى عمده أو جهــله ، للوقف فى غير محله ، أو أتى به فى غير عمــده ، لعدم قصــده ، فكله ســواء فى حكم استئنافه لتساويه فى اتصــافه ولابد لمــن تعهــد لمــا لا جواز له فى حاله من الرجــوع بالتــوبة النصــوح ، لمن لا شريك لــه فى جــلاله هو غفار الذنوب ، وكشــاف الكروب ، سبحانه وتعالى •

وفيما أسلفناه فى أحكام هذا البــاب كله ما دل بتصريح ، وتــارة بلحن القول وفحواه فى تلويح ، على أنه لابد لنا من اعمــال النظــر بصحيح المعتبر ، وتدقيق الفكر فى مراعاة أحكام المعــانى عند الوقف والفصــل خوف الوقوع فيما لا جــواز لــه فى الأصــل ، فمن الغبن الفاحش أن يبوء بوزره ، من حيث يرجو أعظم أجــره ، عافانا اللــه واياكم بفضــله ، من هذا ومثله •

وأما الوصــل فهو منه فى أوسع من هنــاء طريقا ، لكونه لا يخل بمعنى ولا يفسده تحقيقا ، فلينظر فيما فى هــذه النبــذة من القــول أسلفناه ، من قدر أن ينظر بانصاف فى معناه ، ثم لا يعجــل من بعده بقبــوله ولا رده ، حتى يتضح له غيــه من رشــده ، فان فى الحــق ما يذود عما سواه ، لمن لا يتابع هواه ، ولا عذر فى قبول البــاطل من عالم ولا جاهل ، والله أسأله أن يوفقنى فى هذا الجــواب وغــيره ، لمــا هو عنده من محض الحــق والصواب ، فان الخير بيــديه ، ويرجع الأمر كله اليه ، والحمــد لله على ما أنعم ، وصلى الله على ســيدنا محمــد النبى وآله وسلم •

* مسألة :

ومنه تفضل علينا ببيان ما صفة هذا العلم ، الذى جاء فيه وعيد الحديث أنه يلهم السعداء ، ويحرم الأشقياء ؟

الجواب :

هو العلم النافع الذى يؤدى به العبد لله فرائضه ، ويتقرب به اليه ، ويعلم ما يجب عليه لله ، أو لعباده من الحقوق الواجبة فى نفسه أو ماله من جميع اعتقاداته ، وأعماله الصالحة والطالحة ، والحق والباطل ، والضلال والهدى ، حتى يتجنب المحرمات ، ويتباعد عن المكروهات ، ويعمل بالفضائل والقربات ، والوسائل بعد أداء المفترضات ، فهو العلم النافع الذى يلهمه السعداء ، ويحرمه الأشقياء ، وفى هذا يندرج علم الحقيقة والشريعة جميعا ، والله أعلم .

* مسألة :

ومنه : فى القرآن مخلوق أم غير مخلوق ، فان كان مخلوقا فما صفة خلقه ، وان كان غير مخلوق فما صفته والاعتقاد فيه .

الجواب :

القرآن كلام الله ووحيه وتنزيله ، وهذا هو الاعتقاد كاف فيه ان شاء الله ، والله أعلم .

* مسألة :

وما معنى تسميتهم العلم بالصلاة والحج والصيام والزكاة ونحوها أديانا ، والنكاح والطلاق والعتاق ونحوها أحكاما ؟

الجـــواب :

ان الأدين فى الأصـــل أحكام ، والأحكام أديان ، لكن غلب الفقهاء والمتكلمون فيما كان من أنواع العبـــادة والفروض الواجبة لله تعالى ، تسميته بالأديان ، وفيما كان من الخصومة فيه للخلق غالبا فيه والتراجع فيه الى أحكام الدعاوى بينهم تسمية بالأحكام اصطلاحا فقهيا ، ووضعا عرفيا ، مناسبا للمحل فى كلا الوجهـــين ، وكما قيـــل : انه لا مشاحة فى المصطلحات جزى الله عنا علماء الأمة ما هم لهم من الخير أهـــل ، والله أعـــلم .

*** مسألة :**

ومنه : وما تقول شيخنا فى مثل هذه المسألة وغيرها من المســـائل اذا كان المسئول بعيدا غير حاضر ، فاذا أراد الســـائل زيادة ســـؤال فيكتب ، قلت له : أتراه جائزا أو واسعا أو الأفضل أن يكتب ، وكذلك أو يكتب أيضـــا تفضل بين لى ذلك ، لأن شيخى كأنه لا يعجبـــه أن أكتب ، قلت له : ومن حسبه أن أكتب أيضـــا وأنا قليل العلم ، كثـــير الوهم ، مارق السهم ، أسأل الله الكريم أن ينـــور قلوبنـــا ويحسن أخلاقنـــا ؟

الجـــواب :

قد يجرى الاختلاف فى مثل هذا بين أهل العلم ، فعلى قول من يرى أن الكتاب كلام وقول فهو جائز ، وعلى قول من لا يرى الكتـــابة كلاما ولا قولا ، فهـــذا لا يجـــوز أن يفسر على الحقيقة ، وأمـــا ان تأولته على سعة المجاز فهو مما يستجاز ، وكتب الآثار مشحونة فى مثل هذا ، وإنه لشىء متداول مبذول عند الفقهاء ، لا يحتشمون ولا يستنكفون عنه كما ترى فى رفائعهم عن الأوائل والأواخر .

وهل يشكر من وجد فى كتاب الاستقامة أو المعتبر شيئا من آثار الشيخ أبى سعيد رحمه الله فى هذا الرأى أو القول ان ضعيف أو جيد أو غيره مما يضاهى ذلك من حقائق الأحكام ، وكذلك فى حق غيره ، لا فرق ، فاذا جاز أن ينسب أثر العالم فيقال : إنه من قوله ، ولو لم يسمع ذلك من لسانه ، فكذلك سؤال السائل من قوله بهذا التفسير ، ولو لم تنطق به لسانه ، وقول شيخك انه ما يعجبه ذلك لعل مراده لعله لا يجب ذلك على تأويل القول الحقيقى كما أسلفناه ، اذ لا معنى له غير ذلك •

فان كتبت وأيضا وكذلك ، أو رأيت أو ما أشبه ذلك ، لم يحتج الى تأويل ، وان توسعت بمجاز القول جاز ذلك ، وقد استعمله جهابذة العلماء ونحارير الفضلاء ، والله أعلم •

* مسألة :

ومنه : وما تقول فيمن يكتب خطوطا وفيها اسم من أسماء الله تعالى ، أيجوز له أن يرسلها مع هؤلاء النصارى أو البانيان من بلد الى بلد ، سواء الخطوط مشمعة أو مغلف عليها ؟

قال : لا بأس بذلك ، ولو كتب فيها البسملة أو غيرها ما لم يكن مصحفا أو قرطاسة منه ، ففى الأثر جواز مثله للجنب أن يقرأ من كتب العلم ما سوى القرآن ، وقل ما يخلو كتاب من كتب المسلمين لم يذكر فيه اسم الله أو البسملة أو بعض الآيات ، وما جاز فى هذا جاز فى ذلك فيما عندى ، والله أعلم •

* مسألة :

ومنه : وما تقول فى قوله تعالى (وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد

سـلف) أهذا محجـور فى الدنيـا والآخرة ، أم محجور فى الدنيـا خاصـة ، وجائز فى الآخرة ، لأن الرجـل تكون له زوجـة وتتوفى عنه ، وبعده يتزوج بأختهـا فتتوفى عنـه ، أرأيت ان من الله عليهما جميعـا بدخـول الجنـة أيكونان كلتاهما زوجـاته أم لا ؟

الجـواب :

هذا حكم شريعة الله تعالى فى هذه الدنيـا على الأمة المحمـدية ، لا فى حكم الآخـرة ، فانا لا ندريه ، وقـد سـقط التكليف وارتفـع التعبـد ، ووضعت الأقلام ، ونسخت الشرائع والأحـكام ، ورجـع الأمر فيه الى علام الغيوب ، يهب ما يشاء لمن يشاء ويفعل ما يريده ، وأما فى سائر الأمم ، فقد جمـع ما بين الأختين كنبينا إسرائيل عليـه السـلام فافهم .

*** مسـألة :**

ومنه فى الوقوف مع قوله تعالى : (ان الانسـان لفى خسر) ، (وعصى آدم ربه فغوى) ، (ولا يحيطون بشىء من علمه) غـير جائز مطلقا بالسنة والاجمـاع أم رأى من أهل العلم أم جائز ، ولكنه مكروه ، وما شـابه هذه الوجوه ؟

الجـواب :

أما الوقوف على (ان الانسـان لفى خسر) وعلى (ولا يحيطون بشىء من علمه) والابتـداء بالاستثناء فلا يبين لى جـوازه على العمد لفصله مع القـدرة على وصـله ، واذا لم يخـرج له شىء من التأويل على تقـدير الاستثناء المنفصـل ، حيث يمكن تأويله بالاستدراك فلا أعلم اختلافا فى منعه ، وأرجو أن فى الاجماع ما يقضى بأمر النزاع ،

فى جــواز الفصــل ، حيث تتأدى الى فســاد المعنى من كتاب اللــه إلا فى موضع العذر لمن نزل بمنزلته ٠

وليس من هذا الباب الوقوف على : (وعصى آدم ربه فغوى) فالوقوف عليها جائز ، والوصــل حسن ، بل يصح ان قيــل أحسن ، ولا يبين لى وجــه لزومه على حال ، والله أعلم وبه التوفيق ٠

*** مســألة :**

وما معنى قوله تعــالى : (فقضاهن سبع ســموات فى يومين) فالليالى داخلة فى اليومين أم لا ، أم النهــار خاصــة بين لنــا ذلك ولك الأجر والثواب ؟

الجـــواب :

اختلف فى اليوم ، هل يطلق على النهار وحــده أم على النهــار والليــل معا ، وأكثر القول فيما عندى أنه اذا ذكر الليــل معه فاليوم يراد به النهــار فقط ، كقوله تعالى : (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) فقد ســمى الثامن ولا ليلة له ، واذا لم يفصــل فهو يشــمل الليــل والنهــار معا ، فالشهر ثلاثون يوما أو تسعة وعشرون يوما بلياليها ، والأعمــال التى فى الأيام تجوز فى الليالى على هــذا القول إلا لمــانع شرع منه فى الأصل فى الصيام لتحريمه فى الليــل ٠

*** مســألة :**

ومنه : ما تقول فى الــذى وجــدته فى هــذه المنقــول ، عن ذوى المعقول ، يروى أن الشيخ ناصر بن جاعد ، يروى عن أبيه رفع دال وحده فى قول القائل : لا إله إلا الله وحده ، حجته أن ما بعــد المنفى

لا يكون إلا مرفوعا ، ولم يتضح لى هذا الأنى فيما وطئت من كتب النحو ، لم أجد وجه الرفع ، بل وجدت النصف منهم من جعله على الحال .

ومنهم من جعله على المصدر ، ومنهم من جعله على الظرف ، حتى جاء أحد من علماء أهل الخلاف حنبلى المذهب ، فجوز الرفع فى ذلك لما سألته ، ولم أشق بكلامه ، تفضل أوضح ذلك ، هل وجه يوجد بالجواز أعنى الرفع وبأى شىء رفعه بالابتدائية أم بالخبرية مأجورا ان شاء الله ؟

الجواب :

لا نعرف وجه رفعها ولا ضمها لقصور علمنا ، وقلة فهمنا ، ومعتمدنا فيها بالنصب اعرابا على ما ذكر فى قواعد العربية ، أو الفتح بناءً كما فى الكتب النحوية ، ولقد كنت فى زمان هذا الشيخ معه ، وهو يقول برفعها ، وقولى بنصبها ويسألنى على ذلك ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : وما تقول شيخنا فى رياضة اسمه تعالى عليم لا وجدناها مصرحة ، علمنا بشروطها مأجورا ان شاء الله ؟

الجواب :

شروطها الخلوة والصيام ، واجتناب ذوات الأرواح ، والرفق والتلاوة ، وحضور القلب فيها ، ومناسبة الوقت وعدم المزيد والنقص ، هذا ما حضرنى ، والله أعلم .

* **مسـألة :**

وما تقول شيخنا فى المسألة التى سألتك عنهـا ، وهى التى قال الله فيهـا : (خالدين فيهـا مادامت السموات والأرض) أسموات وأروض فى الآخرة بعد هذه السموات والأروض التى فى الدنيـا أم غيرها ، وكقوله تعالى : (يوم تطـوى السماء كطى السجل للكتب) تفضل اشرح لنا اياها غـير جـواب السابق ؟

الجـــواب :

اختلف المفسرون فى مثل ذلك :

فقيل : معنـاه مادامت سموات الآخـرة وأرضها ، وكل ما أقـل فهو أرض ، وكل ما أظل فهو سماء •

وقيل : انما هو عبـارة عن التأبيـد ، وجرى ذلك على عـادة العرب وأساليب كلامهم ، وفى مثل ذلك يقولون : لا أفعـل كذا مادامت السموات والأرض ، أى لا أفعـله أبدا ، وكلا القولين صحيح عنـدنا ، واللـه أعـلم •

* **مسـألة :**

ومنه : وقد تأملت ما أورده الشيخ سعيد بن قاسم الشماخى فى مباحث خلق القرآن من الاحتجاج ، فعلمت أنه على صراط مستقيم ، لا زيغ فيه ولا اعوجاج ، وقد اكتفينا عن الاعـادة بما فيه الافادة ، لأنه قد جاء بالحسنى وزيادة •

وبالجملة : فلم نر فيمـا تعلق فيـه المختلفون إلا شـبها لفظية

لا تصلح لتقويم البراهين ، فأنى يصح أن نأتيه بها على غـير دليـل واضح مستبين ، وانمـا ارتبك فيهـا بعض الأكابر كالشيخ ابن النظر ، ومن فى طبقته من الأقدمين ، فتداولتها الآثار ، وملئت منهـا الأسفار ، وعدت فى زمانهم بمسألة رأى لا دين ، وما ذلك إلا لظهـور النزاع ، وعدم تأتى الاجمـاع منهم فى كل حين ، وعلى كل من عرف الحـق ، وأبصر الصدق ، أن يأخـذ بالأعدل ، تاركا للأهـزل ، فانه من غـير ما لبس به ولا مين ، عين فرض له على الأصح وفرض عين •

وانما عد اختلافا كما ساغ من مثله فى المسـائل الخلافية ، كالقول بطهارة دم الباغى فى الآثار المغربية ، وتحريم شرب قهوة البن فى الآثار المشرقية ، فقد أثبتـا رأيا ، ورسما على ما بهما من وهن فى البرهـان ، ووضـوح الحق فى خلافها للعيـان ، وفى أقوال السلف من الصحابة والخلف ، من نظير هذا فى النوازل الفقهية ، ما لا يحصى عده ، ولا يكاد يحصر حده ، وكفى به عن الاطالة ، والله أعلم •

*** مسـألة :**

ومنه : وهل يصح عندك سيدى ما يوجـد عن قومنا ، فى أن اللـه تعالى آيات أنزلهـا على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وثم نسـخ قراءتها ، وأبقى حكمها كالرجـم ، فقـد زعموا أن آيتهـا قد نسخت قراءتها ، وأبقى الحكم منها أولا ، ولعـل مثل هذا يوجـد أيضـا فى بعض كتب المغربية ، وبقينا شـاكين فى صحته ، لأن حكم الرجم عندنا أن السـنة قد جاءت به تفصـل بايضـاح ما عندك فيه ؟

قال : الله أعلم ، والذى عنـدى فى هـذا أنه مما يحتمل الصحة فلا يبين لى وجـه انكاره بعد ثبوت معناه من كتاب الله تعالى ، قال الله تعـالى : (ما ننسخ من آية أو ننسـها) فقد أثبت الوجهـين

النسخ والانساء ، فالنسخ فيما بقى لفظه ، ونسخ حكمه بحكم آخر ، والانســاء لا يكون إلا فيمــا يفلت من الصــدور ، فلم يبق لفظــه ولا معناه ، وقد ورد الحديث فى مثل هذا يؤكــده ، فيدل عليه ويؤيده ، وهو فى النظر صحيح •

وما روى من آية الرجم وأنها مما أنسى ، وبقى الحكم بها فغــير بعيد ، والقول بأن الحكم به الآن من الســنة هو الأظهر ، لأن المنسى من الآيات لم يثبت التعبد به جــزما ، ولا قامت به أبدا •

وروايــة من يروى أن فيما أنــزل الله آية الرجــم : والشــيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة ان الله عــزيز حكيم ، كأنه غــير ملائم للمعنى ، ولا لائق بلفظ القــرآن ، ولا قريب من الصــواب فى شىء لمعــان •

أحدها : أن ما أنســاه الله عباده من هذا النــوع فلا سبيل الى حفظه البتة ، وإلا فليس بمنسى ، واذا كان محفوظا فما له لا يقــر فى موضعه •

وثانيها : أنه لا يثبت لفظ الكتاب العزيز •

وثالثها : تقرير الحــكم بالشــيخ والشيخة فى موضــع المحصن والمحصنة ، وبينهما البون كمــا لا يخفى ، فــدل باللفظ والمعنى على ما تفرسناه فيهــا ان صح ما قلناه ، فلينظر فيه ، والله أعلم •

بســم الله الرحمن الرحــيم

هذه الكلمات استحسنتها ، وهى صفة فى علم الحقيقة لمن أراد ذلك ، عن الشيخ العــلامة سعيد بن حلفان الخليلى ، مخاطب ومؤشرا

فيها للشيخ الزاهـد سيف بن محمد ، وأحببت أن أكتبهـا قوله على نسـق كلام متقدم :

وذكرت أنك تريد شيئا من كلام الحقير مما قرأته عليك من علم الحقيقة ، فالقصيدة واصـلة اليك ، وأما ما ذكرته من علم الحقيقة ، فليت شعرى كيف هو تكون ، وكيف يجمـل بمن لا حقيقة له أن يتكلم فى علم الحقيقة ، فيكون بذلك مدعيا لمـا هو ليس من أهـله ، ودالا على ما استوجب هو أن يسـتدل عليه بغيره ، ولكن ظننت أن المطلوب هو ما تذاكرناه من قبـل فدليتك به من صفة الدخـول فى ذلك إلا لمن أراده ، وسعى له سعيه بالمجاهدة والاخلاص ، وقطع الشواغل الدنياوية بل والآخـروية ، فلا يكون همه أبدا فى شىء إلا فى سلوك طريقه الى أن يـذوق شربة من رحيقه ، متوجهـا الى الله ربـه ، بتطهر قلبـه فى مقعد صـدق عند مليك مقتدر •

واذا شئت ذلك فطهر أولا قلبك بالاخلاص ، والتوكل على الله ، والرضا بقضـاء الله فى كل أمر ، وتوجه الى الذى فطـر السموات والأرض حنيفا ، مستقيما فى طريقك من غير تواهن و تلجلج بقوة عزم وصدق إرادة ، وذلك بعد تطهر النفس من العلائق الرذيلة القاطعة من حب الدنيا ، والميل إلى الشـهوات ، وما أشـبه ذلك من الشبهات ، ولا أظنها تخفى عليك ثم تطهر بعـد ذلك من الأوسـاخ ، وثيابك من الأدناس ، وجميع الأرجاس •

وتعمد الى خلوة طاهرة خالية من حسـوس البشر ، وينبغى أن يكون ذلك فى بيت ضيق مظلم ، وان لـم يتفق ذلك ففى حيث أمكن من الخلوات ، فى بيت أو مسجد أو كهف ، أو جبـل أو شىء من السيوح والأودية ، وتكون صائما نهارك كله فى مدة الخلوة وفطرك على ما ليس

فيه روح ، ولا خرج من روح من الأكل اليسير ، بمقدار ما يقوى به على أداء الفرائض ، وذكرك فى مدة الخلوة كلها اسم الجلالة وحده ، هكذا الله الله الله الى أربعين يوما ، لا تفتر عنه ليلا ولا نهارا إلا فيما لابد منه من الصلوات اللازمات من الفرائض والسنن المؤكدة ، ولا تنم إلا عن غلبة ، ومتى انتبهت تداركت الذكر فى الحال .

وان احتجت الى صاحب يناولك طعامك وشرابك ، فلا يضرك ذلك ، ولكن لا تكثر الحديث له ، ولا يضرك ان حدثته بالقليل فيما لا تجد بدأ عن ذلك ، وينبغى أن تحضر فى مجلسك ما تقدر عليه من الطيب ، وتطيب نفسك وثيابك والموضع .

واحذر اذا انكشف لك شيء من الأسرار أن تشتغل به عن وردك ، بل كن كأنك لم تر شيئا من ذلك أصلا ، فما ترتقى من كشف إلا وجدت وراءه ما هو أكبر منه وأجل ، والغزالى لا يشترط فى ذلك مدة معلومة ، ولكن يقول : تبقى على ذكر الاسم الى أن تجد قلبك حاضرا فيه الاسم ، كأنه يتكلم به ، ولو لم تنطق لسانك .

فاذا بلغت ذلك فاثبت عليه ، ودع حركة اللسان ، فليس المطلوب إلا حركة القلب بالحضور الكامل ، فاذا بلغت هنالك ، فاثبت على ذلك ، الى أن أن تجد معنى الاسم حاضرا فى القلب ، ثابتا من غير حركة باللفظ ، فهى المرتبة الكبرى ، فاثبت عليها ولازمها الى أن يتمكن ذلك من قلبك فينسيك كل ما سواه ، فلا تشعر بنفسك ولا دنياك ولا بشيء غير الله قطعا ، فهذه هى المرتبة لا فوق فوقها فى شيء من هذا العلم ، وهى هى التى يسمونها بالفناء الغيبى ، وكيمياء السعادة الأبدية .

وعنـدها تشـاهد بالكشـف مواطن الملك والملكوت ، وتشـاهد العجائب والغرائب ، وتشرف على مقام كن أكبر الله أكبر الله أكبر ، أمر جليل يحق للعارف أن يسمح بالنفس فى طلبه ، وذلك سهل لمـن يسره الله تعالى له ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « كل ميسر لمـا خلق له » •

وأما نحن فقد التقطنا أحاديث الأقوام ، فقمنا نتكلم على قياس ما ذكروا من ذلك من غير تجـرد ولا تجـربة ، لكن دلتنـا شـواهد العقول ، وصحة النقـول ، على أنها من المقبول كمـا جاء فى الحديث النبـوى : « من أخلص لله أربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه » فهى هى وإلا فالمرء من المؤمنين قد يخلص فى أكثر من تلك المدة ، ولا يكون كذلك ، ولا يتكل الانسان فى ذلك على الأربعين ، فان القلوب قد تختلف أحوالهـا ، ولا شك فان استحكم فيه الصـدى ليحتـاج أكثر من المـدة لجلائه وتطهيره ، حتى يـكون قابلا للطـائف الواردة عليه ، بخـلاف الطاهر الزكى •

واذا كان نبى الله موسى عليه السـلام مدده ربه ثلاثين ليـلة فأظنـك بمن كان من أمثـالنا ممن غلب عليـه الصـدى ، فافسـد قلبـه •

اللهم نسألك الاعانة على سلوك هذه الطريق ، والأمن من مواطن أخطارها ، والهداية لقطـع أوعارها ، وأن تجـعلنا ممن أخلص لك ، وتوكل عليك ، فكنت له أنت وكيـلا ، وكنت له دليـلا ، ويسرت لـه اليك سبيلا ، فهديته الى ما هو له أقـوم قيلا ، وجنبته عن مواطـن الزيغ والردى ، وأشرقت فى قلبه مصابيح الهدى ، فانـه لا سـبيل الى ذلك إلا بك ، ولا قوة لنـا على شىء منـه إلا بتوفيقك ، (اياك

نعبد ، واياك نستعين • اهدنا الصراط المستقيم • صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) •

فهـذه يا والـدى نصيحتى لك ، وذخـرتى لديـك ، واللـه خليفتى عليـك •

* مسـألة :

ومنه : أن الشيخ ناصر بن أبى نبهـان يقول : لا يعلم اليوم أحدا يقرأ القرآن بتجويد ، وان كتب التجويد من قومنا لا يصح الاعتمـاد عليهـا فى ذلك ، وأنه قال : لو سمعت أحدا يدعى تجـويده ، وهو امام لما صليت خلفه ، هذا كلامه فأوضح لنا حقيقته ، والسـلام عليك ؟

الجـواب :

أما قوله : لا يعلم فذلك اخبـار عن علمه بقراء زمانه ، وغـير مكلف ما لم يطلع عليـه ، ولذلك أنه لم يقـل بالقطع انه لا يوجـد فى دهرك من يعلم تجـويده ، ويحسن ترتيـله وترديده ، لأن هـذا مقتضاه القطع بالغيب ، وتعاطى الغيوب من المعيب ، فلذلك نزه الشيخ نفسـه عن ذلك ، ثم انه لم ينكر هذا العلم التجـويدى ، ولا قال ببطـلانه •

وانما أخبرك عدم العلماء فيمن وجـد من أهـل زمانه ، وانى لأقول بحـق ، من حـديث صدق ، انى لا أعلم فى دهرنا من أهـل عصرنا من هو فى مصرنا بالتجـويد خبير ، عالم بصـير ، فان كنـت واجـدا ولو واحـدا فدلنى عليه ، ودعنى من المتكلفين الذين يدعون العلم بجوامعه ، وهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، لم تجـد منهـم ميمونا على ذلك مأمونا ، فنتخـذه لنا قدوة ، ونرضى به لنا أسـوة ،

والمصنفات المذكـورة ، ولو كانت مشهورة ، فلا يمكن تعاطى ذلك العلم منهـا بالنقل عنها ، إذ لابد فيـه من مشاهدة شيخ يريك رسـومها ، ويكشف مختومها ، بعـد تخلصـه من رياضة نفسـه ، متفرغا لتمرين غيره بادراجه فى سمط المجاهدات ، بمعاهدات تلك الرياضات ، فانه علم الرياضة اللسانية بأحكام المخـارج الحرفية ، بالأنواع الكمالية •

من عجائب صفاتها ، على قوانين اختلافاتها أو ائتلافاتها ، مـع تنوع مواقعهـا ، فى مراتب مواضعها ، بمحـكم درجاتها ودقائقهـا ورقائقهـا ، وما أظنـك عـارفا بكيفية هـذا العلم أصلا ، والا لمـا استنكرته مما سمعته جهلا فانه علم غريب ، وبناء عجيب ، قد وجدناه مأثورا ، فى الكتب مسطورا ، فلم نستطع عبـورا فى بحره لبعد فقـره ولم نستغن لتعريفه ، من الكتب بتوصيفه ، إلا لنتحـدث بما وجـدنا كما استفدنا ، كقواهم فى مخارجهـا الأصلية ، حلقيـة ولهوية وشجرية وأسلية ولثوية وذلوقيـة وشفوية وهوائيـة ، أو صفاتها الضرورية ، كالجهـر والهمس والرخاوة والشـدة والمنفتحة والمنخفضـة والمستعلية والمضمنة ، والمذلقة والصفير والمتفشية والمسـتطيلة واللهـوية والقلقة أو نعوتها الجمالية الحسنية الكمالية ، كالترقيق والتفخيم ، والامـالة والفتح والتسهيل والتخفيف ، والاخفـاء والقلب أو الادغام أو الروم أو الاشـمام وهـلم جـرًا فى سـائرها الى آخـرها ، بتفـاريع وجوهها ، على اختـلاف أنواعهـا ، بمراعاة الجائز فيها حال وصولها ، أو الوقوف على فصلها •

وقد وجدت منها فى الوقف على الهمزة من الوجـوه المروية لحمزة خمسة وعشرين فى : (هؤلاء) ، وسـبعة وعشرين فى : (قل أئنبئكم) ،

وستين وجها فى قـوله : (ان أولياؤه) فأين رجـال هـذا الميـدان ، وفحـوله وهذا الأفنان ، قد ضمنتهم الأرماس ، وغيبت منهم النـاس ، وبقينا من وجود أمثالهم على اليأس ، فكان الأولى بنا الرجـوع الى لسـاننا السليقى ، وأنه بحمد الله لعربى •

وكان الشيخ قد ظهر له من حـال المتكلفين ما حاصـله تشـدق بالكلام ، وذلك بعيد عن المرام ، فلذلك شـدد النكير فيـه وقال : فكلامه صحيح لـكن على تخصيص معلومـه ، لا يتنـاول الـكل بعمـومه ، فلو وجـد الخبير به لكان القـول باستحسانه منـه قـولا فصـلا ، ولصار الرجـوع اليه أصـلا ، وغير ملوم أنت ان ذهب بك العجب ، الى كل مذهب ، فالمـرء عدو ما جهـل والسـلام •

✻ مسـألة :

ومنه : وما تقول فى دخول الكنيف بالأسرار ، ولبس الجنب لهـا أهمـا مما يبطلهـا أم مما يكـره ؟ واذا ثبت أنهمـا مكروهان أتـكون كراهيتهما كراهية تحريم أم تنزيه لهـا تفضـل بالبيان ؟

الجـواب :

لا أدرى فى الأسرار قولا من أهل العلم مما يكره لحائض ولا جنب ، ولا فى كنيف ولا فى غيره ، ولا ان شـيئا من ذلك مما يبطلهـا ، لأن موضعها القلب ، ولا يلتبس شىء من هـذا لم أرد بقـولى الأسرار ما أخشى فيه من المودعـة فى القلوب ، فانما أردت بها ما انطـوت عليه أسـماء الله العظام من الأسرار الخفيات •

فهل ترى فيها ما استفهمتك عنه فى مسألتى التى أجبتنى فيها حسب ما أفهم لفظها ؟

الجــــواب :

لا نسام المجيب على ما فى القلب هو السر العجيب ، وقد أجمل السائل لما احتمل كثيرا من الصور فيما هو قائل ، ففى الحديث أن سر الله فى الأرض القدر ، وبعض أهل العلم قال للسر فى الحجر ، ورآه آخرون فى الشجر ، وأثبته قوم فى الشعر ، وفرعه آخرون الى كثيرة أنواع أخر •

وان رجعنا الى ما كان من الأسرار فى الآيات ، أو فى الأسماء المعظمات ، أو الحروف المطلسمات ، أو الاوفاق المشكلات ، فأمر آخر يقتضى ، ولابد لحملة أحكام لكن نفس الأسماء ، وما تنطوى عليه من الأسرار الخفية يشبه أن يكون على وجوه كثيرة من البسط والتكسير ، والمزج والترتيب ، والاستخراجات والتكعيب ، والتوليدات المتسلسلة المستنتجة من بعضها بعض بالقوانين الحرفية ، والمرباطات الفلكية ، وقد يكون فى بعضها لبعده عن الأصل أو قربه منه ، ما تتبدل الأحكام به ، حتى لا يكره لبسه على حال •

ونفس الأسماء لا يمنع منها جنب ولا غيره ، ذكر أولا حملا ولا لبسا ، بخلاف الآى الشريفة كما ثبت عن الله تعالى لقوله لموسى عليه السلام : اذكرنى على كل حال ، فانه خير لك ، وذلك لا يبطل سرها •

اللهم إلا لأن الجنب والحائض ينبغى وضعهما لذلك ، لما ثبت فى الحديث أن الملائكة لا تقربهم بخير ، وهذا مضاد للأسرار المأمولة ، وأخاف أن يكون فيها ما يبطل ذلك من غير نص أحفظه ، فينبغى

أن ينظر فيه ، فانه لا على الاطلاق أيضا فيما أرجوه ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : وقد وجدنا شيخنا فى الخطبة لا ينسى الله لعباده عملا ، ولم نعرف نصب هذا الجلال وأوله إلا وكل موفر حظه كملا ، لا يسى الله لعباده عملا ، وهو بخط ناسخ نحوى عمر بن مسعود المنذرى ؟

الجواب :

نصبه غلط من الناسخ ، والصواب رفعه ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : وقد ارتابت شيخنا قلوبنا من موت الأطفال وغصصهم بخروج الروح ، وهم لم يجنوا شيئا فى دنياهم ، أهذا شيخنا عبرة للناظرين ، أم يكون لهم عذاب فى الدنيا لئلا يخرج أحد منها من غير مكابدة ؟

الجواب :

أما تألم الأطفال وغيرهم من البهائم بالأمراض والموت ، فليس هو محتاج الى علة لا من ذنب ولا غيره ، فليس السقم مقصورا على حاجة ، ولكنه من فعل ما لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

سؤال من خميس بن سليم الأزكوى لشيخنا الخليلى :

أنهى الى البـــدر الـــذى تبلجـــا
فى ذا الزمـــان نـــوره وقـــد دجـــى

ومن هـــو المـــرء اذا ما عرجـــا
عليـــه قـــر ناظـــر وابتهجـــا

والخطب أن يـــدج جـــلاه بالحجـــا
والنجـــم لا يشرق الا فى الدجـــى

ومن غـــدا مقـــداره قـــد عرجـــا
فـــوق الســـها والفرقـــدين معرجـــا

ســـليل خلفـــان بن أحمد رجـــا
كل صريخ جـــاء يبغـــى المنهجـــا

حيث يقـــال ان يـــزغ ويرتجـــا
تفســـيرها أى أخبرنى فأنهجـــا

لازال فى العليـــا يعلو درجـــا
عـــزا يـــرى الأنس به والفرجـــا

مســـألة عـــن أرأيـــت انبلجـــا
فيهـــا مـــرامى فاهـــدنى المنهجـــا

اســـم لفعـــل هى أم فعـــل يحجـــا
وماضـــيا كصـــوغه المعلـــوم جـــا

ولفظهــــا فعـــــل مضى نهجـــــا
فمــا لمعنـــــــاه لأمــر عرجــا

والتــاء فيهــــا أضــمير ولجـــــا
هنــاك أم حـــرف خطــاب نهجــا

والكاف بعــد التا لأى قــد لجــــــا
نحــو أرأيتــك اليحــاميم العجـــا

ما لذى التا مطلقــا بهـــا يجـــــــا
مفتـــوحة ان كافهــــا تولجـــــا

فاكشــــف لنــا برفــع لبس مدمجـــا
عن وجهـــــا لنبــدى التبرجـــــا

لازلت نبراســــــا لنــــا توهجـــا
فى كل ليـــــل للخطـــوب قــد سجا

ومن خميس خــذ ســــلاما أبهجـــــا
تحيــــة منـــــه اليـــــك سجسجا

فأجــابه رحمــه اللـــه :

هــــــاك جــوابا ببنـــــات أعوجـــا
ينــوء لو حمــلن منــــه الأرجـــــا

والحــق فى الوزن ثقيــــل حيث جــــا
يهـــدى تحيـــــات بهــا تموجـــا

لطـــالب فى أرأيــت المنهجــــــا
فعــلا بصــــيغة المضيى انتســــجا

والفاعــل التــا فى الأصـــح حججــا
والكاف حــــرف للخطــاب أدمجــا

ومــا بفعـــل غـــيره تولجـــا
إذ لاســم فعــل أو مضــاهيه يجــا

بــه عــلى الخصـــوص أنى ولجــا
كمثــل ذياك وهـــاك البهجــــا

وذا الــذى يســهل فى التــا النهجــا
أكان هــذا الكاف إذ لــم يلجــــا

فعــلا ولا محــل اعـــراب لجــا
صــار مــع التـــاء كشىء نسجــا

معــا على فتحتهـــا ما سمجــــا
وعبروا عنهـــا بأخبــرنى رجــــا

اصـــابة المعنى الــذى تبلجــــا
ســهلا لاســتفهام ذاك المخرجــــا

كمثــل أألســلمتم يــا من نجــــا
والعــرض والتخصيص فيــه خرجـــا

ذوا والدعــا فليس يأبــاه الحجـــى
فرحــم اللــه فتى لـــه ارتجــــا

معنـاه رب ارحمـه واكفـه الرجـا
ولكنهـا ممـا القيـاس اختلجـا

عنـه لتخصيص لهـا بـذاك جـا
والحمـد للـه الـذى قـد ثبجـا

من الهـدى ما قـد يزيـل البهرجـا
بالحـق حمـلا بالثنـاء مبهجـا

وما قولك فى قولك ؟ :

وفيهـا مقـامات لأهـل سـلوكها
سموسـا واقفـارا تنير وأنجمـا

لفظة تنير معدى أم لازم أم يجـوز فيها الوجهين وما محلهـا هنـا ؟

الجـواب :

لازمهـا تنـور ومعداها تنير ، وشـتان بين نير فى نفسـه غـير منير لغـيره ، وبين منور لغـيره نير فى نفسـه ، لأنـه كلما أنـار لغـيره فلا شـك أنه نير فى نفسـه ، وإلا لمـا تعـدى النـور منه لغـيره ، والمقـامات المذكورة واسـعة الأنوار ، مبثوثة أنوارهـا فى صدور أهليهـا ، وبهم لغيرهم أيضـا بما حصل التعـدى فيها ٠

*** مسـألة :**

ومنه : وما تقول فى الوفق والأسماء المتخذات للأوراد لشىء من

المعـانى اذا أجنب حاملهن فى المنـام وأزالهن منه فى الحين مع يقظته ، أتبطـل الخاصية منهن ، ويبدل غيرهن ، أم لا بأس بذلك عرفنى الحال وأنت المأجـور ؟

الجـــواب :

أما ابطال السر فالله أعلم ، لا أحفظ فيــه شيئا ، ويعجبنى أن لا تبطل ، وان خــاف بطلانه فليبدله ، والله أعلم •

*** مســألة :**

ومنه : وما تقول فى اخراج أعـداد الأملاك من الأوفاق إذا تقدم فى اللفظ الأقل من العــدد أو الأكثر منــه ، أو الأســط أكله ســواء أم لا ؟

الجـــواب :

يقدم الأقل إلا مع الألوف ، والله أعلم •

سؤال من جمعة بن خصيف :

هيــا من زكا فعــلا وفرعــا ومحتــدا
ومن برداء النزه والـــورع ارتـــدا

وأشرقت الأرضــون من نور علمـــــه
فلم يــدح ليــل الجهل مذ نوره بــدا

وعطـرت الآفــاق ريــا خصـــــاله
فلــم تــأت إلا وهــى فى أرج النــدا

ومن هـوان وافتـه عوصـاء راضهـا
وجـلا معانيهـا فنـار بهـا الهـدى

سعيد بن خلفـان المحلى الى العـلى
سـما كرمـا فخما ومجـدا وسـؤددا

فتيت فتى فى النائبـات مراغمـا
لـكل صريخ مقتـد بـك مهتـدى

أتيتـك روم الحـق لا متعنتـا
ولا عائبـا فيمـا بـه جئـت فى ددا

أيثبتـت قـول القـائلين بأنـه
الصـلوات ما أجيـب لهـا النـدا

عـلى جبتهـم أثنى على غلـط أتـى
وأثبتـه سـهوا شفيعا لهم غـدا

فان صح ما قالوا فمن أين قـد صفـا
وسـاغ لهم هـذا قبـولا ومـوردا

وقد كان معصوما من السهو فالـذى
أتانا بـه من ديننـا أمثـل الفـدا

وكان عـزيزا ذكـر ربى لـم يـكن
ليأتيـه الشـيطان قد ضل واعتدى

والا فمـا معنى تمنى نبينـا
واخـوانه ان كان فى الذكـر مـوردا

والقـاء ابليس اللعـين ونسـخه
أفـدنى جـوابا شافيا يكشف الصـدا

ببسـط وتفصـيل رحـاقا ختـامه
من المسك سلسالا صفا يقطـع الصـدا

فاجـابه رضوان الله عليـه :

ألا قل لمـن ألقـى البحـوث وأوردا
الـى من باعيـاء وعـى تفـددا

وضـاق بحـل المشـكلات ذراعـه
وفى واضح التأويـل لم يمتـدد يـدا

ولـكن ذيـا عن حمـى الآى قادنـى
لدفع دواعى الطعـن ممن بـه اعتـدا

لقـد شـاع فيما ذاع بين أئمة النقـا
ســير فى ذاك النـزاع ممهـدا

فقيـل تمنيـه لإيمـان قومـه
مزيـدا له حرصـا عليـه موكـدا

وقيـل تمنى دفـع مسـكنه بـه
فأصـبح مشـغول الفـؤاد مبـددا

وفيـه عن اللـه اشـتغال بغـيره
فأضحى الى الشـيطان ذلك مسـندا

كمـا قال فى الشـيطان أيوب مسنى
بنصـب وتعـذيب عـلى تعـددا

فسـلاه رب العرش ان كان مصطفى
تمنـى يـلاق ما لقيـت ليحمـدا

ولـكن يزيـل الله بالنسـخ عنهـم
وسـاوس ابليس وما كان شـيدا

ويحـكم آيـات الكتـاب بعصمة
النبيـين إذ كان الإلـه مسـددا

وقيـل تمنـى أى تـلا آى ربـه
تمنـى داود الزبـور المؤيـدا

فخـلط فيـه قـومه ما يغمـه
بنسـبتهم إيـاه للوحـى مسـندا

ومـا كـان إلا إفكهـم دون قـوله
وما نطقـت منـه لسـان لا اعتـدا

فـذلك ما ألقـاه شـيطانهم لهـم
كمـا قال والغـوا فيه من كان ملحـدا

فينسـخ عنـه اللغـو والإفـك ربنـا
ويحـكم آيات بهـا النـور والهـدى

وقيـل بـلا والنجـم فى مجلس بـه
يخاصم فى الأصـنام من كان أفسـدا

فقال أهاتيك الغرانقة العلى
وهل يرتجى منها الشفاعة والندى

كلاما له عن نفسه فى احتجاجه
عليهم به مستفهما تلكم العدى

كما قال ابراهيم هل يسمعونكم
وهل منهم ضر ونفع تولدا

وهمزة لاستفهام تقدير حذفها
يصح ومن يفعل فليس مفندا

وان نكث الأقوام خلى سبيلهم
وعاد الى القرآن يتلوه منجدا

فما رابه إلا متى خر ساجدا
مغالطة منهم يخرون سجدا

وسموا عنادا مدخة منه ما بدا
على أنفها أمضى الحسام المجردا

فأخبره جبريل والله منزل
من الآى ما تبقى على الدهر سرمدا

فهذا الذى الشيطان ألقاه هاهنا
وبنسخه الرحمن نسخا مؤبدا

وما صار كيد المشركين وإفكهم
ولن يطفئوا من نوره ما توقدا

ومن قـال ان المصـطفى زل أو سها
وفى الوحى بالوسواس قـال وزيـدا

فقـول مخـل بالوثـوق بعصـمة
النبيين والقـرآن والوحـى ان بـدا

وجـوز بعض كـونه من قبيـل مـا
به يبتـلى الرحمـن من قـد تعبـدا

ليعـلم من فى ايمـانه راسـخ ومن
يزلزلـه شـك ويزعجـه الـردى

ومن أعجب الأشـياء شىء سـمعته
رسول أتى بالوحى من ربـه الهـدى

يقول ولـم ينطـق هـوى ثم أكـدت
بان هـو إلا الوحـى من رب أحمـدا

ويتبعـه بالسـهو فى إثر قـوله
وإلقـاء شـيطان عليـه تمـردا

أمـا فى متـون الآى مارد نطقـه
بهـا زللا آمنت بالآى فاشـهدا

وما جعـل الرحمـن فى الآى مدخـلا
لإلقـاء شـيطان وتلبيسـه اعتـدى

وظاهـر ذى الآيـات لـم يأت كـله
تأولـه والحـق يجـلى به الصدى

أصـاب وجـوه الحـق فيـه عصـابة
جـلوا منـه للسارين بـدرا مخـلدا

فهـذا جـواب من ضعيف فـان يـكن
هـدى فاشـكر الله الذى عبده هـدى

سؤال من جمعة بن خصيف :

سؤال لشـيخى الفقيـه الرشـيد
سـعيد بن خلفـان غـوث الطـريد

لمـن ذا تـكون الشـفاعة مـن
أهلهـا يـوم تبـدو أفعـال العبيـد

فمـا ان تجـوز لأهـل المعـاصى
الجـديرين بالنـار ذات الوقـود

وأفلـح أهـل الفعـال الجميـل
بـدون شـفيع بفضـل المجيـد

وفيـم تـكون من الإثـم يـاذا
البراءـة يا ذا المقـال الشـديد

فهـات الجـواب هـديت الصـواب
جـزيت الثـواب لـذا المستفيد

فأجـابه رضوان الله عليه :

ألا بلغـــن روات القصـــيد
مقـال سـراه نحـارير صـيدا (١)

لقـد خالفـوا البطـل إذ وافقـوا
على الحـق آى الكتـاب المجيـد

فما لظـلوم شـفيع يطـاع
نفـت كونهـا لغـوى مريـدا

ولا يشـفعون لمـن لا ارتضى
بهـا تثبتـت لـولى سـعيد

فلا تثبـتن من الاسـم جـزما
شـفاعته مـن كبـير سـديد

ولكنـه شـافع للـورى
بيـوم القيـامة يـوم الوعيـد

إذا اشـتد كـرب بطول الوقـوف
وغصـت بـذلك نفـوس العبيـد

فيأتـون آدم يستشـفعون
بـه وخليـل العـزيز المجيـد

---

(١) الصيد : جمع أصيد ، وهو الملك والأسد ، والنحارير : جمع نحرير وهو العالم البليغ ، كأنه ينحر العلوم نحرا ، وسراة : جمع سرى وهو الشريف . ا ه .

ومـوسى وعيسـى فـلا يشـفعون
لتفـريج شـدة كـرب مزيـد

فينهض خاتمهـم شـافعا
ويلهـم كل الثنـاء الحميـد

فيأتـى ويشـفع فيهـم ويعطى
لـوى الحمـد فى يـده والسـعود

فهـذا ومحتمـل غـيره
لأهـل التقـى فى جنـان الخلـود

كرفـع محـل وتقـريبه
وتعظـيم منزلـة للسـعيد

وأمـا مقالهـم أنهـا
لأهـل الكبـائر غـير الجحـود

فهـذا جـواب لمـن جـاء عن
إلـه السـموات رب ودود

فخـذ ما أتـاك ودع غـيره
وربـك فاشـكر تفـز بالمـزيد

وله رضـوان الله عليـه :

تـوق اذا سـافرت ان كنت تتقـى
جهـات بأيـام أتـت عـن منمـق

ففى الأحـد احـذر مغـربا كعـروبة
وفى السـبت والاثنـين دع كل مشـرق
ومثـل الثـلاثا الأربعـا فى شـمالها
وجانب جنـوبا بالخميس توفـق

وله أيضـا رحمه الله :

فى الشـهر يومـان رتبت كلمـا
خـذها محـاذية عـد الشـهور معك
ألفاظهـا من حروف الجمـل ائتلفـت
للفصـل فى وسـطهن الواو يظهر لك
دوهـى أوج يـوك أوه بوهـى أود
ايوبى حـرد ووط ووح ونـوه و د ك

محرم صفر ربيع الأول ربيع الآخر جمادى الأول جمادى الآخر
رجب شعبان رمضـان شـوال القعـدة الحجـة

ومن كلامه رضوان الله عليه :

فى كل شهر رأوا يومـا بـه نحسـا
خـذها مرتبـة والواو فيصـلها
بأحـرف ضمن سـمط مفـرد جمعـت
ينبيـك عن عـدها المشـهور جملها

بـــى وى ودوح ودك و ب و ب ى
وجك ودك و ح و ح ك و ح تـــم مجملها

محرم صفر ربيع الأول ربيع الآخر جمادى الأول جمادى الآخر
رجب شعبان رمضـــان شـــوال القعـــدة الحجـــة

ومن كلامه أيضـا رحمه الله :

ان التى منجيـــات ســميت ســور
خـــذ نظم أســمائها كالدر فى الســلك

كهـف وجـــرز ويس وفصـــلت
الدخـــان واقعـــة بالحشر والمـلك

ومهلكات المعـدى ســبع أتاك بهـــا
بيت بتـــورية من أحســن الســبك

مزمـل فى بـــروج طـــارق بضحى
لشرح قـــدر قريش فى شـــذا المســـك

والمنقـــذات لنا ســـبع بكوثرهـــا
وافت وســـت تليهـــا بعـــد كالحبك

بســم الله الرحمن الرحـيم

وبه نســتعين •

الحمـــد لله الذى هدى عباده لمعرفة الحساب ، فضـــبطوا السنى
وقائعهم وأيام نوادرهـــم بالتاريخ لئـــلا يقـــع فيهـــا الارتياب •

وصلاته وسلامه على رسوله القرشى ، وعلى آله وصحبه فى الضحى والعشى •

أما بعد :

فهذه أبيات منقولة فى ضبط التاريخ سيل عظيم وقع بمكة شرفها الله تعالى ، حتى قيل : ان الماء وصل الى القناديل ، ودخل الحرم الشريف وهى هذه الأبيات قوله شعرا :

أتى السيل مجتاحا لمكة طالبا
فطهرها واجتاح منها الأباطيلا

وما قصد الضر الشنيع وانما
أراد من الركن المعظم تقبيلا

يقولون أرخ كونه قلت فاكتبوا
سمعت بأن الماء لاقى القناديلا

لما مر على هذه الأبيات شيخنا العلامة الفقيه الأستاذ سعيد ابن خلفان الخليلى راقته طرتها ، وأعجبته بردتها ، فاستطرف منها صيغة التاريخ غاية الاستطراف ، إلا أنه استدرك على ناظمها معنى معنى البيت الأول منها ، لكونه أثبت لمكة وحرمها أباطيلا ، كأنها قارة فيها فاجتاحها هذا الآتى المزيد ، وكان الأولى حسم ذكرها رأسا ، واستعمال ما يدلى بالمدح الجميل لها ، والثناء الحسن عليها ، والتقديس لمحلها عن اقترانها بالأباطيل ، كما تقرر رعاية لها ، لما خصت به من الشرف الباذخ الغريق ألا هو حرمة البيت العتيق •

وحين كشف لى هذا الشـيخ عن هـذا المعنى الحسن البسن ، وأطلعنى على ذلك النسج الدقيق بل له نسج اليمن ، تشـوقت الى سكه فى قالب الحسن واللطافة ، وتاقت نفسى الى ابراز صـورته النورانية كمـا استجلى أوصافه ، فلم أر من بذلك الغرض نسيج وحده فى عصره ، سوى ذلك الشيخ الـذى تشرف القلم آنفـا بذكـره ، فحاولت حينئذ من جنانه حديا قصـدى ، ففاض به ثمدى وأورى به زندى ٠

فقال : وقد ضمن ذلك التاريخ السيل الذى وقع بمكة ، ودخـل حرم الكعبة فى سنة ١٣٧٩ ٠

فقـال :

لقـد حج بيـت اللـه سـيل عرمرم
وطـاف كمـا طـاف الحجيج وسـلموا

تشـوق للبيت العتيـق ومكـة
فجـاء كمـا يأتى المشـوق المتيم

وقبـل منـه الركـن والحجـر الـذى
تسـاما فحيـاه الحطـيم وزمـزم

فلا تعجبـوا ان عاد ذكـرا فانـه
تعاظـم قـدرا مثـل ما يتعظـم

وما كان مجتـاحا ولا مفسـدا لهـا
ولـكن بـه من رحمـة الله أنعـم

يطهـر أوسـاخ البقـاع مقدسـا
لمـا مسـه منهـا عصى ومحرم

كمـا بفنـاء البيت والحجـر اغتـدت
تطهـر أوسـاخ الذنـوب وتحسـم

فلـه من أرضـ مقدسـة بـه
وتاريخـه حيـا غمـام مسـلم

فتأمل فيهـا أيها المتوسم ، فهى لعمرى خريدة لا يظفر بمثلهـا الخطاب ، تكاد أن تعشـق بمجرد الصفات من وراء الحجاب ، ثـم ان شـيخنا البحـر الزاخـر الفرات ، بعـد ما طرز حواشى هـذه الأبيـات ، سـنح له فى تأمل ذلك التـاريخ ابرازه فى صـورة غير الأولى ، على أرفـع من الريح ، فقال شـعرا :

قـد سـمعنا ما لم يـكن مذكـورا
آيـة تمـلأ المسـامع نـورا

ذرفـت أعـين السـحائب من خشـية
رب السـماء دمعـا غـزيرا

سـكبته مـاء ولـو انهـا اسـطا
عت لأجـرت من الدمـاء بحـورا

فأتـى سـيلها وفى القـلب منـه
خفقـان تظنـه مذعـورا

عجبـا هى عطفـه وهو الزحـا
ف والجفـن منـه أضحى سـهيرا

أقلقتـه مخـافة اللـه حتى
حـل بطحـاء مكـة مستجيرا

أدركتـه عنـاية أوردتـه
حـرم اللـه بيتـه المعمـورا

يطلـب العفـو والأمـان من اللـه
وكـان المـولى سميعا بصـيرا

عقـد النـذر والطـواف فقـل
تاريخـه فاجـى السيل وافى النـذورا

فنزه أيها الناظر ناظريك فى رياض نظم هذا الشيخ المولوى إجتـلاء محاسن غـيره ، واجتناء أطاييب ثمره الطرى ، فانك تظفر هنالك بمـا يربوا فى القيمـة على العين ، بل لعمرى بمنية النفس وقرة العين ، وقد نظمت أيضـا على هذا النمط ، وان كان ما نظمته عن مشاعر ذلك الشيخ وسـط •

فقلت وهذه ستة أبيات مع النثر لخميس بن سليم الأزكوى :

رووا أن سـيلا حج فى عسكر مجـر
وقـد فـاز لمـا طاف بالبيت والحجـر

وأحـرم كـى يقضى مناسـك حجـه
الى البيـت من شـفع هنـاك ومن وتر

دعـاه الى ذلك الخضـوع لربـه
فلبـاه كالسـاعى على رجـل الخضر

ولا غـــــرو اذ لا شيء إلا بحمـــده
يســبح أو حجبت اذن أدمــع القطــر

ومــا كان جيحــون وســيحون مثــله
ولا الدجلة الزوراء ولا النيــل فى مصر

ولكن فى تاريخـــه وصف قــــدره
فتاريخـــه أضحى وقــد فاح كالبحــر

نقلت من خط العــلامة الخليلى ولعــل البيتين من كلام القافيتين الهائية والرائية له رحمة الله عليه .

ومن كلام جمعة بن ضيف :

ما لنــــا لا نســـتعمل التشــميرا
أنرجــى فى هـــــذه التعمــــيرا

متوانـــين فى المســـير الى اللـــه
وما حـــظ مبطــىء موفــــــورا

وســــوانا بالبــاب فى كل حــين
واقــف يطلــب الرضــــا مســتجيرا

ان فى ذا الآيــــة ودليــــــــلا
لفتى كـــان بالأمــــــور بصــــيرا

ومن الآى ان تطـــــوع ســـبيل
حــين حج البيـــت العتيـــق منــيرا

جـــاءه واســـــــلا بـــه مســــــتجيرا
ومن اللـــــه خائفــــــــا مذعـــورا

قبــل الحجــر منه والحجــر الأســـود
ان فى ذلك الســـــــواد لنــــــورا

أغبطتـــه الســــــيول اذ حاز فضـــلا
من ملاقـــاته الحطـــــــــيم كثـــــيرا

وتعـــالى قـــد قـــدر العليـــا ما حـــج
لـــذا كـــم قـــد صـــار بحـــرا غــزيرا

أرخـــوه قـــد بايـــن البيـــت حـــزنا
بعـــد أن حـــج حجــــــــه مـــبرورا

وقال بعضهم شـــعرا :

من خـــاف من نـــاب الزمـــــان وعضه
فليزرع القــــت النضـــير بأرضـــه

فى كـــل شــــهر منـــه تأتـــى غـــــلة
تغنيــــه عن دين النجيـــل وقرضـــه

فقال مجاوبا له رحمه الله :

من خـــاف من نـــاب الزمـــان وعضه
فليـــدع رب العـــرش خـــالق أرضـــه

فى كل يـــوم منـــــه تأتـــى رحمــــة
تغنيـــك عن دين البخيـــل وقرضـــه

وللمتنبى فى هذا الشأن :

اذا لم تجـــد ما يبتر العمر قاعـــدا
فقم واطلب الأمـــر الذى يبتر العمـــرا

همـــا خلتـــان ثـروة أو منيـــة
لعـلك ان تبقـــى بواحـــدة ذكـــرا

ومن كلامه رضوان الله عليه الشيخ الخليلى :

اذا أنت لمن تبـلغ فى العـلم رتبـــة
فقـم واعبد المولى وأخلص لـه الشكرا

همـا رتبتـــان لكـــرام عبـــاده
وعـلم بهـــن اللـــه يحيى لـه ذكـــرا

ومن كلامه رضوان الله عليه :

أيا ســائلى صرعـــا صحيحا مجـريا
اليـــك مقـــالى بينـــا ليس يكتـــم

هو الواو ثم الشـــين واللام بعـــده
ضـــع الغين والخا أول الاســم تعـلم

وزاى تليهـــا الراء والطـــاء بعـــدها
ولام وهـــذا الاســـم بالهـــاء يختـــم

وضـــع ألفـــا من قبـــل وتاليـــا
للام وبين الـــكاف والغـــين يرســـم

فـذلك خوشـلغ برز طـلة اقتفـى
ويتلـوه اخـتلاكاع والله أعـلم

ثلاثـة أسـماء تظـاهر فضـلها
على أنهـا فى كف ذى الطهـر ترقم

فضـع كل اسـم مرتـين على الـولا
ومن بعـدها اكتب احضروا وتكلمـوا

ويسن نتـلوها الى حيـث قـوله
وكـل لدينـا محضرون لتعلمـوا

وما كل انسـان صـحيح موافقـا
لصرع ولـكن يصرع البعض منهمـوا

فدونـكه صرعـا صحيحا رويتـه
عن ابن أبى نبهـان ذاك القليـذم

هو العـالم الحبر المسـمى بناصـر
فلازال باللطـف الالهـى ينعـم

روى عن أبيـه السـيد القطب جاعـد
هـو العالم البحـر العظيم الغطمطـم

عليـه سـلام مثـل ما هـو أهـله
وذلك شىء حصـره ليس يعـلم

ومما هو مضـاف الى الكتاب عن شـيخنا البطاشى اسم الـزوج يطـلق على الواحـد أم على الاثنـين ويـكون مثـل الشـفع فى التسمية أم لا ؟

الجـــواب :

لا يحسن عندى أن يكون الزوج كالشـــفع ، لأن الشفع اســـم للاثنين ، والزوج اسم لـكل واحـــد معه آخـــر فيقال فيهما : زوجـــان لاشفعان ، والله أعلم •

*** مســـألة :**

وعنه وما ذكـــرته من السؤال فى الرجـــوع بتاء الفاعل الى ما عليه أصل البناء من السكون ؟

فالجـــواب عنه :

أن ذلك لا يمكن أن يكون لوجهين :

أحدهما : أن كون المبنى على حرف واحد مانع من السكون •

والثانى : أن تاء الفاعل يسكن لأجلهـــا ما قبلهـــا ، فاذا سكنت هى التقى ساكنان على غير حـــده ، وذلك ممتنع لا فى حـــالة الوقف ، والله أعـــلم •

وما ذكرته من السؤال عما قيل ان ألف الإلحـــاق تتميز عن ألف التأنيث اذا وقعت فى آخر اسم يوازن شـــيئا من أوزان الأســـماء ، وان وقعـــت فى آخـــر اســـم لا يوازن شـــيئا من أوزان الأســـماء ، فهى ألف تأنيث ؟

الجـــواب عنه :

أن ذلك ظاهـــر فى الاســـمين المذكـــورين فى كتـــابك ، وهمـــا أجـــلا بفتح حروفه الثلاثة اسم لمكان وبردا بفتح حروفه الثلاثة اسم

لنهر دمشق ، فان ألفهما تأنيث ، إذ ليس فى الأسماء فعال بفتح الفاء والعين واللام الأولى تكون هذان الاسمان ملحقين به ، فتعينت ألفهما للتأنيث •

واما سؤالك عن الجمع بالألف والتاء فشرطهما أن تكونا مزيدتين ، وشرط زيادة التاء احتراز عن نحو تاء أبيات ، وشرط زيادة الألف احتراز عن ألف نحو قضاة ، ولأنهما أصليتان •

وأما تعليل اختيار هذين الحرفين للجمع المؤنث فان كل واحد منهما له دخل فى الجمعية على انفراده ، كرجال فى الألف ، وقضاة فى التاء ، وقد يجتمعان فى نحو : صياقلة وصيارفة فلذلك أوثرا على غيرهما فى الجمع المؤنث السالم ، والله أعلم •

أما السؤال عن تسكين تاء الفاعل فيؤتى ، وأما السؤالان الأخيران فلا ، وأما خطك فى ذلك التعريف فكله يؤبى لتداخل بعض حروفه فى بعض •

❋ مسألة :

وعنه : قال أبو نبهان شعرا :

وقد كان من أوصافها فى صفاتها
على العكس كون العكس شرعا دعى ليا

وصف الشىء نعته فى الواصف له ، والصفات جمع صفة هى كالعلم للموصوف بما كان من خَلْق أو خُلُق ، وذهب قوم الى أن الصفة هى الوصف وليس بصحيح •

وقال فى موضع آخر :

تجـلى ظهـــورا بالصــفات لذاتـــــه
الى طوره فانـــدك من نـــورها شـــهبا

تجلى بمعنى ظهر ، ونصب ظهورا على المصدر ، والظهـــور نفس التبيين يقال : ظهر الشىء اذا بان ، والصفات جمع صفة وهى ما بان به الشىء من غيره على ما به هو فى نفسه ٠

وذهب قوم الى أنها هى الوصف ، وقد مضى القـــول فيما مضى أنه ليس بصحيح انتهى كلامه نقـــلا بحروفه رحمة الله عليه ورضوانه لديـــه ٠

فانظر فيه قال : فقد صح من فحـــوى كلامه رحمــه الله تعالى أن الوصـــف كلام الواصف للموصـــوف حيث يصـــفه بصفته فافهـــم رحمك الله ٠

وقد ذاكرتنى سابقا فى قول القائل : أنا أفقـــر الخلق الى اللـــه ، وأحوجهم اليه ، فأجبتك بما أجبتك ، ثم ظهر لى جـــواب ثان وهو : كل انسان يرى بالنظـــر الى نفســـه انه كذلك ، وان كان غـــيره مثله ، وهذه طريقة مستمرة فى الكلام ٠

ومنه قوله تعالى : (وما نريهم من آية إلا هى أكبر من أختها) أى ان كل واحـــدة من تلك الآيات ، ترى بالنظر الى نفسها أكبر من أخـــواتها ٠

ومنه قول الأنصـــارية وقـــد سئلت عن بنيهـــا أيهم أفضـــل فقالت :

فلان ، ثم قالت : بل فلان ، ثم قالت : ثكلتهم ان كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها •

ومنه قول القائل :

من تلـق منهـم تقـل لاقيت سـيدهم
مثل النجـوم التى يسرى بهـا السارى

ومن جـواب عنـه :

ان الله تبارك وتعالى يقول : (وربك على كل شىء حفيظ) هكذا أظن الآية أو ما يشبهها ان لم تكن كـذلك بحروفهـا ، والمعنى فى ذلك فيما أرجوه ان كل شىء من مثقال الذرة وما دونهـا وما فوقها محفوظ عنـده ، لا يغرب عن علمه منه شىء •

وأما الحفظ لمعنى الكلاءة من الآفات هو مختص بمن يريد سبحانه أن يكلأه منهـا ، فظهر بذلك أن الحفظ الأول عام ، والثانى خاص ، والله أعـلم •

ومن جواب عنه أيضـا :

أن اللـه ولـى جميع خلقـه ومولاهـم فى الدنيـا والآخـرة ، والمعنى أنـه مالكهـم وقاهرهم ، وأما وليهـم ومواليهـم ومولاهـم بمعنى ناصرهم فلا يكون إلا للمؤمنين ، ومن ذلك قوله تعالى : (ذلك بأن الله مولى الذين آمنـوا وأن الكافرين لا مولى لهم) فظهر بـذلك أن الولاية الأولى عامة والثانيـة خاصة فافهم ، والله أعلم •

ومن جواب عنه آخر :

ان الصراط رويت فى السبع فيه : القراءات الثلاث : الصاد الخالصة ، والسين الخالصة ، وهى الأصل والصاد مبدلة منها فى اللغة العالية ، والثالثة إشمام الصاد صوت الزاى إلا أنى لا أعرب كيفية اللفظ به ، واما الزاى الخالصة فقد عرفنا فيه أنه خطأ ، والله أعلم •

وعنه أيضا :

ما الوجه فى كتابة الصلوة والزكاة والحيوة والربوا بالواو عرفنى بذلك ؟

الجـــواب :

أما كتابة الصلوة والزكوة والربوا فقد قيل انها على لغة من يفخمها ، والله أعلم • فانظر فى جميع ذلك ثم لا تأخذ منه إلا الحق •

*** مسألة :**

وعنه أيضا : ان عظم الشمس مقدار كبر الدنيا كلها ، برها وبحرها مائة مرة وستين مرة ، وأن سدرة المنتهى فى السماء السابعة ، وأن علم الخلائق لا يجاوزها أحد من الأنبياء ولا من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين ، ولا مبلغ علمهم اليها •

وعنه : السبرات هى الليالى الباردة اللاتى يكون فيها البرد الشديد •

*** مسألة :**

وعنه : وهل شىء من سور القرآن اذا بدأ بقراءتها لا يجوز تركها إلا بعد تمامها ؟

الجـــواب :

لا أعلم فى ذلك إلا ما قد قيل من الكراهية فى ســورة الأنعــام ، والله أعلم •

رجع الى كتاب التمهيد •

*** مسـألة :**

وما تفسير قوله تعالى : (ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها) الى تمام الآية بين ســيدى لى ذلك ولكل الأجـر ؟

الجـــواب :

قيل : أنزلت فى كفار مكة ، منعوا النبى صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام ، والسعى فى خرابه ، هو منع ذكر الله فيه •

*** مسـألة :**

ومنه : وما تفسير قوله تعالى : (وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم) الى تمام الآيــة بين لنا ذلك ولك الأجــر ان شــاء الله ؟

الجـــواب :

أنا غير عالم بتفســير مشكلات القرآن ، فاســأل عنــه العلماء ان شئت ، وهــذه من الآى المشــكلات فيــه التى لا يحــل عقــدها إلا العلمــاء •

ميل : سأل النبى صلى الله عليه وسلم • فقال : قـوم استوت حسناتهم وسيئاتهم ثم يدخلهم الله الجنة برحمته •

قلت : فهذا هو كما ترى عن سـيد الورى صلى الله عليـه وسلم وعلى مقامه لديه ، كذلك لكن يحتـاج الى تفسـير الأنق ، وشرح طويل ، وتفصيل عجيب ، وللعبد غنية عن التكلف ، فالتسليم واجب ، والايمان به حتم ، ولم يجـد فيه صريح تفسير لائق مطـابق واف بالمقصـود حتى أرفعه لديك ، ولكن أقول : انه ثبت القـول : (فريق فى الجنـة وفريق فى السعير) وموت العبد إما على طاعـة وإما على معصية ، فكيف هذا الوقوف والحبس ؟

ثم ان الأعراف ما هو ؟ هو فيما قيـل : اسم سور بين الجنـة والنار ، وهو المشار اليه بقوله تعالى : (فضرب بينهم بسور له باب • باطنه فيه الرحمـة وظاهره من قبله العذاب) •

ونفى الكلام على من عليه كيف حالهم ، فذلك هو الذى تحير فيه جم العارفين ، والذى ظهر فى الحال احتمال الحبس للمؤمنين المقصرين فيوقفون على مواضع من الأعراف ، ينظرون الفريقين يمرون عليهـم هؤلاء الى الجنة وهؤلاء الى النار ، وهم هنالك الى أن يقضى اللـه عليهم ما يشاء ، ألا ترى أن الله قد قسم أهـل الجنـة الى السابقين والى أهل اليمين ، فلا شك أن أهل السبق هم يدخلون الجنـة والناس فى عرصـات القيـامة وقوف ، وعلى قدر مسـارعة العبد وبداره الى مرضات ربه يكون السبق غدا ، فمنهم من يدخل الجنـة بغير حساب ، ومنهم من يدخل الجنة بعد الحساب والمناقشة ، ومنهم من يدخلها بعد الحبس واللوم والتعيير ، وما يدريك لعلهم كانـوا ممن خلـط عمـلا صالحا وآخر سيئا من غير الكبائر التى هى المهالك ، كذلك قال صلى الله عليه وسلم فى عبد الله بن رواحـة الأنصـارى حين تأخر بالراية ثم

تقدم بها ، فقتل فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « حبس عن الجنة بقدر ما تأخر عن القتال » فى كلام هذا معناه ان لم يكن بعينه ٠

وليس الحبس ثم حبس عقوبة ونكال ، إنما هو وضع مرتبة وتأخير عن سبق السابقين الى الجنة حتى يكون فى الآخـرين من الداخلين ٠

وان قيل : فى الرواية يحبسون خمسين عاما أو نحو ذلك فيما قيـل فما هو ببعيد ولا بمستنكر فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ٠

كذلك يروى عن النبى صلى الله عليـه وسلم : « يخـرج قـوم من قبورهم لهم نجب يركبونها لها أجنحة خضر تطير بهم فى عرصـات القيامة حتى يأتوا على حيطان الجنة ، فاذا رأتهم الملائكة قال بعضهم لبعض : من هؤلاء ؟ فيقولون : لا ندرى لعلهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فيأتيهم بعض الملائكة فيقول : من أنتم ومن أى الأمـم أنتم ؟ فيقولون : من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، فتقول الملائكة : هل وزنتم ، هل حوسبتم ، هل قرأتم كتبكم ؟ فيقولون : لا ، فتقـول الملائكة : ارجعوا فكل ذلك وراءكم ، فيقولون : أعطيتمونا شيئا فنحاسب عليه ما ملكنا شيئا ، ولكن عبدنا ربنا حتى دعانا فأجبنـا ، فينـادى مناد : صدق عبادى ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم » ٠

وهذا شأن السابقين ، فما ظنك بالمقصرين ألا يتأخرون فى أهوال يوم القيامة على قدر المرتب والسلوك الى الله ، وغير بعيد أن يجعـل من يشـاء منهم على الأعراف ، حتى ينظر ويخـاف ، ويرجو الى أن يفيض الله عليه برحمته ، أو لا تسمع ما قيـل فى عبد الرحمن بن عوف ، أنه يدخل الجنة حبوا ، كل ذلك عبارة عن تشـديد الأمر فى يوم القيامة على قدر الأدب الحاصـل من العبد بين يدى الله تعالى ، ثم اذا أدخله جنانه ورحمته ، فياسعد من فاز بها ، وان كان فى المرتبة لا كالسابقين ولا كالأعلى من أهل اليمين ٠

وهذا الباب يتسع القول فيه ، وقد قيل بغير ذلك ، ولكن هذا هو الأصح الآن لموافقة الأحاديث النبوية ، والشواهد العقلية فهذه هذه ، وإن لم نجد مشروحا كذلك فاعرف ذلك ، وبالله التوفيق .

* مسألة :

وما تقول شيخنا فى معنى قوله تعالى : (كأنهن بيض مكنون) فقد وجدنا فى بعض التفاسير أن المراد هنا بيض النعام ، فكيف تصح أن تكون الحور العين مثل بيض النعام ، وهو من متاع هذه الحياة الدنيا الدانية ، أم للآية الكريمة معنى عند أصحابنا غير هذا ، تفضل أزح عنا الحيرة ، وأرح قلوبنا من الشك أراحك الله مما نحن فيه من ليل الجهل ، ونور قلبك بنور العلم ؟

الجواب :

قد شبههن الله تعالى فى كتابه العزيز بما يعرفه الناس ويستحسنونه ، ولا يلزم ان كان المشبه به أفضل من المشبه ، فقد يكون بالعكس ، وقد شبههن بالياقوت والمرجان أيضا ، وهذا كما تشبه الشمس المنيرة بسبيكة الذهب المستديرة .

وليس المراد به من متاع الحياة الدنيا إلا لمعنى الحسن فقط دون سائر الصفات ، كما يشبه الشجاع بالأسد فى معنى الشجاعة والقوة خاصة ، لا فى الصورة الكريهة والمنظر القبيح وغير ذلك من الصفات ، وهذا كله مشهور مع أهل البيان .

*** مســألة :**

ومنه : وجدنا فى بعض الكتب أن أشــياء من الجنــة موجــودة من مأكولات ومشروبات فى هذه الدنيا ، أيصح ذلك عندك ، لأنه قد تقرر فى العقل أن نعــيم الجنــة ولذاتهــا لا تقاييس لذات الدنيــا وان كل ما يتنعم به فى هذه الدنيــا من هذا المذكور وهو من نعيم الدنيــا ، وهل يصح أن تكون هذه الأشياء أنزلت من الجنــة ، ويعــد انزالهــا غيرت لذاتهــا عن حالهــا ، أم هــذا لا يصح أبدا ، ونعيم الجنــة لا وجود لشىء منــه إلا فيهــا ؟ أم يصــح ذلك على بعض المعــانى وما تفسيره ، تفصل بينه لنــا ؟

الجـــواب :

نعم هذا صحيح ، وليس المعنى أنها موجودة بعينهــا ، ولــكن معناه أن هذه الأشياء التى فى الدنيا مستحسنة نمــوذج لمــا فى الجنــة من أمثالها ، على أن ما فى الجنة ولا شــك أشرف وأكمل ، ولكن هذه دلائل واشــارات الى مبادىء ما فى الجنــة من حسن وكمــال لا يتناهى ولا يحصر ، ولولا وجود هذه لمــا عــرف شىء ما يذكر من أمثاله فى الجنــة ، وان تفاوت فاعرف ذلك .

*** مســألة :**

ومنه : وما معنى صديق مخسر عدو مبين ، بين لى بيانا كافيا ؟

الجـــواب :

هذا كلام عامى لم يأت به كتاب ولا ســنة ولا اجمــاع صحيح ، ولا أثر صريح ، فلا يعتنى بمثله .

*** مسـألة :**

ومنه : وما يعنى قوله تعالى : (وبئر معطلة وقصر مشيد) ما هذه البئر وما هذا القصر الذى جاء نصا فى كتاب الله بين لى ؟

الجـواب :

أهل البئر و القصر قوم أهلكهم الله والسلام .

*** مسـألة :**

وما تقول فى قوله تعـالى : (ويخلد فيـه مهـانا) أم ويخـلد أم يجوز الضـم والفتح على اليـاء واللام عرفنـا ؟

وقوله تعالى : (ياليتنى مت قبـل هـذا) ؟ وقوله : (ويقـول الانسان اذا ما مت) يجـوز ضم الميمين وكسرهما أم لا عرفنى ذلك ؟ وقوله : (ولقـد علمتم النشأة الأولى ، فلولا تذكرون) يجـوز تشديد التـاء والذال وتخفيفهما جميعا أم لا تفضـل بين لنا ذلك ؟

الجـواب :

يخلد بفتح الياء وضم اللام ، ومت يجوز بضـم الميم وكسرها حيث وقعت ، ولا يجـوز تشـديد التاء فى تذكرون ، ويجوز تخفيف الذال وتثقيلها ، والله أعلم .

*** مسـألة :**

ومنه : وبعد شـيخنا تفضـل علينـا بالجـواب فى هذا الجـيم أخذناه على ما قلنا نحن ومن اتبعنـا فيه ، لكن منهم من أخـذه على

سبيل الشك ، ومنهم من أخـذه على سـبيل التقليد مخـافة أن يتركوا ما لا يسعهم تركه من رد الحجة ، ودخـول الشبهة ، وأخذوه على هذا السبيل ، فوقع الاختـلاف فى الباطن ، وصح الاعتقـاد فى الظـاهر كما قال المنافقون : نشهد انك لرسول الله فى الظاهر والله يشهد إن المنافقين هم الكاذبون فى الباطن ؟

وذكرت فى هذا الجيم كمن ترك القاف وأخـذ بالكاف ، فهـذين معنيين قائمين ، وحروف معرفة اذا تركت أحـدهما صرت فى الثـانى ، فصـارا بين حجتهـا عند الجاهل لأنه لا يمكن اجتماعهما ؟

وهـذا الحرفان اذا تركت أحدهما صـار الآخـر شـاذا ولـم نعـرف حجة نعتقدها فيه ، فمن ذلك احتجنا الى بيـان الحجة الواضحة من طـريق اللغـة والتأويل ، فبين لنـا رحمـك الله بيـانا لا بعـده إلا الإضرار والادبار عن حجة الله وحجة علمائه التى لا يسع جهلهـا بعد قيامها على من سمعها من الجاهلين بهـا ؟

الجـــواب :

انا لم نختلف نحن واياكم فى حـرف الجيم ، اذا نطـق به بحرف الجيم المعروف فى أصـل اللغة الأصلية ، وأما اذا نطق به على حسـب اللغات المختلفة عن الأصـل كمن يجعـل الجيم قافا والقـاف جيمـا أو الجيم حرفا ثالثا متركبـا من حرفين كما هـو فى لغتكم ، فليس هو شىء ، وانما هو بدلا من الجيم الحقيقى بحـرف منكر مجهـول عنـد العرب إلا من اختص به ، وكثير من الحروف ما تتشـابه فى ذلك كالياء المتركبة من بين الياء والفـاء فى لغة كثيرين ، وما يشاكل هذا كله ، فلا تجـوز القراءة به .

ومن لـم يحسن النطـق به فعليه أن يتعلمه مع القـدرة ، كمـا يتعلم الفرق بين الضاد والظاء ، واذا جاز هذا جاز أن ينطـق بالجيم

فى موضع القاف فيقول فى القدوس القدير الجدوس الجدير ، ولا وجه لجـوازه ، وان استعمله جهلة البادية من الشـام واليمن وغيرهم فى هذا الزمن ، فلا التفـات اليـه لمخالفتهم لغة الأصـول ، وهـذا كله أصل واحد ان جاز بعضه جاز كله ، وان فسـد بعضه فسـد كله ، والله أعلم •

* مسـألة :

ومنه ولِمَ حذفت تاء لست لغير اجتماعها مع السـاكن الصحيح أم لا ، وما العلة فى نقـل ضمة يقوم الى القاف للثقل أم لغيره ؟

الجـــواب :

حذفت تاء لسـت لاجتمـاعها ساكنـة مع السـاكن الصحيح ، فحذف الساكنين من المعتل لحقته ، ولاستثقال اجتمـاع الضمة مع الواو نقلت الى الساكن الصحيح قبلها وأسكنت •

* مسـألة :

ومنه : وألف معاوية إذ صغر هل يكون ٠٠٠٠٠٠ (١) لأنـه من باب فاعـل ، تفضـل أخبرنى عن جميع تصريفه ، ولك من اللـه عظـيم الأجـر ؟

الجـــواب :

يحذف ألفها فتكون معنوية ، فيدغم الـواو فى اليـاء فتكون معية على الأشهر ، والله أعلم •

---

(١) بياض بالأصل •

*** مسـألة :**

ومنه : فى تأويل قوله تعالى فى بدو هذه السـورة ، مثل حمعسق وكهيعص ؟

الجـواب :

قد اختلف المفسرون فى ذلك ، فقيل : هى أسماء للسور ، وقيـل : هى من أسماء الله تعالى ، فالحـاء من حكيم ، والميم من مجيد ، وهكذا الى آخـرها •

وقيل : انها حروف أقسم الله بها ، وقيل : اسم الله بالأسماء الدالة عليها كالكاف من كافى ، والهاء من هادى ، وقيل : انه ذكر هذه الحروف على سبيل التعديد تحـديا لمعجزة للمعارض مع كون النبى الآتى بهـا أمثالا يحسن شـيئا من ذلك ، فأتاهم من حـروف المعجـم نصـفها الأشرف ، فذكر من المهموسـة نصفها ، ومن المجهـورة نصفها ، ومن الشـديدة نصفها ، ومن الرخـوة نصفها ، ومن المطبقـة نصفها ، ومن المنفتحة نصفها ، ومن القلقة نصفها الأقل لقلقلتها ، ومن الليينتين نصفها ، ومن المستعلية نصفها الأقل لثقلها ، ومن المنخفضة نصفها ، ومما يدغم فى مثاله ، ولا يدغم فى المتارب نصفها الأقل ، ومما يدغـم منها نصفها الأكثر ، ومن الذلقيـة ثلثيهـا ، وكـذا من الحلقية لكثرة دورهـا فى الكلام •

وبالجملة مما لم يذكر مكتوب عله فذلك بما ذكـر فكأنه تحداهم بالحروف كلها ، وكأنمـا خاطب أهل الأسرار الحرفية من الكتب القديمة ، مما ذكره من الحروف النورانية المعروفة عندهم ، واضرب عن الحروف الظلمانية كلهـا ، فسبحان من دقت فى كل شىء حكمته ، وبيـان ذلك مما يعجز الفقير عنه فلا يبلغ اليه •

*** مسـألة :**

وعن رجل يسبح الله تعالى بلام وألف يجـوز لـه أم لا ، واذا

ســمع رجـل من يســبح بلام وألف أينكـره عليـه أم يتركـه أم لا يلزمه شى ؟

الجـــواب :

أنا لا أعرف كيف يقول من يسبح الله باللام والألف ، والظـاهر أنها كلمة لا ، ولا أدرى كيف التسبيح بها ، والله أعلم •

بيــان :

فاذا كان هـاء ضمير مذكر يفـرد قلبـه سـاكن ، فلا يحتـاج بعده الى اشباع ، وانما ينطق بحسب ما يقتضيه من الحركة من ضـم أو كسر ، فالكسر مختص بما يكون قبله ياء تجويفية ، واليه وعليـه ، ويجوز ضمها قليـلا فيقال اليه عليه ، وبه قرىء : (وما أنسـانيه) والضم فيما سوى ذلك ، فاذا كان ما قبـل هذا الضمير متحركا وجب اشباعه بمـدة تجانس حركته •

ومن الضمير أن يكون ما قبله مكسورا فالكسر ، وكذا ان كان ما قبله ساكنا غير الياء فالضم لـه لازم نحـو : لـم يضربه ، لكن يحـذف الاشباع اذا كان قبله سـاكن مطلقا ، وحيث وجـب اشـباعه فترك الاشباع جائز فيـه مطلقا فى بعض اللغات ، ولكن لا نحفظ أن أحـدا قرأ بهـا فى القرآن ، وأما فى الشعر واللغة فهـو كثير ، ومن كانت لغته فقرأ بهـا فلا نخطئه اذا وافق بعض اللغات العربية ، وان كنـا لا نستحسن ذلك ، ولا نأمر به ، والله أعلم •

✻ مسـألة :

معرفة ما يشبع وما لا يشبع من الضمير ، وما فى موقعـه وذلك اذا كان ما يلى الضمير ساكنا نحو : أل وجب خلوه من الاشـباع نحو : له الملك وله الحمـد وما أشبهه ، وان كان ما يليـه متحـركا ، والمتحرك

غير همزة ، فالاشباع نحو ما لهم به من علم ، ولم يكن لله كفوا أحد وما أشبهه ، وان كان ما يليه همزة فالمد نحو قولك : ان زيدا له أموالا وما أشبه ذلك •

وقولنا : وما فى موقعه وهو كل اشباع وقع فى هذا الموضع ، فهو مثله نحو : حتى وعسى والى وكل ما كان فى وزنه فهذا حكمه فقسه فانه سهل واضح •

وعن غير أصحابنا قال الشيخ : وما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم فى اشتراط الساعة من خروج الدجال ، ودابة الأرض ، ويأجوج ومأجوج ، ونزول عيسى عليه السلام من السماء ، وطلوع الشمس من مغربها ، فهو حق ، والمجتهد فى العقليات والشرعيات الأصلية والفرعية قد يخطىء ويصيب ، ورسل البشر أفضل من رسل الملائكة ، ورسل الملائكة أفضل من رسل عامة البشر ، وعامة البشر أفضل من عامة الملائكة •

من الشرح قوله : فهو حق لأنها أمور ممكنة أخبر بها الصادق •

قال حذيفة بن الغفارى : طلع النبى صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر ، فقال : « ما تذكرون ؟ » قلنا : نذكر الساعة ، قال : « انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات » فذكر الدخان والدجال والدابة وطلوع الشمس من مغربها ، ومن نزول عيسى بن مريم ، وخروج يأجوج ومأجوج ، وثلاثة خسوف : خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب ، واخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس الى محشرهم ، والأحاديث الصحاح فى هذه الأشراط كثيرة جدا •

وقوله : والمجتهد فى العقليات الى آخره ذهب بعض الأشاعرة والمعتزلة الى أن كل مجتهد فى المسائل الشرعية الفرعية التى لا قطع فيها مصيب ، وهذا الاختلاف مبنى على اختلافهم فى أن لله فى كل

حادثة حكما معينا ، أو حكمة فى المسائل الاجتهـادية ، ما أدى اليـه رأى المجتهدين وتحقيق هذه الأبحاث أن المسـائل الاجتهادية ما أدى اليـه رأى المجتهدين ، وتحقيق هذه الأبحـاث ، إما أن لا يكون لله فيهـا حكم معين قبل اجتهـاد المجتهـدين أو يكون ، وحينئذ إما أن لا يكون من الله تعالى دليـل أو لا يكون ، وذلك الدليـل إما قطعى وإما ظنى ، فذهب الى كل احتمال جمـاعة ، والمختـار أن الحـكم معين ، وعليـه دليل ظنى ان وجـده المجتهد فقـد أصاب ، وان فقـده أخطأ ، والمجتهد غير مكلف باصابته لغموضه وخفائه فلذلك كان المخطىء معذورا بل مأجـورا •

والدليل على أن المجتهد قد يخطىء فيه وجوه :

الأول : قوله تعالى : (ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما) والضمير للحكومة والفتيا ، ولو كان كل من الاجتهـادين صوابا لمـا كان لتخصيص سليمان بالذكر حرية ، لأن كلا منهما قد أصاب •

والثانى : قوله عليه الصـلاة والسـلام : « ان أصبت فلك عشر حسنات وان أخطأت فلك حسنة » •

الثالث : أن القياس مظهر لا مثبت ، فالثابت بالقياس ثابت بالنص معنى ، وقد أجمعوا على أن الحـق فيما ثبت بالنص واحـد لا غـير الرافع أنه لا يعرفه فى العمومات الواردة فى شريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، بين الأشخاص ، فلو كان كل مجتهـد مصيب لـزم اتصاف الفعـل الواحـد بالمتنافيـين من الخطـر والاباحـة والصحة والفساد ، والوجود وعدمه •

وتحقيق هذه الأدلة والأجوبة عن تمسكات المخالفين بطلب من كتاب التلويح فى شرح التنقيح •

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : أما ما ذكره فى أشراط الساعة من طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدجال وغير ذلك ما خلا ما ذكره الله تعالى فى كتابه ، فى فتح يأجوج ومأجوج ، وخروج الدابة ، فلم يأت به تنزيل ، ولا قامت الحجة بصحته عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا ينعقد فيه اجماع يلزم قبوله إلا بصحة الرواية ، أو صحة تأويل التنزيل ، ولم يصح اجماع بذلك ، وأما باجماع اجتماع العلماء على صحة ذلك بغير دليل إلهى ، ولا صحة رواية نبوية فلا ينعقد اجماع دينى ، لأنه لا مخرج له عن الظن الى اليقين •

وأما خروج يأجوج ومأجوج والدابة فقد نطق بهما القرآن ، ويحتمل أن يكون المعنى المقصود هو على ظاهر اللفظ ، ولكن معنى ظاهر اللفظ يخالفه قوله تعالى : (لا تأتيهم إلا بغتة) والقرآن لا يخالف معناه بعضه بعضا ، فعلى هذا يحتمل أن يكون على تقدير لو ، أى لو فتحنا عليهم يأجوج ومأجوج ، فهم من كل حدب ينسلون ، فيكون بقاء السد عليهم نعمة من الله لعباده ، ذكر بها عباده المتقين ، ذكرهم ليشكروه •

وكذلك خروج الدابة يحتمل أن يكون المعنى مقدرا بلو أخرجنا لهم دابة تذكرهم اذا حق عليهم القول بحكم الكفر عليهم ، وبهلاكهم لم ينفعهم ذلك أن الناس كانوا بآياتنا لا يؤمنون ، اخبار من الله عنهم لا اخبارا عن كلام الدابة على هذا الوجه من التأويل ان صح ، والله أعلم بتأويل كتابه ، وبالله التوفيق انتهى •

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول فى كل هذا ؟

قال : الله أعلم ، وأنا به غير بصير ، لكن ما ذكره الشيخ من تقدير لو فى فتح يأجوج ومأجوج ، وفى خروج الدابة من الأرض

لا معتمد له ، ولا أصـل لعدم الدليـل عليـه ، والعدول عن الظـاهر لا يصح فى التأويل إلا السبب يوجبه ، ولا دلالة على ذلك هاهنـا من لفظ ، ولا معنى فليس هو بشىء •

وأما قوله فى سائر العلامات أن الاجمـاع من الأمة لم ينعقد فيها على شىء ، فهو من قوله صحيح ، وحينئذ فتبقى مبهمة الحكم لغـيرها من المحتمـلات إلا ما قام دليـل على فسـاده وبطله ، فينبغى النظر فى ذلك كله ، والله أعلم •

ومن شرح لقومنا فيما أحسب قوله : والكتاب حق أى المثبت فيـه طاعات العبـاد ومعاصيهم يؤتى للمؤمنين بأيمانهم ، والكفار بشمائلهم ووراء ظهورهم حق ، لقوله تعالى : (ونخـرج له يوم القيامة كتـابا يلقـاه منشوراً) وقوله تعالى : (وأما من أوتى كتابه بيمينه فسـوف يحاسـب حسابا يسـيرا) •

والمصنف سكت عن ذكر الحساب اكتفـاء بالكتاب ، أن مستلزم الحسـاب أنكره المعتزلة زعما منهم أنه عبث ، والجـواب ما مر قوله ، والسؤال حق لقوله عم أى صلى الله عليه وسلم : « ان الله يدنى العبد المؤمن فيضع عليـه كنفه ويستره ويقـول أتعرف ذنب كذا وذنب كذا يقـول : نعم ، أى رب حتى قرره بذنوبه ، ورأى فى نفسـه أنه قـد يهلك فيقول تعالى : سترتها لك فى الدنيـا ، وأنا أغفـرها لك اليـوم فيعطى كتاب حسناته » •

وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخـلائق هـؤلاء الذين كذبوا على ربهـم ألا لعنـة الله على الكاذبين •

قوله : والحوض حق لقوله تعالى : (انا أعطيناك الكوثر) ولقوله صلى الله عليه وسلم : « حوضى مسير شهر زواياه سـوى مائة أبيض

من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه أكثر من نجـوم السماء من يشرب منه فلا يظمأ أبدا » والأحاديث كثيره •

قوله : والصراط حق وهو جسر محدود على متن جهنـم ، أدق من الشعر ، وأحـد من السيف ، يعبره أهل الجنـة ، وتزل به أقـدام أهل النـار ، وأنكره أكثر المعتزلة ، لأنه لا يمكن العبور عليـه ، وان أمكن فهو تعذيب للمؤمنين ؟

الجـــواب :

أن الله تعالى قادر أن يمكن من العبور عليه وييسـهله على المؤمنين حتى ان منهم من يجـوزه كالبرق الخاطف ، ومنهم كالريح الهـابة ، ومنهم كالجواد الى غير ذلك كما ورد الحديث •

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهـان فى هذه الأربعة التى ذكـرهـا الكتاب والسؤال والحوض والصراط : فأما الكتاب فلا شك أنه حـق ، ولكن معناه يمكن أنه ليس المراد فى صحيفة جسمية مكتوب فيهـا بشىء من الحروف على ما أنكر المعتزليون أن يكون كذلك ويمكن كونه كذلك ، والقول فى تحقيق معناه محال ، لأنه من الممكن كونه مكتـوبا على المعنى المفهـوم حقيقة ، ويمكن ان حفظ الملائكة لـه هـو المعنى المقصـود من أنه مثبوتا كتـابا ، واذا احتمـل المعنيـان لم يتحقق أحدهما ، ولا يجوز الشـك على أن جميع أعمـاله مكتوبة فى كتاب ، وأن المتقى يعطى اياه بيمينه ، والكافر يعطى اياه بشماله ، كمـا أخبر الله تعالى بذلك ، ولكن يجوز الشك فى معنى الكتاب أهـو على المفهـوم الظاهر أو على المجـاز •

وأما أن الله تعالى يدنى المؤمن الى آخـر كلامه ، فان كان المراد أنه يدنيه بقرب مسـافة ، فلا شـك أن ذلك مما لا يجـوز فى صفته

تعالى ، وكذلك المعنى ان كان يحاسبه ويكلمه بنفسه يسمع كلامه ، فهو من الباطل المستحيل فى صفة الله تعالى •

وقوله : يغفر لـه ذنوبه ، فلا يغفر الكبائر لقوله تعالى : (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) وان كان المراد أن الحساب يكون على يد الملائكة والسؤال منهم للعباد ، فذلك مما لا شك أنه حق •

وأما الحوض فليس مما يلزم اعتقاده أنه حق ، وهو من الممكن كونه أنه حق ، ومن الممكن عدمه ، إذ لا فائدة فيه ، إذ لو كانت فائدته شرب المؤمنين منه اذا عطشوا فى موقف الحساب ، فكذلك يحتاجون للأكل وان كان يؤتى لأولياء الله من الجنة ما يأكلونه ، فالذى يأتى لهم بالمأكول يمكنه أن يأتى لهم من الماء اذا كان المراد من الآية قوله تعالى : (وإذ نادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء) فانه يتلو الماء قوله تعالى : (ومما رزقكم الله قالوا : إن الله حرمهما على الكافرين) اذا كان المراد بهذا النداء فى موقف الحساب لا فى الجنة وهو الأصح فيما أراه ، لأن أهل الجنة بعد أن يدخلوا الجنة فلا يسوغ فى العقول السليمة أنهم يرون أهل النار ، إذ الجنة عريضة ، فلو فرضنا أن النار قريبة منها لم يلزم قرب كل موضع منها ، فان كان الخطاب لأهل القرب منها فلا فائدة لأهل الجنة أن تكون النار قريبة منهم فيسمعون شهيقها ويرون قبح منظرها ، فالعقل يبعد ذلك وتقرب أن هذا الخطاب واقع فى الموقف •

ومن قال بوجود الحوض على ما يراه فى عقله أنه حق ، وان قال لا شىء على ما يراه أنه أصح فهو جائز له ، ولا يجوز له أن يدين بأحد القولين فى ذلك ، ولا يجوز أن يلزم نفسه ، ولا يلزم غيره

اعتقــاد كونه لاحقا ، ولا أنه غــير شيء ، لأنه لم يرد في التنزيل ، ولا قامت الحجة بصحة السنة في ذلك ، وليس في ذلك اجمــاع •

وأما صراط الجسر على أنه أحــد من السيف وأدق من الشــعر على متن جهنم ، يعبرونه الخلائق الى الجنة ، فهذا من أنواع اللعــب واللهــو الذي يوصف بــه في الدنيــا الصبيان أهــل اللعــب والبأس مما ينبغي أن ينزه البارىء سبحانه عن فعل العبث ، وان كان لا يقبح في فعل الله شيء ولكن جعل الله العقول حجة في معرفة صفاته اللائقــة في وصفه بهــا ، والتي لا تليق فقال تعــالى : (وما خلقناهما عبثا) وقال : (وما كنــا لاعبين) فنزه نفســه عن أفعــال اللعب والعبث ، وهذا ما لا شك فيه في كل ذي عقــل سليم ، أنــه من فعــل اللعــب والعبث ، وهــذا ما لا شك فيــه في كل عقــل سليم أنــه من فعــل اللعب والعبث في العقول •

وقال النبي صلى الله عليــه وسلم : « ما رآه المسلمون حقــا فهو حق وما رأوه باطلا فهــو باطل » أي ما ثبت في العقــول السليمة المنيرة بنــور المعرفة على التحقيق فهو حق وما رأته أنه باطــل فهو ولا دليل له في الذكر الحكيم •

والصراط المستقيم الذي ذكره في كتابه هو طريق عبادته ، سماها صراطا وسراطا وزراطا وســبيلا ونجــدا ، فقال تعالى : (وهديناه النجــدين) أي طريق الطاعة وطريق العصيان ، وقال تعالى : (وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه ســبيلا وان يروا سبيل الغي يتخــذوه ســبيلا) وقال تعالى : (هــذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تفــرق بكم السبيل) وهذا الجسر على هذه الصفة ، وليس هو صراط مستقيم ، فهو على خلاف وصف الذكر الحكيم لصفة الصراط ، وما خالف القرآن

العظيم من اختـــلاف الأمة فهـــو البـــاطل على كل حـــال ، والأصح أن لا فائدة فى بقـــاء القرآن فينا •

وما الفائدة فى تكليف أهل التقوى المرور على ذلك ، لأن الجنـــة لا يدخلها كافر ، ولو فتحت جميع أبوابهـــا بين أيديهم وسهلت طرقها ، وما الفائدة فى الـــذى لا يســـتطيع أن يمـــر فيـــه إلا بمشقة ، فان الله تعالى اذا عفا عنـــه ذنوبه المعفو عنهـــا فحاشا أن يعـــذبه بعـــد ذلك بذلك ولا بغيره ، واذا كان ليمكنهم حتى يســـهل العبـــور بطلت فائدته ، ولم يكن فعل ذلك من صفات الحكيم ، وكان الأولى بفعله أن تكون طريق الجنـــة لأوليائه على المستحسن فى المتعارف •

وما فائدة تكليف أهل الكفر المرور عليه ، ومن المعلوم أنـــه من المستحيل فى ظاهر الأمر أن يعبره ، وفى الذكر على أن الزبانية تسوقهم الى النـــار وبئس القـــرار ، فان كان المراد بهـــذا الصراط هو الأعراف بقوله تعالى : (وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم) أو المراد هو الســـور الذى ذكره تعالى بقوله تعالى : (وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب) فليس فى ذلك دلالة على أن العبور يكون عليـــه أهل الجنـــة وأهل النـــار ، وأنه كذلك صفته لقوله تعالى : (وعلى الأعراف رجال) فلابد لأنه أدق من الشعرة وأن العبور يكون عليه •

وما لم تقم الحجة بالصحة على الشىء يشبه العبث واللعـــب أن ينزه البارى عن فعله ، وأن يحمـــل على أنه غير صحيح ، وما قامت الحجة بصحة الشىء وكان فى ظاهر الأمر أنه كأنه يشـــبه اللعب والعبث وسلم الأمر فيه الى الله ، واعتقد أنه غير عبث ولا لعب ، وانما غيب علمـــه •

وأما فما لم تقم به الحجة بالصحة فاما أن ينزه البارى تعالى فعله ، واما أن يقال ان أمكن فعله من الله تعالى فلا لعب ولا عبث ، والروايات ليست بحجة مع تخالف أهل المذاهب فيها ، ومع مخالفة أحكام التنزيل ، وأحكام العقول غالبا وبالله التوفيق •

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول فى كل هذا ؟

قال : الله أعلم ، والذى عندى أنى ضعيف عن الخوض فى مثل هذا ، ولست من أهل النظر فيه ، والذى أقوله : ان الكتاب المثبت فيه أعمال العباد هو حق بنص القرآن ، والتعبير به عن حفظ الملائكة الكرام خلاف للظاهر بغير دليل ، ويأباه قوله تعالى : (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا • اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) فلو كان معنويا كما ذهب اليه من قاله أو كان من حفظ الملائكة فما معنى اخراجه منشورا ، وما وجه قراءته لكتابه ، وما معنى اعطاءه إياه بيمين قوم وبشمال آخرين ، فظواهر الآيات كلها دالة على وجدانه كذلك كتابا مرقوما يخرج منشورا يقرءونه سطورا وأى مانع من جواز ذلك عقلا أو نقلا حتى يعدل به عن مفهوم القرآن ، وظواهر الآيات الى التأويل البعيد بغير دليل ، ولا حجة فلينظر فيه •

وكذا لا مانع فى عقل ولا نقل من ثبوت الحوض للنبى صلى الله عليه وسلم فانه مما أكرمه الله به ، وليس هو المراد بالافاضة فى آية الأعراف إذ ينادى أصحاب النار أصحاب الجنة •

وقوله فى أهل الجنة لا يسوغ فى العقول السليمة أنهم يرون أهل النار ، اذا الجنة عريضة قول فى سخافته وركاكة معناه يشبه الهذيان ، فأى مانع منه وقد ثبت فى الدنيا مثله قال الله تعالى :

(وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض) فاذا جاز فى حق ابراهيم وهو فى هذه الأرض أن يرى ملكوت السموات فكيف لا يسوغ فى حق أهل الجنة أن يروا أصحاب النار ، وقد ثبت ذلك فى نص القرآن قال الله تعالى : (فاطلع فرآه فى سواء الجحيم) وقد ثبت مخاطباتهم لبعضهم بعض فى قول الله تعالى : (ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة) الى آخر الآيات ، فمنع كون النداء منهم إذ هؤلاء فى الجنة وهؤلاء فى النار ، لأجل بعد المسافة باطل ، فالقدرة واسعة والفيض عظيم .

وتلك الدار الآخرة محل خرق العوائد ، وظهور الكرامات ، وفيها ما تشتهيه الأنفس ، فلا يستبعد أن يكون فيها ما ليس بمألوف مثله فى هذه الدار ، فان أكثر ما هنالك كذلك ، والله أعلم .

والصراط الحق ، هو الطريق الموصل الى الله تعالى على سبيل الاستقامة فى الدين ، وما يخالفه فهو الباطل ، ولا قائل بأن الصراط هو الأعراف ، ولا السور المضروب بين الجنة والنار ، وما قالوه من ذلك لم يقم به دليل قاطع ، والله أعلم .

هذا وان تحقيق القول فى الكتاب والحساب والصراط والميزان والشفاعة والعلامات التى قبل الساعة من عذاب القبر وغيره ، علم عظيم ، يصعب الخوض فيه ، وكشف وجوهه يستدعى الى بحوث جليلة ومعان بعيدة ، تحتاج الى مصنفات وحدها ، فالتعرض لها فى هذه الكراسة لا جدوى له ، وانما يبين ان شاء الله من قول شيخنا المشار اليه ما لم يظهر لنا وجه لموافقته ، لئلا يغتر به الواقف عليه ، والسائل عنه ، والله أعلم .

*** مسـألة :**

ومنه : وفى كتب الله روى أن أبا ذر الغفارى قال : يا رسول الله كم كتابا أنزل الله تعالى ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « مائة كتـاب وأربعة كتب أنزل الله على شيث خمسين صحيفة ، وعلى أخنوخ وهو إدريس ثلاثـين صحيفة ، وعلى ابراهيم عشر صحائف ، وعلى مـوسى عليـه السـلام قبل التـوراة عشر صحائف ، والتـوراة والانجيـل والزبور والقرآن العظيم » والحق الامساك عن عددها فى عدد معين ، لمـا مر فى عدد الرسل .

قال الشيخ ابن أبى نبهان : حسن ما قاله لفظـا ومعنى ، ومن قال بالعدد معينا له فى الرسل والكتب ، وكان فى علم الله أكثر أو أقل لم يضره تعيين العدد ، لأنه مؤمن فى الأصل بجميع الانبيـاء ، وبجميع الكتب ، فان كان أكثر فى الجملة اذ لم يتعين أفراده ، وان كان أكثـر خرج من الجملة لأن ايمانه بالأنبياء لا بمن ليس منهـم ، فلا يوهن ذلك زهده ، ولا شبهة عليه اذ قال بما قيل انه قيل كـذا وكـذا ، ومعلوم أنه من علم الغيب ، والله أعلم . انتهى .

وعن قومنا : ولا يجوز على الأنبياء خلف فى القول فى وجـه من الوجـوه .

وقال : وبعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كانت على رأس أربعين عاما ، والأغلب فى ارسال الرسل بلوغهم الأشد وهو أربعون سنة ، ومن شروط الرسالة أيضا أن يكون النبى أعلم من جميع من يبعث اليهم بأحكام الشريعة التى بعث بها أصلية وفرعية ، ولم يتعـلم موسى من الخضر عليهما السلام حكما شرعيا .

وأما ما يتعلق بأمور الدنيا للصرفة فلا يضرهم عدم اتقان عـلى

طريق ما يتقنه أهلها ، ولا يجوز أن يقال انهم لا يعلمون شيئا من أمور الدنيا ، لأنه بما يوهم البله والغفلة ، وهم منزهون عن ذلك كما مر بيانه ، وقال : وهم معصومون من الكفر قبل النبوة •

وقال : وأما الكبائر غير الكفر أراد غير الشرك ، ومنها اللسانية والجنانية قد أجمع الناس أيضا على امتناع صدورها عنهم ، واختلفوا فى دليل امتناعهما ، فقيل : السمع ، وقيل : العقل •

وأما الصغائر عمدا أى قبل للبعث ، فقد جوزها عليهم جماعة من السلف وغيرهم كامام الحرمين منا وكأبى هاشم من المعتزلة واليه ذهب أبو جعفر الطبرى ، وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين ، ومنعها المحققون من الفقهاء والمتكلمين ، وبه جزم فى النظم فهم معصومون من الصغائر عمدا ، كما أنهم معصومون عن الكبائر •

وقال : قال بعض : هذا بعد البعثة ، وأما قبل أن يبعثوا فقال الجمهور من أصحابنا وجمع من المعتزلة : لا يمتنع أن يصدر منهم غير الكفر أراد غير الشرك ، وقال أكثر المعتزلة : يمتنع الكبيرة ، وان تاب منها لأنها توجب النفرة المانعة عن اتباعهم ، ومنهم من منع كل ما ينفر الطباع من متابعتهم •

وقالت الروافض : لا تجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة ، لا عمدا ولا سهوا ، ولا خطأ فى التأويل ، واختلف فى عصمتهم عن المعاصى قبل النبوة ، فمنعها قوم وجوزوها آخرون ، والأحسن تنزيههم عن كل عيب ، وعصمتهم وكل ما يوجب الريب ، وقوله : وجائز فى حقهم كالأكل وكالجماع ، فيجوز عليهم وطء النساء بالملك مطلقا مسلمات أو كتابيات لا مجوسيات ، خلافا لابن العربى فى تحريمه عليه صلى الله عليه وسلم وطء الأمة الكتابية بالملك •

قلت : وهو قضية تعليلهم منع نكاح الحرة الكتابية له ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم أشرف من أن يضع ماءه فى رحم كافرة ، أو لأن تكون صاحبته ، وأشار الناظم الى الاباحة له ، وان ترك ذلك تنزيها .

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : يحتمل أن الله تعالى حرم على الخصوص نكاح الكتابية التى على غير دينه ، ويحتمل أنه أباح ذلك له ، لأن الآية على العموم وإباحة ذلك ليس مما ينقص فى فضله ، ولو كان نقصان درجات من حيث صحبته مسلم لمشركة لما أباحه الله تعالى أو أباحه على وجه خوف العنت ، كما أباح نكاح الأمة بالتزويج ، ومن خاف العنت ، والله يفعل ما يشاء ، وما يفعل إلا وهو الأحمد من الأمور ، لأن له الحمد فى كل شىء . انتهى .

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول فى هذا ؟

قال : هذا أحسن ، وأحسن منه تنزيه مقامه صلى الله عليه وسلم عن صحبة المشركات مطلقا ، فانه لما استصفى لنفسه بعض الإماء من السبايا ، فامتنعت عن الاسلام لم يقر بها حتى أسلمت ، وقال : ما ينبغى له أن يأخذ مشركة فلا ندرى ذلك من المحرم عليه ، أم مما تركه نزاهة واختيارا وكله محتمل .

وبالجملة فالنبى صلى الله عليه وسلم لم يتزوج كتابية فضلا عن المشركات ، وقد كان له فى الصالحات مقنع وكفاية ، والله أعلم .

ومما قاله قومنا قالوا : فلما شب ابراهيم عليه السلام وهو فى السرب قال لأمه من ربى ؟ قالت : أنا . قال : فمن ربك ؟ قالت : أبوك . قال : فمن رب أبى ؟ قالت : نمرود . قال : فمن ربه ؟ قالت له :

اسكت ، فسكت ، ثم رجعت الى زوجهـا فقالت : أرأيت الغـلام الذى كنـا نحدث أنه بغير دين أهل الأرض انه ابنك ، ثم أخبرته بما قال ، فأتاه أبوه آزر فقال له ابراهيم : يا أبتـاه من ربى ؟ قال : أمك • قال : فمن رب أمى ؟ قال : أنا • قال : فمن ربك ؟ قال : نمرود • قـال : فمن رب نمرود ؟ فلطمه لطمة وقال له : اسكت •

فلما جن عليـه الليـل ، دنا من باب السرب فنظـر من خـلال الصخرة ، فأبصر كوكبـا قال : هذا ربى ، ويقـال انه قال لأبويه : أخرجانى فأخرجاه من السرب ، فانطلقا به حين غابت الشمس ، فنظر ابراهيم الى الإبل والخيل والغنم فسـأل أباه ما هـذه ؟ فقال : إبل وخيل وغنم ، فقال : ما لهذه بد من أن يكون لها رب وخالق ، ثـم نظر فاذا المشترى قد طلع ، ويقال : الزهـرة ، فكان فى تلك الليـلة فى آخر الشـهر ، فتأخـر طلوع القمر فيهـا ، فرأى الكوكب قبـل القمر ، فذلك قوله عز وجل : (ولمـا جن عليه الليل) أى دخـل الليل ، يقال جن الليل وأجن الليل وأجنه الليل ، وأجنه عليه الليل يجن جنونا وجنـانا اذا أظلم وغطى كل شىء ، وجنـون الليـل سواده •

(رأى كوكبـا) قرأ أبو عمرو بفتح الراء وكسر الألف ، وبكسرهما ابن عامر وحمـزة والكسـائى وأبو بكر ، فان اتصـل بكاف أو هـاء فتحهما ابن عامر ، وان كفيهـا ساكن كسر الراء وفتح الهمزة وأبو بكر وفتحهما الآخرون •

(قال هـذا ربى) واختلفوا فى قوله ذلك ، فأجـراه بعضهم على الظاهر ، وقالوا : لو كان ابراهيم عليه السلام مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقـه الله تعـالى ، وآتـاه رشـدا فلم يضره ذلك فى حـال الاستدلال ، وأيضا كان ذلك فى حال طفوليته قبل قيام الحجة عليه ، فلم يكن كفرا ، وأنكر الآخرون هذا القول ، وقالوا : لا يجـوز أن يـكون

لله رسول يأتى عليه وقت من الأوقات إلا وهو موحد ، وبه عارف ، ومن كل معبود سواه برىء ، وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل ، وأخبره عنه وقال : (إذ جاء ربه بقلب سليم) .

وقال : (وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض) أفتراه أراه الملكوت ليوقن ، فلما أيقن رأى كوكبا قال هذا ربى ، معتقدا ، فقال : هذا لا يكون أبدا . ثم قالوا فيه أربعة أوجه من التأويل :

الوجه الأول : أن ابراهيم أراد أن يستدرج القوم بهذا القول ، ويعرفهم خطأهم وجهلهم ، فى تعظيم ما عظموه ، وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ، ويرون أن الأمور كلها إليها ، فأراهم أنه معظم ما عظموه وملتمس الهدى من حيث ما التمسوه ، فلما أفل أراهم النقص الداخل على النجوم ليثبت خطأ ما يدعون ، مثل هذا مثل الحوارى الذى ورد على قوم يعبدون الصنم ، فأظهر تعظيمه فأكرموه حتى صدروا فى كثير من الأمور على رأيه الى أن دهمهم عدوّ ، وشاوروه فى أمره فقال : الرأى أن ندعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا ما قد أظلنا ، فاجتمعوا حوله يتضرعون ، فلما تبين لهم أنه لا ينفع ولا يرفع دعاهم الى أن يدعو الله فدعوه ، فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فأسلموا .

والوجه الثانى من التأويل : أنه قال على وجه الاستفهام : تقديره أهذا ربى كقوله تعالى : (أفإن مت فهم الخالدون) وذكره على وجه التوبيخ منكرا لفعلهم ، يعنى ومثل هذا يكون ربا ، ليس هذا ربى .

والوجه الثالث : أنه ذكره على وجه الاحتجاج عليهم ، يقول : هذا ربى مزعمكم ، فلما غاب قال : لو كان إلها لما غاب كما قال : (ذق انك أنت العزيز الكريم) أى عند نفسك وزعمك ، وكما أخبر

عن موسى أنه قال : (وانظر الى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا) •

والوجه الرابع : فيه اضمار وتقديره يقولون : هذا ربى قوله تعالى : (واذ رفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا) (فلما أفل قال : لا أحب الآفلين) ربا لا يدوم •

(فلما رأى القمر بازغا) طالعا قال : (هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى) قيل لئن لم يثبتنى ربى على الهدى ليس أنه لم يكن مهتديا ، والأنبياء لم يزالوا يسألون الله الثبات على الإيمان ، وكان ابراهيم عليه السلام يقول : (واجنبنى وبنى أن نعبد الأصنام) (لأكونن من القوم الضالين) أى عن الهدى •

(فلما رأى الشمس بازغة) طالعة قال : (هذا ربى هذا أكبر) أى أكبر من الكواكب والقمر ، ولم يقل هذه مع أن الشمس مؤنثة ، لأنه أراد هذا الطالع أورده الى المعنى ، وهو الضياء والنور ، لأنه رآه أضوأ من النجوم والقمر ، (فلما أفلت) غربت (قال يا قوم انى برىء مما تشركون • انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين) •

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول فى هذا ؟

قال : قد مضى من القول فى هذا ما يستدل به وكفى ، ومن العجب أن يكون الله تعالى قد حكى فى كتابه العزيز من قصص الصبيان وحكاياتهم فى حال الطفولية ، ثم أعجب منه أن لا يبين ذلك ان كان من ابراهيم ، إذ كان طفلا فى سربه قبل معرفته بربه ، ثم يثنى عليه بذلك ويقول : (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) أليس فى هذا ما دل على أن قولة القائلين بهذا فى محل البعد العظيم عن إصابة مفصل الصواب ، بل الحق الواضح الذى لا شك فيه أن ذلك كان من ابراهيم عليه

السـلام فى مقام الجدال لقومه بايضـاح الحق لهم ، واظهار ما عليه من الباطل فى اعتقادهم النفع والضرر من النجوم والتأله لهـا بالعبادة من دون الله تعالى ، فجرى معهم فى ذلك على أبلغ أسـلوب ، وأحـكم طريقة وأوضح مثال •

وانما ألهمه الله تعـالى ذلك ليكون حجة عليهم ، ولهـذا قال : (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) ثم وصفه برفـع درجتـه عنده ، وعلو مقامه معه ، فقال : (نرفـع درجات من نشـاء إن ربـك عليم حكيم) ، وإذ كانت هذه هى حجة الله بلسان ابراهيم ، فتمحـل الوجـوه لها طلبا للمخرج لقائلها لئلا يلزمه الشرك بما قاله ، والاعتداد له بالوجـوه البعيدة عنـاء محض ، وهذيان بحت . فان نفس الإذن به من الله تعالى كاف عن طلب المعاذير لـه ، كيف والحـق أنه كـلام محكم جائز صحيح ، ولو لم يثبت النص بـه ، فان ايراده على تلك الطريقة فى غاية الحسن ، ونهـاية الأحكام والإتقـان ، ومن أمثال هذا الباب ، قصـة الجوارى المذكـورة هنا ، وهى فى غاية الحسن ، وبهذا القدر من القول كفاية فى هذا المحل ، والله أعلم •

وعن قومنا : قال الشيخ النسفى : ولله تعالى كتب أنـزلت على الأنبيـاء ، وبين فيهـا أمره ونهيه ووعده ووعيده من الشرح ، وكلهـا كلام الله تعالى •

قال الشيخ : والمعراج للرسول عليه الصلاة والسـلام فى اليقظـة لشخصه الى السماء ، ثم الى ما شاء الله من العلى حـق من الشرح ، أى ثابت بالخبر المشهور ، حتى أن منكره يكون مبتدعا وانكاره وادعاء استحالته انما يبتنى على أصـول الفلاسفة ، وإلا فالخـرق والالتـئام على السموات جائز ، والأجسام متماثلة يصـح على ما يصلح للآخر . والله تعالى قادر على الممكنات كلها •

وقوله : فى اليقظة اشارة الى الرد على من زعـم أن المعراج كان فى المنام على ما روى عن معاوية أنه سأل عن المعراج ، فقال : كانت رؤيا صالحة ، وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : ما فقـد جسد نبينـا محمد ليلة المعراج •

وقد قال الله تعالى : (وما جعلنا الرؤيا التى أرينـاك إلا فتنة للناس) وأجيب بأن المـراد من الرؤية روية العين ، والمعنى ما فقـد جسده عن الروح ، بل كان مع روحه ، وكان المعراج للجسد والروح معـا •

وقوله : لشخصه اشارة الى الرد على من زعم أنـه كان للروح ، ولا يخفى أن المعراج فى المنام أو الروح ليس مما ينكر كل الانكار ، والكفرة أنكروا أمر المعراج غاية الانكار ، بل كثير من المسـلمين قـد ارتدوا بسبب ذلك •

قوله : الى السماء اشارة الى الرد الى من زعـم أن المعراج فى اليقظة لم يكن إلا البيت المقدس ، كما نطق به الكتاب •

قوله : الى ما شاء الله من العلى اشـارة الى اختـلاف أقـوال السـلف ، فقيل : الى الجنـة ، وقيل : الى العرش ، وقيل : فـوق العرش ، وقيل : الى طرف العـالم فالاسراء من المسجد الحـرام الى بيت المقدس قطعى ثبت بالكاتب ، والمعـراج من الأرض الى السـماء مشهود ، ومن السماء الى الجنة أو العرش أو غـير ذلك آحـاد ، ثم اتضح أنه عليه الصلاة والسلام انما رآى ربه بفؤاده لا بعينه ، وقال اللقانى فى شرحه لأرجوزته ، وجـزم أنـه من أنكر المعـراج حـكم بتبديعه وتفسيقه ، وهو صواب فى خصوص المعـراج •

قال الشيخ ناصر بن نبهان : ان خبر الاسراء من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس ، قد نطق به التنزيل ، فلا يجوز الشك فيه بعد الحجة بصحبته على من قامت عليه الحجة بمعرفته ، وهو من قسم ما لا تقوم به الحجة إلا بالسماع ، كما سيأتى بيان هذا القسم فى محله من بيان الأحكام الشرعية ان شاء الله تعالى .

وأما خبر وقوع معراج النبى صلى الله عليه وسلم برؤية عقله فى اليقظة فممكن ، والأصح وقوعه لقوله تعالى : (ولقد رآه) أى جبرائيل عليه السلام (نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ البصر وما طغى) (أفتمارونه على ما يرى) .

وقد جاء ان من تلا ليلا ونهارا لا ينام إلا عن غلبة ، ولا يأكل إلا قليلا ، ولا يفتر عن الذكر ، ولا يذكر ذكرا غيره إلا ما لابد منه ، ولا يلتفت قلبه بذكر غيره ، ويكون بعيدا عن الناس ، ولا يأكل من ذى روح ، ولا ما خرج من ذى روح ، ولا يقارب النساء ولا الصبيان كذلك بقلبه إن استطاع لا بلسانه ، وإن استطاع بحضور العقل لا غير ، كان أبلغ وباللسان وجه يصح إلا أنه أضعف من الوجهين اسم الذات الذى لا يتوجه مطلوبه ، أى الاسم الى الذات أربعين يوما .

ففى السبع الأولى يرى كلما أخذته سنة أو أخذه نوم بين اليقظة والمنام عجائب الأرض .

وفى السبع الثانية عجائب السموات ، وفى كل سبع يرى أعلى من التى قبلها ، ثم يتم الأربعين يوما أعطاه التصريف بالاسم الأعظم .

ولكن الحجاب الأكبر عن بلوغه كثرة الالتفات القلبى الى ذكـر غيره ، فان رأى نفسـه لا تستطيع قطع ذلك ، فهو يدل على أنـه ليس من أهل اليسر ، وان وجـد نفسه فيهـا جمع همه لمراده قليـل الالتفات القلبى الى ذكـر غيره فعسى أن يكون من اهله بالاجتهـاد فى ذلك ، وقد دل والدى أبو نبهـان رجـلا فاستعمل ذلك •

ففى السبع الأولى كلما أخـذته سنة أو أخـذه نوم كان مضطجعا أو قاعدا رأى كأنه يدور فى أقطـار الأرض •

وفى السبع الثانية رأى كأنه يطير فى الهوى •

وفى السبع الأخرى كأنه يدور فى السموات ، ويرى الملائكة فى نومه فى السموات •

وفى الأربعين جـاوز السـموات ورأى مكانا ليس فيـه إلا ملك قاعد على كرسى فقال له : من علمك هذا ؟ فأخبره بالذى علمه إيـاه ، فقال له : أنا صاحب هذا الاسـم الموكل بأسراره ، ولكنك قصرت فى سـلوكك •

ومن رام سره والتصريف به ، فلابد من السلوك اليـه بشروطه ، فارجع الى معلمك فى ذلك ، فرجـع الى والدى رحمه الله ، فوجـده لم يعمل بشروطه التى ذكرناها ، وأظن أنه علمه شروطه مـات قبـل شروعه الى استئناف العمل ، وبهـذا الاسم يكشفون ما يريدون كشفه المتصوفون •

وقيل : ان قول النبى صلى الله عليه وسلم : « من أخلص للـه أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة على قلبه » أراد بذلك الى هـذا

المعنى الذى ذكرنا به عن الصوفيين ، ومن أراد بـــه ذلك فلا يحتـــاج الى قطع أكل كل ذى روح ، وما خرج من ذى روح ، ولا ترك النكاح ، وانما عليـــه ما بقى من الشروط •

واذا كان هكذا فى حق غـــير نبى فكيف بالأنبيـــاء ، وكيف بالنبى الأكرم محمد صلى الله عليه وسلم ، وقلبه لا يغفل عن ذكر الله ليـــلا ولا نهـــارا فى يقظـــة ولا منـــام طرفة عين ، لقـــوله صلى الله عليـــه وســـلم : « تنام عيناى ولا ينام قلبى » •

وأما معراج النبى صلى الله عليه وسلم الى السموات بجســـده وبروحه التى بها حيـــاة ، وبعقله مفارقـــا للجســـد فلا يصح ، لأنـــه بمفارقة الروح الجســـد يصير الجسد ميتا ، وبمفارقة العقـــل الجسد يصير مغميا عليـــه كالميت •

وأما معراجه بجسده وروحه معا الى السماء أو الى ما هـــو أعلى فلم يأت صريح التنزيل بذلك ، ولا قامت الحجـــة بصحيح الســـنة ، ولا يصح فيه الاجمـــاع الذى لا يجوز خلافه إلا ما بصحة تنزيـــل لعله تأويل أو بصحة سنة ، والصحيح لا يحتمل الوجهين : الوقوع وعدم الوقوع ، وهـــو من الممكن كونه وعـــدمه ، والله تعـــالى قـــدير على ما فعل كل ممكن ، فعلى هذا فلا يلزم اعتقاد كون وقوعـــه أنه واقع ، ولا أنه غير واقع •

ومن صور له عقله أنه واقع فقال : انه صحيح فجائز لـــه ما لم يدن بذلك ، وما لم يخطىء أحدا بخلافه ، ومن دان بـ ذلك أو فســـق من قال بخلافه فلا شـــك أنه هالك آثم ظالم فاسق •

وكذلك من رأى فى عقله أنه غير صحيح فقال : انه يراه فى نفسه

غير صحيح فجائز له ما لم يدن بذلك ، وما لم يخطىء أحـدا بخلافه ، ومن دان بذلك أو فسـق من قال بخلافه فلا شـك أنه هالك آثم ظالم فاسـق •

وكذلك من رأى فى عقله أنه غير صحيح فقال انه يراه فى نفسـه غير صحيح ، جائز له ما لـم يدن بذلك أو يخطىء من قال بخـلافه فى دينـه •

ومما يستحسن أن لا يقطع أنه غير صحيح ، فان قطع كذلك لفظا وفى نفسـه يريد أنه يرى كذلك ، وان لم تحضره نباهة لم يكن اثما اذا كان فى أصل عقيدته أن القطع بعلم الغيب على التحقيق لا يجـوز ، وان لم ينته الى هذا كله فلا بأس عليـه •

وفيما يدل عليه كلام عائشة رضى الله عنها على أنه لم يعـرج بجسده ، وان حاول هذا الشـارح له تفسـيرا غير هـذا فالاصح ان تفسيره غير ما فسره هـو وانما استجلب لـه معانى ليكون على وفـق مذهبه ، ولو كان مذهبه غير التقليد لرأى أن الحق فى تفسيره ، كمـا ذكـرناه فنفسى تميل الى أنه لم يسر بجسـده ، وان جميع ما ذكروه فيه من رؤية فى السموات الأنبيـاء •

وذكر تخفيف الصلوات وتردده على الله غير صحيح ، والله تعالى أسرى بجسده وروحه من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، وأنزل فى كرامته له هـذه تنزيلا فى ذكرها لتؤمن بها فيـه ، فكيف لا يذكـر البارى تعريجه فى الأرض الى السموات ، أو الى أعلى من السـموات فى تنزيله ، ولو كان صحيحا لأنزل ذكر ذلك البارى فى تنزيله ، وجهـل علم وقوع المعراج مما يسـع ، فليس هـو من العقـائد الدينيـة ، والله أعـلم • انتهى •

قلت لشيخي الخليلي : ما تقول ؟

قال : ان قول شيخنا الفقيه في هذه المسألة العظيمة هو الحق الذي لا يأباه منصف ، ولا يتجاوزه إلا متعسف ، فهو القول الصحيح ، والحق الصريح ، والله أعلم •

ومما عن قومنا : وأول الأنبياء آدم ، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم • فأما نبوة آدم عليه السلام فبالكتاب الدال على أنه أمر ونهى مع القطع بأنه لم يكن في زمنه نبي آخر ، فهو بالوحي لا غير • وكذا السنة والاجماع ، فانكار نبوته على ما نقل عن البعض يكون كفرا •

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : اختلف العلماء في آدم أنه نبي أو انه ولي ، والشك مع الاختلاف لا يكون كفرا اذ لم يصح ثبوته نصا في القرآن ، ولاقامت الحجة بالصحة أنه نبي من السنة ، ولا صح فيه اجماع وأبلغ منجزة ، وأبقى معجزة النبي صلى الله عليه وسلم وهو القرآن العظيم ، إذ معجزة كل نبي لم يبق وجودها بعد موته ، ولا معجزة القرآن ومعجزة كل نبي يوجدها شبيه في العلم ، أو السحر ، وان كانت الآية التي هي المعجزة أبلغ من الشبه ولكن يمكن المنكرون أن يقولوا هذا سحر عظيم وأما تركيب نظم القرآن بحيث صار معجزا ، فلا يمكن المنكرون أن يقولوا إن السحر يمكن أن يكون منه ، هكذا وبالحق أن جميع معجزات الأنبياء لا يشبهها شيء في العلم ولا في السحر ، بل هي خارقة لعادة ما يظهر في العلم أو السحر من خوارق العادات ، فالمعجزة خارقة العادات الخارقة للعادات ، فافهم ذلك • رجع •

فان قيل ورد فى الحديث نزول عيسى عليه السلام بعده .

قلنا له : نعم ، ولكن يتابع الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأن شريعته قد نسخت ولا يكون اليه وحى ، ونصب أحكام بل يكون خليفة رسول الله عليهما الصلاة والسلام ، ثم انه لا يصح أنه يصلى بالناس ويؤمهم ويقتدى به المهتدى لأنه أفضل فامامته أولى .

قال الشيخ ناصر بن جاعد : والحق فى ذلك معى أن نزول عيسى عليه السلام ، وخروج المهدى المنتظر كل هذا غير صحيح ، وليس له فى الكتاب ولا فى السنة ، ولا فى دليل العقل من دليل صريح ، ولا من دليل تأويلى ، وما الفائدة فى بعث عيسى عليه السلام والمهدى ، وما الفائدة فى بعثهما معا ، فان شريعة النبى صلى الله عليه وسلم قائم ضياؤها ، واضح برهانها .

فان كان لأجل التفرقة بين الحق والباطل من افتراق الأمة ، فان كل الحق لا يمكن معرفته إلا بهما ، فكيف يترك أمة النبى صلى الله عليه وسلم على ضلالهم عند افتراق الصحابة الى خروج عيسى والمهدى ، وكثير من عباد الله يريد أن يعبدالله تعالى بدينه الحق ، فيتركه الله بضلاله ، وصار لا فائدة لبعث النبى صلى الله عليه وسلم إلا لنفسه ولأصحابه الذين ماتوا قبل وقوع الأحداث الواقعة بينهم ، وان كان الحق معروفا بدون عيسى والمهدى ، فما فائدة بعثهما فأينما توجهت فى البحث تجد هذا غير صحيح ، والله أعلم .
رجع الى قولهم .

وقد روى بيان عددهم فى بعض الأحاديث ، والأولى أن لا يقتصر على عدد فى التسمية ، وقد قال الله تعالى : (منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك) ولا نؤمن فى ذكر العدد أن يدخل فيهم من ليس منهم ، أو يخرج منهم من هو منهم ، وكلهم كاف مخبرين مبلغين عن الله عز وجل .

وأفضل الأنبيـــاء النبى صلى الله عليه وسلم ، والملائكة عباد الله العاملون بأمره ، ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة من الشرح •

فان قيـــل : أليس قـــد كفر ابليس وكان من الملائكة بدليـــل صحة استثنائه منهم ؟

قلنا : لا بل كان من الجن ففســـق عن أمر ربه ، لكنـــه لمـــا كان صفة الملائكة فى باب العبادة والرفعة ، صح استثناؤه منهم تغليبا •

وأما هاروت وماروت هلا صح أنهما ملكان لم يصـــدر عنهما كفـــر ولا كبيرة ، وتعذيبهما انما هو على وجه المعاتبة كما يعاتب الله الأنبياء عليهم الســـلام على الزلة والسهو ، وكانـــا يعظـــان النـــاس ويعلمان السحر ويقولان : انما نحن فتنـــة فلا تكفر ، ولا كفر فى تعليم السحر ، بل فى اعتقاده والعمل به ؟

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهـــان : وردت القراءتان جميعا قـــوله تعالى : (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت) بكسر اللام على أنهمـــا من ملوك الانس ، وبفتح اللام على أنهمـــا من الملائكة ، ولا يصـــح الحق أن يكونا إما من الملائكة ، أو من ملوك الانس ، فلا سبيل الى تحقيق الحـــق على هذا ، أو على هذه الصفة أن لو صح أنه كذلك لـــم تجر الصـــلاة بهـــذه الآية على هذه الصفة ، خـــوفا أن تـــكون على خلاف الحق ، وهذا لابد منه على كل حال اذا كان على هذا التأويـــل ، ولا شك أن هذا باطـــل لقـــوله تعالى : (لوجـــدوا فيـــه اختـــلافا كثيرا) •

ولا نعلم أن أحدا حرم الصلاة بآية لثبوت شك فيهـــا ، فلما بطل هذا التأويل صح أنهما ملكان فى النسب بكسر اللام همـــا ملوك بابل ،

وأنهما ملكان بفتح اللام باتصافهما بصفات الملائكة فى أفعالهما بالأسرار الروحانية كأفعال الملائكة ، أو يفعلون بالأسرار بتسخير الله الروحانيــة لهم ، ولحسن أخلاقهم وأفعالهم الخــارقة كفى بتسميتهم من الملائكة إخبــارا من الله عنهم فى صــلاح أحوالهم ، وتسخير الروحانية لهم ، ويعلمون بالناس العلم والسحر فتنة من الله لقومهما ليطيعوا الله تعالى أو ليعصوه •

وبهذا التأويل لا يمكن الغلط بأى القراءتين قرأهما القــارىء كان مصيبا ، والدليــل أنهما من البشر قوله تعالى : (ما أنزل على الملكين) فلو كانا من الملائكة لقــال وما أنــزل به الملكان ، وقــال تعــالى : (ولو جعلنــاه ملكا لجعلنــاه رجــلا وللبسنا عليهــم ما يلبســون) وقال تعالى : (ولو كان فى الأرض ملائكة يمشــون مطمئنين لنزلنــا عليهم من السماء ملكا رســولا) فكلمة لو تــدل على أنــه لم يكن فى الأرض ذلك ، إذ لو قــد كان لم يكن هنــالك حرف لو ، فصح أن الحــق ما قلنــا •

وحرام وفسق ومعصية من وصفهما أنهما عصيا الله تعالى ، وقد أثنى الله عليهما فى كتابه ، ومدحهمــا على أفعالهما ، فان كان من قوله تعالى : (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحــد حتى يقولا انمــا نحــن فتنــة فلا تكفر) فصــح أنهمــا ينهيــان عن الكفر ، وانمــا أنزل عليهمــا السحر والعلم الحق ، ويعلمون الناس الســحر باذن الله ، ويعلمانهم الحق فيتبعون السحر وهو الباطل الذى حــرماه عليهــم ، ولا يريدون العلم الحق ، وما فعلا ذلك إلا باذن الله وأمره تعالى عليهما لازما فتنة للنــاس ، ليعلم الله من يطيعه ومن يعصيه •

كما ابتلى أصحاب السبت بتحـريم الصـيد عليهـم يوم السـبت فتنة ، ليعلم الله من يطيعه ومن يعصيه ، وهكذا جميع التعبد انمـا هو فتنة من جميع أحكام دين الله ، من واجب ومحرم ومندوب ، ووسيلة ومكون ومباح ، من صـلاة أو صـوم أو زكاة أو حج الى جميع الأحكام الشرعية ، انما هى فتنة للعباد •

والمعنى المراد بالفتنة الاستخبار ليعـلم الله من يطيعه فى ذلك ومن يعصيه ، والله تعالى عليم بهم من غير أن يفتنهم ، أى يستخبرهم بذلك ، ولكن أراد فى كل امرىء أن يعلم نفسـه بنفسـه فيجازيه على عمـله بفعله ، فلم يكن تعليم السحر الناس من هاروت وماروت هـو الفتنـة لا غير ، وليس المعنى هنا من الفتنة مثل معنى قوله تعالى : (والفتنـة أشـد من القتـل) أى فتنة العالم الذى ليضـل بمذهبه الباطل أمـة الى يوم الحشر •

بل المعنى هنا بالفتنة الافتتان قال تعالى : (ألـم أحسب النـاس أن يتركوا أن يقولوا آمنـا وهـم لا يفتنون) وقال تعالى : (انمـا أموالكم وأولادكم فتنة) •

والقول أنهما ملكان معذبان على زلة فعلاها باطل لا يجـوز بصريح التنزيل على الثناء عليهما ، وبما ذكرناه من قوله تعالى : (ولو جعلناه ملكا) وقوله : (ولو جعلنا فى الأرض ملائكة) فاعـرف ذلك ، وباللـه التوفيق • انتهى •

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول فى هذا ؟

قال : فالذى عندى أن هذا كله حسن جائز من قول شيخنا جزاه الله خيرا ، والله أعلم ، إلا أنه ينبغى النظـر فى قوله : إنه اذا ثبت

القول بالوجهين فلابد من دخول الشك فى معنى الآية الشريفة ، وحينئذ لا تجوز الصلاة بها ، وهذا لا يلزم ، ولو قدرنا أنهما ملكان من الملائكة كانا ملكين فى بابل من الملوك أو أنهما ملكان بالكسر من الانس كانا ملكين بالفتح لما يعمل ان عمل الملائكة مدحة لهما ، وثناء عليهما ، وتخصيصها لهما بما يعملان بذلك العلم من الأحوال الخارقة والأعمال التى لا تتأتى للبشر لكان الوجهان صحيحين ، ولم يكن فى ذلك اختلاف معنى ولا لبس ولا اعتراء شك يوجب القدح فى معنى الآية والشك فيها ، حتى لا تجوز الصلاة بها ، فهذا ما لا وجه له البتة فيما عندى •

وأما توجيه الشيخ فى تأويل هذه الآية الشريفة ، فهو من قوله : حسن فيما عندى ، والله أعلم •

وعن قومنا أيضا فى تأويل قوله تعالى : (ما ننسخ من آية أو ننسها) وذلك أن المشركين قالوا : ان محمدا يأمر أصحابه بأمر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلاف ما يقوله إلا من تلقاء نفسه ، يقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا كما أخبر الله : (واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر) وأنزل : (ما ننسخ من آية أو ننسها) فبين وجه الحكمة فى النسخ بهذه اللغة •

والنسخ فى اللغة شيئان : أحدهما بمعنى النقل والتحول ، ومنه نسخ الكتاب ، وهو أن يحول من كتاب الى كتاب ، فعلى هذا الوجه كل القرآن منسوخا ، لأنه نسخ من اللوح المحفوظ ، والثانى يكون بمعنى الرفع ، يقال نسخت الشمس الظل ذهبت به وأبطلته ، فعلى هذا يكون بعض القرآن ناسخا وبعضه منسوخا وهو المراد من الآية ، وهذا على وجوه أحدها أن يثبت الخط وينسخ الحكم مثل آية الوصية للأقارب وآية عدة الوفاة بالحول ، وآية التخفيف فى القتال ، وآية الممتحنة وغيرها •

وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : (ما ننسخ من آية) ما نثبت خطها ونبدل حكمها ، ومنها أن نرفع تلاوتها ، ويبقى حكمها مثل آية الرجم ، ومنها أن يرفع أصلا عن المصحف ، وعن القلوب كما روى عن أبى أمامة ابن سهل بن حنيف أن قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرءوا سورة ، فلم يذكروا منها إلا بسم الله الرحمن الرحيم ، فغدوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تلك سورة رفعت بتلاوتها وأحكامها » .

وقيل كانت سورة الأحزاب ، مثل سورة البقرة ، فرفع أكثرها تلاوة وحكما ، ثم من نسخ الحكم ما يرفع ويقام غيره مقامه كما أن القبلة نسخت من بيت المقدس إلى الكعبة ، والوصية للأقارب نسخت بالميراث ، وعدة الوفاة نسخت بالحول الى أربعة أشهر ومصابرة الواحد العشرة فى القتال نسخت بمصابرة الاثنين .

ومنها ما يرفع ولا يقام غيره مقامه كامتحان النساء ، والنسخ انما يعترض على الأوامر والنواهى دون الأخبار ، أما معنى الآية قوله : (وما ننسخ من آية) قراءة العامة بفتح النون والسين من النسخ أى نرفعها، وقرأ ابن عامر بضم النون وكسر السين من الانساخ ، وله وجهان أحدهما نجعله فى المنسوخ ، والثانى نجعله فى المنسوخ نسخة لك ، يقال نسخت الكتاب أى كتبته وأنسخته غيرى اذا جعلته نسخة له ، أو ننسخها عن قلبك .

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : نتركها لانسخها أراد ننسها ، قال الله تعالى : (نسوا الله فنسيهم) أى تركوه فتركهم ، وقيل ننسها أى نأمر بتركها ، يقال نسيت الشىء اذا أمرت بتركه ، فكون النسخ الأول من رفع الحكم ، واقامة غيره مقامه ، والانساء يكون نسخا من اقامة غيره مقامه ، وقرأ ابن كثير وابن عمرو : ننساها

بفتح النون الأول والسين مهموزا أى نؤخـرها فلا نبدلها ، يقـال : نسأ الله فى أجـله ، وأنسأ الله أجله ، ففى معنـاه قولان :

القول الأول : نرفع تلاوتهـا أو نؤخـر حكمها كمـا فعل فى آية الرجم ، فعلى هذا يكون النسخ الأول بمعنى رفع التلاوة والحكم •

والقول الثانى : قاله سعيد بن المسبب وعطاء أما (ما ننسخ من آية) فهو ما قد نزل من القرآن جعلاه من النسخة (أو ننسـاها) ، أى نؤخرها ونتركها فى اللوح المحفوظ ، فلا نترك (نأت بخير منهـا) أى بما أنفع لكم وأسهل عليكم ، وأكثر لأجلكم لأن الآية خير من آية ، لأن كلام الله واحـد ، وكله خيرا ، أو مثلهـا فى المنفعة والثواب •

فكل ما نسخ الى الأيسر فهو أسهل فى العمـل ، وما نسـخ الى الأشق فهو فى الثـواب أكثر ، ألم تعلم أن الله على كل شىء قدير من النسـخ والتبديل ، لفظـه استفهام ، ومعناه تقـرير ، أى انك تعلم • انتهى •

قلت لشيخى الخيلى : ما تقـول فى هذا ؟

قال : أقول انه كلام حسن ، ولم يبن لى فى شىء منـه ما يخـرج به عن الصـواب ، والله أعلم •

وعن قومنا أيضـا فى تأويل قوله تعالى : (يمحوا الله ما يشـاء) من الفرائض (ويثبت) قرأ ابن كثير وعمرو وعاصم ويعقوب ، ويثبت بالتخفيف وقرأ آخرون بالتشديد ، واختلفوا فى معنى الآية :

فقال سعيد بن جبير ، وقتاده : يمحوا الله ما يشـاء من الشرائع

والفرائض فينسخه ويبدله ، ويثبت ما يشاء منها فلا ينسخه ولا يبدله ٠

وقال ابن عباس : يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق والأجل والسعادة والشقاوة ، ورويناه عن حذيفة بن أسيد ، عن النبى صلى الله عليه وسلم : « يدخل الملكان على النطفة بعد ما تستقر فى الرحم بأربعين أو بخمسة وأربعين يوما فيقولان : يارب أشقى أم سعيد فيكتبان . فيقولان : أى رب أذكر أم أنثى ، فيكتبان ، ويكتب عمله وأثره وأجله ورزقه ، ثم تطوى الصحف . فلا يزاد فيها ولا ينقص ٠

وعن عمرو وابن مسعود أنهما : يمحوا الله السعادة الشقاوة ، ويمحوا الله الرزق والأجل ، ويثبت ما يشاء ٠

روى عن عمرو أنه كان يطوف البيت وهو يبكى ويقول : اللهم ان كنت كتبتنى فى أهل السعادة فأثبتنى فيها ، وان كنت كتبتنى على الشقوة فامحنى وأثبتنى فى أهل السعادة والمغفرة ، فانك تمحوا ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ، ومثله عن ابن مسعود ٠

وفى بعض الآثار أن الرجل يكون قد بقى من عمره ثلاثون سنة ، فيقطع رحمه فيرد الى ثلاثة أيام ، ويكون الرجل قد بقى من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه فيرد الى ثلاثين سنة ، أخبرنا عبد الواحد المليحى ، ثنا أبو منصور السمعانى ، ثنا أبو جعفر الربانى ، ثنا حميد بن زنجويه ، ثنا عبد الله بن صالح ، حدثنى الليث بن سعد ، حدثنى زياد بن محمد الأنصارى ، عن محمد بن كعب القرظى ، عن فضالة بن عبيد ، عن أبى الدرداء أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينزل الله عز وجل فى آخر ثلاث ساعات بيقين من الليل فينظر فى الساعة الأولى منهن فى أم الكتاب الذى لا ينظر فيه أحد غيره ، فيمحو ما يشاء ويثبت » ٠

وقال : معنى الآيــة أن الحفظــة يكتبون جميع أعمــال بنى آدم وأقواله ، فيمحو الله من ديوان الحفظة ما ليس فيــه ثواب ولا عقاب ، مثل قوله : أكلت شربت دخلت خرجت ونحوها من كلام هو صــادق فيه ، ويثبت ما فيه ثواب وعقــاب هــذا قول الضحاك والكلبى . وقال الكلبى : يكتب القول كله حتى اذا كان يوم الخميس طــرح منه كل شىء ليس فيه ثواب ولا عقاب .

وقال عطية عن ابن عباس : هو الرجل يعمل بطاعة الله عز وجل ، ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله ، فهــو الذى يمحــو ، والذى يثبت : الرجل يعمل بطاعة الله فيموت وهو فى طاعــة الله عز وجــل ، فهو الذى يثبت .

وقال الحسن : يمحو ما يشــاء أى من جــاء أجله يذهب بــه ، ويثبت من لم يجىء أجله الى أجله ، وهو سعيد بن جبير قال : يمحو الله ما يشــاء من ذنوب العبــاد فيغفرها ، وقال عكرمة : يمحو الله ما يشــاء من الذنوب بالتوبة ، ويثبت بدل الذنوب حسنات ، كما قال الله عز وجل : (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات) وقال الســدى : يمحــو الله ما يشــاء يعنى القمــر ، ويثبت ما يشــاء يعنى الشمس بيانه قوله تعالى : (فمحونا آية الليــل وجعلنا آية النهار مبصرة) .

وقال الربيع : هذا فى أرواح يقبضها الله عند النــوم ، فمن أراد موته محاه فأمسكه ، ومن أراد بقاءه أثبته ورده الى صاحبه ، بيــانه قوله عز وجــل : (الله يتوفى الأنفس حين موتهــا) الآية .

(وعنده أم الكتاب) أى أصــل الكتاب ، وهــو اللوح المحفوظ الذى لا يبدل ولا يؤخــر ولا يغير .

قال عكرمة : عن ابن عباس رضى الله عنهما : هما كتابان كتــاب

سوى أم الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت وأم الكتاب الذى لا يغير منـه شىء . وعن عطـاء بن عباس قال : ان لله تعالى لوحا محفوظا مسـيره خمسمائة عام من درة بيضـاء له دفتـان من ياقوت ، لله فيـه كل يوم ثلاثمائة وستون لحظة ، يمحو الله ما يشـاء وعنده أم الكتاب •

وسأل ابن عباس كعبا عن أم الكتاب قال : علم الله ، ما هو خالق وما خلقـه عاملون • انتهى •

وعن قومنا أيضا فى تأويل قوله تعالى : (يدبر الأمر من السـماء الى الأرض) أى يحكم الأمر وينزل القضـاء والقدر من السماء الى الأرض ، وقيـل ينزل الوحى مـع جبريـل من السـماء الى الأرض (ثم يعـرج اليـه) يصعد اليه جبريل بالأمـر فى يوم كان مقـداره ألف سنة مما تعـدون ، أى فى يوم واحـد من أيام الدنيا وقدر مسيره ألف سـنة خمسمائة نزولـه وخمسـمائة صعوده ، لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام يقـول : لو سـار أحد من بنى آدم لم يقطعه إلا فى ألف سنة ، والملائكة يقطعونه فى يوم واحـد ، هذا وصف عروج الملك من الأرض الى السماء •

وأما قوله : (تعرج الملائكة والروح اليـه فى يوم كان مقـداره خمسين ألف سنة) أراد مقدار المسـافة من الأرض الى سـدرة المنتهى التى هى مقـام جبريل والملائكة الذين معـه من أهـل مقامه مسـيرة خمسين سنة فى يوم واحـد من أيام الدنيـا ، هذا كله معنى قـول مجاهد والضحاك ، وقوله : (اليـه) الى الله ، وقيـل هذا التأويل الى مكان الملك الذى أمـره الله عز وجـل أن يعـرج اليـه •

وقال بعضهم : ألف سنة وخمسون ألف سنة كلها فى القيامة يكون على بعضهم أطول ، وعلى بعضهم أقصر ، معنـا يدبر الأمر من السماء

الى الأرض مدة أيام الدنيا يعرج أى يرجع الأمر والتدبير اليه بعد فناء الدنيا ، وانقطاع الأمر وحكم الحكام فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة .

وأما قوله : (خمسين ألف سنة) فانه أراد الكافر يجعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين ألف سنة ، وعلى المؤمنين دون ذلك . حتى جاء فى الحديث : « أنه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها فى الدنيا » قال ابراهيم التميمى : لا يكون على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر ، ويجوز أن يكون اخبار من شدته وهو له ومشقته .

وقال ابن أبى مليكة : دخلت أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان ابن عفان على ابن عباس ، فسأله ابن فيروز عن هذه الآية ، وهى من قوله خمسين ألف سنة ، فقال له ابن عباس : أيام سماها الله تعالى لا أدرى ما هى ، وأكره أن أقول فى كتاب الله ما لا أعلم . انتهى .

قال شيخنا الخليلى رحمة الله عليه : الله أعلم ، وأقول فى هذه وما قبلها بما قاله ابن عباس هنا جزاه الله خيرا ، والله أعلم .

وعن بعض قومنا : وأخباره تعالى لا تتعلق بالزمان ، والمتعلق به المخبر عنه ، والتغير عليه لا على الأخبار كما فى الأخبار وفى السنة الى الأزل ، لا يتصرف بشىء من الأزمنة ، إذ لا ماضى ولا مستقبل ولا حال بالسنة الى الله تعالى لتنزيهه عن الزمان ، كما أن علمه أزلى لا يتغير بتغير الأزمان ، ولما صح بأزلية الكلام ، حاول التنبيه على أن القرآن أيضا قد يطلق على هذا الكلام النفسى القديم ، كما يطلق على النظم المتولى ، فقال : والقرآن كلام غير مخلوق .

وعقب القرآن بكلام الله مما ذكر المشايخ من أنه يقال القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ، ولا يقال القرآن غير مخلوق لئلا يسبق الى الفهم أن القرآن المؤلف من الأصوات والحروف قديم ، كما ذهب اليه الحنابلة جهلا أو عنادا ، وأقام غير المخلوق مقام غير الحادث تنبيها على اتحادهما ، وقصد الى جرى الكلام على وقف الحديث حيث قال عمر : القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال : انه مخلوق فهو كافر بالله العظيم ، وتنصيصا على محل الخلاف بالعبارة المشهورة فيما بين الفريقين ، وهو أن القرآن مخلوق أو غير مخلوق ، وهذا يترجم لهدى المسألة بمسألة خلق القرآن أى يقال لهذه المسألة مسألة خلق القرآن ، فلا يستلزم من قال بهذا القول أنه أوجب خلقه ، بل كذلك جرت تسميتها مع من يقول انه غير مخلوق ، ومع من يقول انه مخلوق ، وتحقيق الخلاف بيننا وبينهم يرجع الى ثبات الكلام النفسى ونفيه ، وإلا فنحن لا نقول بقدم الألفاظ والحروف ، وهم لا يقولون بحدوث كلام نفسى ، ودليلنا ما مر أنه ثبت بالاجماع وتواتر النقل من الأنبياء من أن الله تعالى متكلم ، ولا معنى له سوى أنه متصف بالكلام ، ويمتنع كلام اللفظى الحادث بذاته تعالى فتعين النفسى القديم •

وأما استدلالهم بأن القرآن متصف بما هو من صفات المخلوق ، وسمات الحدوث من التأليف ، والتنظيم والانزال والتنزيل ، وكونه عربيا مسموعا فصيحا معجزا الى غير ذلك ، فانما تقوم الحجة بذلك على الحنابلة لا علينا ، لأنا قائلون بحدوث النظم ، وانما الكلام فى المعنى القديم ، والمعتزلة لما لم يمكنهم انكار كونه تعالى متكلما ذهبوا الى أنه متكلم بمعنى ايجاد الأصوات والحروف فى

محالها ، أو ايجاد أشكال الكتابة فى اللوح المحفوظ ، وأن يقرأ على اختلاف بينهم ، وأنت خبير بأن المتحرك من قامت به الحركة لا من أوجدها ، ولا يصح اتصاف البارى بالأعراض المخلوقة له تعالى عن ذلك علوا كبيرا •

قال المؤلف : لا يوجب ذلك فى صفات الله تعالى أن يكون متكلما بغيره أن لو قدر أن كلام القرآن مخلوق ، لأن البارى سبحانه وتعالى قادر أن يخلق فى اللوح كلاما عربيا منظوما آيات عظيمة بالغة فى الفصاحة معجزة لفصحاء من خلقه فيه توحيد ، ووعد ووعيد وأخبار وأمثال ، ونهى وأمر ويأمر جبريل عليه السلام أن ينزل به الى رسول من رسله تعالى ، ويكون فيه كلام خلقه الله فى اللوح المحفوظ وأمر جبريل أن ينزل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرسول •

فلو فعل الله ذلك فلمن ينسب ذلك الكلام الذاكن أللرسول أم لجبريل أم ينسب الى الله تعالى وهو يجوز لا ينسب الى الله تعالى ، فيقال : هذا كلام الله تعالى ، وقد شرطنا أنه خلقه ، فكان فى اللوح المحفوظ كما شاء أن يخلقه ، لأن إضافة الكلام الى الله على وجهين : كلامه تعالى الذى هو موصوف به ذاته أنه لم يزل متكلما ، فذلك كلامه هو غير مخلوق ، ومن قال : انه مخلوق فقد كفر بالله تعالى •

والوجه أنه ينسب اليه كل شىء خلقه بغير واسطة مخلوق كما يقال : سماء الله تعالى ، وأرض الله تعالى ، وكما يقال : عيسى عليه السلام روح الله ، وجبريل روح الله ، كذلك الكلام الذى قدرنا أنه لو خلقه فى اللوح المحفوظ فينسب الى الله تعالى أنه كلام ، وكتاب الله ، وآيات الله ، وأمر الله ، ونهى الله ، وأخبار الله ، ووعد الله ،

ووعيد الله ، والمعنى أنه لم يكن أنه كلام أحـد من المخلوقين ، بل خلقه الله تعالى هـو كذلك ، فأضيف الى الله اضـافة ابداع له ، وإقرار أنه عن اللـه .

فصح أن من قال : ان كلام القرآن هـو مخلوق لا يوجب أنـه وصف الله تعالى بأنه متكلم بصفة هى من صفات ذاته قائمـة بذات غيره من مخلوقاته ، غيره من أهـل مذهبه كما بينـاه سابقا ، ولا يوجب بذلك أن يكون متصفا بالأعراض المخلوقة ، وجميع ما آتاه من قواعـده النفى خلق القرآن أراها متلاشية على هذا المثـال ، وأما اثبـاته أن كلام الله كلام نفسـه هو غير مخلوق ، فذلك حق ، ولكن هذه القاعدة لا تستلزم حـكم كلام القـرآن ، لأن كلام ذات الله الذى هـو من صفاته .

قال غيره : تفضل سيدى بالنظر فى جميع هذا وايضـاح ما عندك فيـه ، فاننا لذلك محتاجون ، وفى معرفته راغبون .

قال غيره : نظرت والذى معى أن قول الشيخ فى هذه المسألة على سبيل الاجمـال غير خارج من الصواب ، وهذا كاف فى هذا الموضـع عن الاطالة بالبحـوث ، والله أعلم .

ومن بعض شروحهم أيضا : قوله : والجنـة حق ، والنـار حق ، لأن الآيات والأحاديث فى شأنهما أشـهر من أن تخفى ، وأكثر من أن تحصى .

وتمسك المنكرين بأن الجنة موصـوفة بأن عرضها كعـرض السماء والأرض ، وهو فى عالم العناصر محال ، لأن عالم العناصر أصغر من عرض السماء ، وهـو ما بين السـماء والأرض ، وفى عالم الأفلاك ،

أو عالم آخر خارج عنه مستلزم لجواز الخرق والالتئام عند الدخول فيهما ، وهو باطل •

قلنا : هذا مبنى على أصلكم الفاسد ، وقد تكلمنا عليه فى موضعه •

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : يمكن أن يكون فى عالم غير هذا العالم ، لأن الله على كل شىء قدير ، وهذا مذهب غير هذا الشارح ، وصاحب العقيدة فيما يدل عليه معانى لفظهما ، ويمكن أن الله تعالى يزيل الأرض والسموات ، ويكونان لا شىء ، ويخلق فى مكانهما الجنة والنار ، وهذا باطل مع هذا الشارح ، وصاحب العقيدة ، لأن الجنة والنار عندهما وعند صاحب الأرجوزة مخلوقتان ، ولا دليل على بطلانه لقوله تعالى : (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات مطويات بيمينه) وقوله : (واذا الشمس كورت • وإذا النجوم انكدرت) الى (أحضرت) • رجع الى شرحه •

قوله : وهما مخلوقتان الآن ، موجودتان ، تكرير وتأكيد ، وزعم أكثر المعتزلة أنهما انما يخلقان يوم الجزاء ولنا الحجة عليهم قصة آدم وحواء عليهما السلام ، واسكانهما الجنة ، والآيات الظاهرة فى اعدادهما ، مثل (أعدت للكافرين) و (أعدت للمتقين) إذ لا ضرورة فى العدول عن الظاهر ، فان عورض بمثل قوله تعالى : (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا) •

قلنا : يحتمل الحال والاستمرار ، ولو سلم فقصة آدم تبقى سالمة من المعارضة ؟

قالوا : لو كانتا موجودتين لما جاز هلاك أكل الجنة لقوله

تعالى : (أكلهما دائم) لكن اللازم باطل لقوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه) •

قلنا : انه لا خفاء في أنه لا يمكن دوام أكل الجنة بعينه ، وانما المراد انه اذا أفنى منه شيء جيء ببدله ، وهذا لا ينافي الهلاك لحظة ، على أن الهلاك لا يستلزم الفناء بل يكتفي الخروج عن الانتفاء به ، ولو سلم فيجوز أن يكون المراد أن كل ممكن فهو هالك في حد ذاته ، بمعنى أن الوجود الامكاني بالنظر الى الوجوب الواجبي بمنزلة العدم •

قال الشيخ ناصر بن أبي نبهان : لا دليل قطعيا من التنزيل ، ولا من السنة القائمة الحجة بصحتها ، ولا من حجة العقل أن الجنة والنار الآن مخلوقتان ، ولا أنهما لم يخلقا ، واذا كان كذلك فهما من الممكن وجودهما الآن ، ومن الممكن عدمهما الآن ، ولا شك في علم الله أنهما مخلوقتان في الوقت الذي يريده تعالى ، ولا علينا الاعتقاد أنهما مخلوقتان لا محالة ، وأما لزوم الاعتقاد في أنهما مخلوقتان فباطل ، وبالدينونة يهلك المرء في مذهبنا كما في كيفية الكتاب ، وفي الحوض والجسر المسمى بالصراط ، فكل هذه لا تجوز الدينونة في وجودهما ، ولا في عدم وجودهما •

ومن قال في ذلك برأيه ولم يخطىء من خالفه فلا بأس ، وما ذكره من اعداد النار للكافرين ، والجنة للمتقين ، لا يدل على خلقهما الآن ، وانما يدل على أنهما كائنتان لا محالة ، كذلك لا محالة ، كانتا الآن مخلوقتين أو لم يخلقا ، وما سبق في علم الله كونه فهو كائن كان قد مضى كونه أو سيكونه في وقته الذي أراده •

وقوله : (نجعلها) لا يدل على أنهما لم يكونا الآن غير مخلوقتين ،

إذ معنى نجعلهما أى نجازى بهما فى وقت الجزاء ، واذا احتمل الكلام معانى مختلفة وكلها من الممكن كونه ، ولا يخالف شىء منهـا السـنة القائمة الحجة بصحتها ، لم نجز أن تحمـل على معنى واحـد ، وابطال ما سـواه ، وقصـة آدم ليس فيهـا دليـل قطعى تحقيقى ، لأن جنة آدم بنفسها قـد اختلف العلماء فيهـا ، هل هى الجنـة الأخـرى وآية ، أم جنة خلقهـا الله له واختصها له من جميع خلقـه ولزوجته حـواء ؟

وأكثر قول العلماء أنهـا غير جنة الخلد ، ولا دليـل فى الذكـر الحكم على أنهـا جنـة ، إذ جنـة الخلد ليس فيهـا شىء حـرام ، ومن دخلها كان آمنا من الخـروج ، لأنهـا دار الخلد ، فلم تكن خلدا لكل من دخلهـا ، فقد خرج منهـا آدم ، ولـكل فريق حجج كثيرة لا فائدة فى ذكرها ، لأنها لا تقيد علما ، ولا سبيل الى القول فيهـا حتى يكون علما لأنه من الغيب ، كما لا سبيل الى معرفة الجنـة والنـار أنهما الآن مخلوقتان أو غير مخلوقتين إلا ظنـا وتخمينا ، واذا كان على هذا فكل من رأى فى نفسـه بدليـل أو بغير دليـل إلا ما رآه أنـه أصح فقال به جاز له ما لم يدن بـه ، ولم يخطىء من قال بخـلافه فى دينه ، ولو كان علما بما تراه النفس أصـح لقلت : ان الأصح معى فيما تراه نفسى كأنها تميل الى أنهـا غير مخلوقتين الآن لقـوله تعالى : (كل شىء هالك إلا وجهه) وقال تعالى : (ويبقى وجه ربك ذو الجـلال والاكـرام) ولا فائـدة فى خلقهـا وانهلاكها ، ثـم خلقهـا ثانيـة ، وما لا فائدة فيه فالأصح أنه غير مفعول ، وان فعله الله تعالى سلمنا له الأمر أنه فيه فائدة لا نعلمها نحن وهو يعلمها ، ولكن نظرى للأصح فى ليس بعلم لى ولا لغيرى ، وبالله التوفيق • رجع الى شرحه •

قوله : باقيتـان ، لا يفنيـان ، ولا يفنى أهلهـا خالدين فيهـا أبـدا ؟

الشرح : أى دائمتان لا يطرأ عليهما عـدم مستمر لقوله تعالى فى حـق الفريقين : (خالدين فيهـا أبدا) وأما ما قيـل انهمـا يهلكان ولوحظة تحقيقا لقوله تعالى : (كل شىء هالك إلا وجهـه) فلا ينافى فى البقـاء بهذا المعنى ، على أنك قد عرفت أنـه لا دلالة فى الآيـة على الفنـاء .

وذهب الجهمية على أنهما يفنيـان ويبقـى أهلهمـا ، وهو قـول باطل مخـالف للكتاب والسـنة والاجماع ، ليس عليه شبهة فضـلا عن حجة .

قال الشـيخ ناصر بن أبى نبهـان : قوله وأما ما قيـل إنهمـا يهلكان ولو لحظة ، لم أدر أنه أراد قبـل دخـول الجنة فى الجنـة ، وأهل النار فى النـار ، أو بعد ذلك ، فان كان قبـل ذلك فما معنـاه حيث جعـل فرقا بين الهلاك والفنـاء ، إلا أن الهـلاك مثلا إذهـاب حيـاة الجسم مع بقاء الجسم على صورته ، أو يصـير ترابا ، والفناء العـدم أصـلا ، فان كان على هذا المعنى هو هلاك أهلهـا المخلوقين فيهـا أو الجنـة بنفسها .

فان كان المراد من الجنة مكانها فذلك وجـه ، ولـو أفنـاهم ثم أحيـاهم لم يكن فرقا لأنهم ، وان كان كذلك يصير غـير الأولين فى الحكم ، فالجزاء بالأولين وبالآخرين سواء ، فان جـزاء المسلمين فى الجنة مع لحم الطير غير طيور الدنيـا .

وان كان المـراد بأرض الجنـة غـير أشجارها ، إذ القـول فى الأشجار والطيور وما أشـد ذلك كالقـول فى حورها وخدمها ، وأمـا الأرض فما هلاكهـا ثم احياؤها فلا معنى له .

وان كان أراد كلاهما بعد دخول أهل كل دار منهما فهـذا باطـل ،

واذا ثبت هذا معه فقــد قال بقول مذهــب الجهمية الذى لم يجيــزه للاجماع الذى ذكره •

وفى كتاب انســان الكامل : أن النار لا تبقى ولا يبقى من فيهــا ، ومتى خرج الى الجنة جميع من فيهــا يضع الرحمن قدمه عليها فيقول : قط قط ، وينبت فيهــا شجر الجرجر وهو بلغــة أهل عمــان المحــرقة تقارب شجرة الفجل ، وفيها حراقة قليــلة ، فلفلية ، ثم ان الجنــة أيضــا لا تدوم إذ معه لا يجوز أن يكون شيئا باقيا بلا نهــاية إلا ذات الله تعالى ، ولا أدرى هو من أى المذاهب ، وقد ذكرها أيضــا ، والذى عنه فى مسألة الخلودين فافهم • انتهى •

قلت لشيخى الخليلى : ما تقــول فى كل هذا ؟

قال : الله أعلم ، وأنا لم يبين لى من قول الشــيخ فى هذا الموضع ما يخرجه عن الصــواب ، والله أعلم •

وعن قومنا أيضا : وما هــو الأصــلح للعبد ، فليس بواجــب على الله تعالى ؟

الشرح : وإلا لمــا خلق الكافر المعــذب فى الدنيا والآخرة •

ومن حاشية فى الكتاب : لأن الأصــلح للكافر المعــذب فى الدنيــا والآخــرة أن لا يخلق ، ولا يجب أن لا يخلق •

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : قد أورد هذا الشارح فى مقدمة أول هذا الكتاب من شرحه ، حكاية أبى الحسن الأشعرى ، وكان معتزليا

تلميذا الأستاذه الجبائى — بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة — نسبا الى قرية البصرة ، وقيل بتخفيفها نسبا الى قرية بسستر ، وقيل بكازرون ، وهو من أئمــة المعتزلة ، وهــذا نص كلام الشارح :

قال الشيخ أبو الحسن الأشـــعرى : الأستاذ الجبائى ما تقــول فى ثلاثة اخوة مات أحدهم مطيعا ، والآخر عاصيا ، والثالث صغيرا ؟

فقال : ان الأول يثاب بالجنة ، والثانى يعاقب بالنـــار ، والثالث لا يعاقب ولا يثاب •

وفى الحاشية : وفى اعتقادهم أن أولاد المشركين خدم أهل الجنــة بلا ثواب ، وعلى هذا يحمل قوله • رجع الى كلام الشارح •

فقال الأشــعرى : فان قال الثالث : يــارب لــم أمتنى صــغيرا وما أبقيتنى الى أن أكبر فأومن بك وأطيعك ، فأعطى ثواب الجنــة ، فما يقول الـــرب ؟

قال : فيقــول الرب : انى كنت أعلم منــك أنك لو كبرت لعصيت فأدخلت النار ، فكان الأصح لك أن تموت صغيرا •

فقال أبو الحسن الأشــعرى : فان قال الثــانى : لِمَ لم تمتنى صغيرا لئلا أعصى مثل أخى ، فلا أدخل النار ، فماذا يقول الرب ؟

فبهت الجبائى من غير كلام هذا الشارح ، فقال له : أبك جنــة ؟ فقال أبو الحسن : لا ، ولكن أرى حمــار الشيخ وقف به فى العقبــه • رجع الى كلام الشــارح •

وترك الأشعرى مذهبه ، واشتغل هو ومن تابعــه بابطــال رأى

المعتزلة ، واثبات ما وردت به السـنة ، ومضى عليه الجماعة ، وسمى أنفسهم أهل السـنة والجماعة •

ومن الحاشية فى الكتاب : وقد صنف الأشعرى قبل ذلك كتبا كثيرة فى تصحيح مذهب المعتزلة • رجع الى كلام الشارح •

ثم لما نقلت الى العربيـة خاض فيها الاسـلاميون فحاولوا الرد على الفلاسفة فيما خالفـوا فيـه الشريعة ، فخلطوا بالكلام من الفلسفة يتحققوا مقاصدها فيتمكنوا من ابطـال باطلها ، وهلم جـرا الى أن أدرجوا فيه معظم الطبيعيات ، وخاضوا فى الالهيات ، حتى كاد لا يتميز عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات •

ومن حاشـية فى الكتاب : الفلسفة أى الحكمة ، وهى فى لغـة اليونانى التشبه بحضرة الواجب الوجود فى العلم والعمل ، ثم سميت بهـا الحكمة ، والمـدون الأول من اليـونان من الفلاسـفة أرسـطو أى أرسطاطاليس ، ولذا سمى بالمعلم الأول ، والناقل لهـا الى اللغـة العربية أبو نصر الفارابى ، ولذا سمى بالمعلم الثانى •

قال الشيخ ناصر بن أبـ. نبهـان : ان اسم الفلسفة مطلة، عل،
احكام معرفة الشىء على حـ
وعملا فهو المصطلح عليه مـ
الفلسفة ، وهى على أربعة
وعلم الطبيعيات ، وعلم رياضات العقل بما ينوره من العلوم ، وعـلم الالهيـات •

فأما خطأهم فى الثلاثة الأولى فلا يضرهم فى دينهم لأنهـا ليست من علوم الدين ، وانما يخطىء من ضـل منهم فى علم الالهيـات ، وهـو علم التوحيد ، وليست الفلسفة تطلق على ضلالهم ، فالفلسفة هى تحقيق

الحق فى كل أقسامها ، وكما أن الشريعة هى الحق ، ومن ضل فى الشريعة فليس ذلك من الشريعة المطهرة ، ولا يصح اطلاق على أرسطاطاليس ، ولا على من هو مثله أن ينسب اليه ضلالا ما قيل فى الفلسفة ، لأن أرسطو كان فيما قيل وزير ذى القرنين ، ولهما سير لبعضهما بعض ، ومخاطبات ، فكيف يضل مع ذى القرنين الذى أثنى الله تعالى عليه فى الذكر الحكيم ان أولى ما به أن ينزه عن تأثير كل باطل ، وان روى عنه من روى •

فقد روى عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنه صلوات الله عليه وسلامه ما يخالف شريعته المطهرة كذبا عليه ، ولولا ذلك ما افترقت أمته على ثلاث وسبعين فرقة ، كل فرقة تروى عنه صلى الله عليه وسلم فى كثير خلاف ما يروى عنه عليه الصلاة والسلام ، فلا يجوز أن يسند ذلك •

واذا كان بهذه الأمة هكذا ، فما الفرق فى أصحاب الفلسفة ؟ والأصح أن الخطأ لا يجوز أن ينسب اليهم ، وانما ينسب الى الراوين عنهم ، ويحاشون بهم من ذلك •

وأما ما ذكره أراد من الله تعالى لا يجب عليه فعل ما هو الأصح لعباده فحق ، لأن الله تعالى لا يلزمه شىء على الاطلاق لخلقه ، وما لخلقه شىء ، وما جاء فى القرآن من لفظ ، وعلى الله وعلينا مما أنه فى موضع لو كان ذلك اللفظ على مكلف يجب عليه ذلك ، فليس معنى ذلك فى حق الله على الوجوب ، لقوله تعالى : (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) ولا يكون الواجب واجبا على أحد إلا أن يكون اذا لم يؤده وجب عليه العقاب ، واذا وجب أراد أداءه وجب له الثواب ، والبارى منزه عن ذلك •

وأما أنه لا يفعل إلا الأصلح لعباده منة وفضلا من غير وجوب عليه ، فان كان المراد لغير أهل الشرك أو لغير فساق المسلمين فممكن ، وقال تعالى : (يريد بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) ولكن كما قال الله تعالى : (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) فان الاحاطة بعلم الأصلح للعبد فى كل أمر محال ، وانما يحيط بذلك البارى سبحانه وتعالى ، فيمكن أنه لايدرى بما هو أصلح له ، فيحكم أنه يفعل الأصح وغير الأصلح •

وبالجملة فان الله لا يفعل شيئا ويعرفه المؤمن الشاكر إلا ويكون ذلك الفعل من الصلاح للمؤمن ، لأنه يزداد به شكرا فيزداد به ثوابا ، ولا يعرفه فاسق إلا ويكون ذلك ليس له من الصلاح له لأنه يزداد به فسقا بقلة الشكر ، فيزداد به عقابا ان كان مما يستحق العقاب ، فهو ميزان فيهما لا يختلف • فافهم ذلك •

وأما ما ذكره من ثلاثة الاخوة ، فالطائع فى علمه أنه سيطيعه ، وفى حكمته تدبيره التى لا مجال للنظر فى معرفتها تركه حتى يكبر ويطيعه ويثيبه ، وذلك هو الأصح له •

وأما العاصى فليس له كرامة ولا منة بفعل الأصح له ، لأنه اختار لنفسه الأضر ، فكان له ما اختاره لنفسه •

وأما الثالث الصغير فلا يصح فيه القول بأنى لو تركتك حتى تبلغ لعصيت ، لأنه لم يكن فى علمه أنه ليكبر ، ولا أنه يعصى ، فليس فى علم الله لو ، وانما هى تكون فى الممكن فى علمنا ، وأما فى الواجب مما فى علمه ، وفى المستحيل خلافه لا يصح فى صفاته تعالى لو ، وانما أماته صغيرا لما كان فى حكمته وتدبيره فى خلقه كذلك منة له من الله تعالى ، ولا شك انما فعل الله من موته صغيرا هو الأصلح له ،

ولا نعتبر بالأصلح أنه لا يكون إلا ببلوغ الدرجة الأعلى وبدونها هو الأصلح ، لأن الأصلح يطلق الى الأنفع ، والأنفع يطلق الى ما يقابله من الأضر كانا قليلين أو كثيرين •

ومعى أن هذه المسيلة يسع جهلها ، ويجوز فيها الاختلاف على أن البارى سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، ويجوز أن يوصف سبحانه وتعالى لا يفعل فى تدبيره إلا ما هو الأصلح من غير أن يجعل ذلك لازما عليه ، تبارك وتعالى ، وانما المستحيل هنا هو الايجاب عليه ، واللزوم فانه لا يجب عليه شىء فاعرف ذلك •

والكريم الحليم يكافىء من كان حليما معه ، والعمل له ما أراده منه ، ويجازى أهل الفساد ، ويتفضل على بعض من لم يصح منهم فعل طاعة ، ولا فعل معصية ، فهى من الصفات الحسنة ، فى الملوك ، كذلك يفضل الله تعالى فى الآخرة على من لم يبلغ الحلم ، ثم انه لا يليق بالملوك أنهم لا يحسنون إلا من فعل فيهم احسانا ممن لم يعمل شيئا من المعاصى لهم ، فهى صفة مذمومة فيهم ، والله فضله واسع ، ولكن لا تلحقه صفات الذم لو لم يحسن إلا على حسن صفاته ، لأن صفاته لا يلحقها النقصان بذلك • انتهى •

قلت لشيخى وحبيبى وسيدى : ما تقول فى كل هذا ، وفى قول الشيخ ناصر : وأما الثالث الصغير فلا يصح فيه القول بأنى لو تركتك حتى تكبر لعصيت ، لأنه لم يكن فى علمه أنه ليكبر ، ولا أنه يعصى ، فليس فى علم الله لو ، وإنما هى تكون فى الممكن فى علمنا ، تفضل بين لنا معناه ، فإنا قد عرفنا من كتب التوحيد وبعقولنا أيضا أن الله تعالى عالم بما لم يكن أن لو كان كيف يكون ، وكذلك قد أشكل علينا وأنت أهل سيدى لحل المشكلات ؟

قال : الله أعلم ، والذى عندى فى هذا من جـوابه أنه مما لا وجه لصـوابه ، وما كنا بتاركى قـول شيخنا ، ولا رادين على أحـد من علمـاء مذهبنا إلا حيث لا يجـوز الاتباع لخرقة الاجمـاع ، فان فى المجتمع عليه ، ومما لا يجـوز دخول الرأى عليه ، ولا وجـود النزاع فيه ، ولا القـول بخلافه أبدا فى رأى ولادين •

* مسـألة :

العلوم التى أجمع الفقهـاء فيهـا على أنه سبحانه عالم بما كان وما سيكون وما لم يكن ، لو كان كيف يكون فعلمه تعالى متسـع لكل شىء ، لا يخفـى عليـه شىء من الممكنات ولا من المستحيلات ولا من المفروضـات أن لو كانـت كيف تكون مـع علمـه بأنها لا تـكون ، وإلا لكان جاهلا بشىء من أنـواع العلم ، وهـو عالم الغيب والشهادة على الاطـلاق ، وما هذا إلا قسـم من علم غيبه الذى استأثر به على خلقه ، فهو العالم به قطعا ، لأنه بكل شىء عليم •

وهذا شىء من الأشياء ، وعلم من المعلومات ، فالقول بأنه لا يعلمه جهـل محض لنفيه العلم عن الله تعالى فى بعض الصـور ، وفى ذلك تجهيل له ، وتنقيص ، وحط عن رتبـة الكمال المطلق فى العلم بلا شك ، وهو مناقض لوصف الألوهية والجـلال ، وهى مسألة عظيمة فى بـاب ما لا يسـع جهله ، على من قامت بها حجة العقـل عليه بحضـورها فى باله ، فهى مما لا وسع فى جهـله من بعد ذلك أبدا فيما عنـدى •

والعجب من هذا الشيخ البصير ، والجهبذة الكبير ، كيف تلتبس عليه مثل هذه مع شـدة نورها ، وكمـال ظهورها ، ثم اذا أشـكل مثلها عليـه ، فكتاب الله بين يديه ، وقـد صرح بهـا فى غـير موضع ، وهو الحجة له وعليـه ، فكيف يصح القول بأنه ليس فى علمـه تعالى لـو ، وكتاب الله مشحون به •

قال الله تعالى : (ولو كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم) والله خبير بأنه لم يكتب عليهم ذلك أصلا ، ولا ليكتبه أبدا ، وقد خبر بما سيكون منهم أن لو كان ذلك ، وكذلك قوله تعالى : (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) وهو يعلم أنهم لا يردون من النار ، ولا يخرجون منها أصلا ، وانما قال على سبيل العرض والتقدير ، وهو يعلم ذلك منهم حقيقة أنهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ٠

وقال : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) وقال تعالى : (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) وقال تعالى : (ولو أنزلنا عليهم كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا إلا سحر مبين) وقال سبحانه : (ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون) وقال عز وجل : (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون) وقال تعالى : (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون ٠ لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) وقال تعالى : (ولو أننا أنزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون) وقال تعالى : (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) ٠

وهذا باب كبير ، وأصل عظيم من أصول كتاب الله تعالى ، فكيف يجوز خلافه فى مال ، أو يتصور نقضه لذى بال ، أو يجوز الشك فيه لاشكال يعتريه بعد ثبوته بالنص فى كتاب الله تعالى ، ولو قد كنت فى زمن الصغر مع هذا الشيخ وهو يتكلم فى هذه المسألة فعارضته بقول أهل العلم : ان الله عالم بما كان وما سيكون أن لو كان فقال : ما أنت ممن يتعاطى مثل هذه المسألة ، لأنها تفضى الى مسائل بعيدة ،

لأنا لو قلنا : ان الله تعالى قد يرى الأشياء جميعها على حقائقها من قبل أن يخلق الأنبياء معه صورا قديمة فى الأزل ، وليس هذا إلا من المدركات بخزانة الخيال ، والله منزه عنه فتركت الخوض معه فى ذلك .

وفى نفسى من ذلك ما لا أحب أن أبدأه ، مثل هذا الكلام يوجب القول بعدم علمه بما سيكون مطلقا ، فلا أدرى لأى معنى أتى به فى هذا الموضع ، اللهم إلا أن يكون فى نفسه قد خاطب من لا يفهم بما لا حقيقة له ، ولم يرده أصلا ، فقد يحتمل وهو أحسن ما يحمل فى الحق عليه ، وإلا فهو من الباطل المجتمع عليه فلا يعتنى برده ، لأنه أوضح من أن يشكل على من له أدنى مسكة من عقل أو مطالعة الأثر ، أو مجالسة لذى فقه وعلم ، فضلا من غيرهم ، فان علمه تعالى صفة من صفات ذاته القديمة الأزلية ، وهو محيط بما كان وما سيكون ، وما لم يكن أن لو كان مطلقا ، ولو كان علمه بالأشياء لا يكون إلا مع وجودها أو بعده لكان علمه حادثا مكتسبا ، وكل مكتسب فهو حادث ، وكل حادث فله محدث ، وليس هو بقديم ، وكل محل للحوادث فهو حادث أيضا .

وليس بإله ، وتدخل فى هذا الأصل أيضا مسألة البدوات المجتمع أصحابنا على انكارها ، وهى القول بأنه سبحانه اذاأراد خلق شىء أو فعله بدت له ارادة ذلك الشىء فى حاله ذلك ، فكان كما أراده ، ولا شك أن البدء حادث ، والله غنى عن الحوادث ، فلا يجوز عليه ذلك اجماعا ، لأنه قيل قبل بدء ذلك كان جاهلا به ، والجاهل ليس بآله ، ولأنه يكون محلا للحوادث ، وكل محل للحوادث فهو حادث ، والحادث ليس بإله ، ولأنه ادعاء الى ما يحدث اليه ومن كان كذلك فليس بإله .

هذا وأعجب منه مفتقر كون المعلومات له سبحانه وتعالى صورا قديمة قائمة بعلمه ، أو متخيلات له كذلك ، ونفس التخيل على الله تعالى محال ، كما قاله ، وأجاد فيه ، لكن نادى العلم اليه بطريقة الاكتساب من المعلومات أيضا محال ، لأن المتلق بالمحال محال مثله .

واذا كان علمه تعالى عبارة عن نفى صفة الجهل عنه عند المحققين ، فأين موضع القول بتعلقه بالمعلومات حتى تكون فى حقه صورا قديمة قائمة معه ، فيلزم عدمه بفقدها ، ووجدانه بوجودها ، فيكون متوقفا عليها ، وهى حادثة فهو حادث أيضا مثلها ، وليس بعلم الله المعبر به عن عدم اتصافه بالجهل بالأشياء مطلقا ، وهذه هى غاية الجهل ممن يقول به ، واذا كان هذا لا يلزم فى صفة العلم المخلوق للعباد ، سواء كان ضروريا أو مكتسبا ، فكيف به فى العلم الإلهى القديم الذى هو من صفات الذات ، فانك خبير بأن المعلومات لنا أجلها قدرا ، وأعظمها شرفا ، وأعلاها محلا ما لا يمكن تصوره أصلا ، فلا صورة له ولا خيال قطعا .

ومن ذلك العلم بالله تعالى وبصفاته وبأسمائه كلها ، وهو البحر الذى لا ساحل له ولا قعر ، وهذا الأصل من العلم يسمى معرفة وعرفانا وعالمه يسمى عارفا بالله ولا يقال : عالم بالله تادبا بلا حجرا ، فقد قالوا : العلوم ثلاثة : علم بالله ، وعلم بأمر الله ، وعلم بأيام الله ، وليس فى شىء من هذا كله مما يمكن فيه التصور ولا ادعاء الصور القائمة ، إذ لا يجوز نسبة ذلك الى الله تعالى اجماعا ، فقد ثبت حصول العلم بغير صور قائمة معه ، واذا فكر العبد فى نفسه يجد ما لا يحصى عده من المعلومات التى لا يمكن تصورها .

فالعقل صفة موجودة ولا يمكن تصورها ، وهى معلومة لنا ، فكذلك العلم ، والعلم بالعلم ، والعلم بالجهل ، والجهل بالجهل ، والحلم والغضب ،

والشهوة والارادة وأمثالها مما يطـول ذكره ، فالعلم بــه كله حاصـل بغير تصـور منا ، فكيف يلزم ذلك فى حقه تعالى •

فكذلك نعلم أن لكل حيـوان روحا فى جسـده ، وبها قوام أمره ، وهى عمـدة حياته من غير التزام تصور لها منا ، فكيف يلزم ذلك فى علمه تعالى ، وبهـذا تعرف صحة ما أصلناه أن نفس العـلم بالشىء غير مقصور على تصوره البتة ، ولا متعلق به ، ولو تصفحت العالم كله لوجدت أكثر المعلومات مما لا يمكن التصور فيه أصـلا ، فكتاب اللـه تعالى كله بجميع آياته ومعانيه من هـذا الباب •

ونفس الارشـاد الى الحق ، والدعاء اليه ، والهدى به ، بل الحق نفسه أمر إلهى لا يمكن تصـوره بل العلم مطلقا من شريعة أو حقيقة أو غيرها ، ونتـائج الأفكار والعقول كلهـا معلومات لا صور لهـا قائمة فى العين ، والعلم بهـا حاصل من غير تأدية الى صور قائمة بهـا ، فمن أين جاز ذلك أو لزم فى علم الله تعالى وهو باطل •

ثم ان ما له صـور قائمة لا يتوقف العلم به على وجدان تصوره ، فان علمنا مثلا بوجـود سد ذى القرنين ، علم كاف فى معرفة وجوده غير موقوف على وجـدان صورة له معنـا ، كعلمنـا بذى القرنين ، وبآدم ونوح وابراهيم ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وكعلمنا بجبريل وميكائيل واسرافيل ، وعلمنا بهؤلاء كعلمنا بالعرش العظيم وبالسموات السبع ، وبالكرام الكاتبين ، وبغيرهم من المعلومات التى لها فى الأصل صور قائمة ، لكن العلم بها فى حقنا غير متوقف على وجـدان الصور ، وقـد ثبت لنا نفس العـلم بهـا بمـا لا يجـوز الاختـلاف فيـه أبـدا •

وإذا ثبت العلم بها غير متوقف على استحضـار صورها ، فقـد ثبت أن اسم العلم حاصل مع وجدان الصور وفقدانها سـواء ، وهو مرادنا ، فالله تعالى غير جاهل بهذه الأشياء ولا بغيرها فى حالتى وجودها وفقدها سـواء ، وإذا كان غير جاهل بها فقـد وصفناه بالعلم بهـا فى كلا حالتيها ، فهـو عالم بها قبـل وجدانها وبعـده ، ومعه لم يتغير علمه بهـا فى كل حالة أبدا ، وانمـا تتغير المعلومات عـدما ووجـودا واضمحلالا ان كانت هى من جنس الحوادث المبدعة من نوعى الخلق ، أو الأمر جميعا فعلمه سبحانه وتعالى برسـوله محمد صلى الله عليـه وسلم مثلا من قبـل خلق آدم عليـه السـلام ، بل من قبـل خلق السموات والأرض ، هو علمه به لمـا أحـدثه وأرسـله الى خلقـه ، وعلمه به فى حـال بعثته ومن بعد موته سـواء بسـواء ، لا يجـوز الاختـلاف عليه أبدا •

وقد دل السماع على ذلك كله من الكتاب دلالة صريحة ، على أنه تعالى عالم بكل شىء من قبـل أن يوجـد ومن بعد أن يفقـد سـواه وشـاهده فيمـا مضى قوله تعـالى : (قال فما بال القـرون الأولى) يسـألونك عن القـرون الأولى (قـل علمهـا عنـد ربى فى كتـاب لا يضل ربى ولا ينسى) وشاهده فيما سيكون اخبـاره عن المغيبـات الآتية ، كخروج الدابة ، وقيام الساعة ، والاخبـار عن أهل الجنـة والنـار ، وأهل الأعراف وغيرهم بنص أقوالهم ، كما صرح به فى غـير موضع من كتاب الله تعالى كقـوله تعالى : (يسـألونك عن السـاعة أيان مرساها قل انما علمها ربى لا يجليها لوقتها إلا هو) وكقوله تعالى : (ونادى أصحاب الأعراف رجالا) وكقوله تعالى : (قال قائل منهم إنى كان لى قرين • يقول أئنك لمن المصدقين) وقوله تعالى : (قالوا يا مالك

ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون • وقال اخسئوا فيها ولا تكلمون) وغير هذا مما لا حاجة الى الإطالة بـه ، إذ ليس فى الاسلام من ينكره أصلا •

وبالجملة فهو عالم الغيب والشهادة ، وهو بكل شىء عليم ، لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين ، أليس فى هذا كله دلالة واضحة على أن علمه بها قبل كونها لا يستلزم وجدان صورتها قديمة معه ، قائمة بعلمه ، لأنه لو جاز ذلك لكانت الأشياء كلها قديمة معه ، لازمة لعلمه القديم ، وهذا باطل اجماعا فانما ما سوى الله كله حادث بعد كونه عدما محضا ، وقد قام بذلك البرهان فلا منكر له من أهل الاسلام ، ولا حاجة هنا الى ذكره ، وبهذا تعرف صحة ما قلناه فى هذه المسألة ان شاء الله تعالى ، فهذا كاف فى هذا الموضع لبيان المقصود ان شاء الله تعالى •

وأما ما أطنب فيه الشيخ من ذكر أرسطو الحكيم ، فنحن لم تقم معنا فيه حجة تقطع أحكامه ، ولا تصحح اسلامه ، ولا تثبت عذره ، ولا تثبت كفره إلا ما ينسب اليه فى الآثار الاسلامية من مذاهب الضلال الفلسفية ، فمن صح معه ذلك عده هنالك كما قال ابن أبى الحديد المعتزلى :

والله لا موسى ولا	عيسى المسيح ولا محمد
علموا ولا جبريل وهو	الى محل القدس يصعد
من كنه ذاتك غير أنك	وإحدى الذات سرمد
من أنت يا رسطو وأفلا	طون قبلك يا مبلد
ما أنتم إلا الفراش	رأى السراج وقد توقد
فدنا ليحرق نفسه	ما ضره أن لو تبعد

وقولنا انه بحكم الأصل غير متطوع بهداه ولا كفره ، فهو فى حكم الوقوف كغيره ، لأن أحكام الله تعالى فى خلقه سـواء ، فمن صحت معه هدايته وتقواه ، وجبت عليـه ولايته فى دين مولاه ، ومن صـح معه ضـلاله فالبراءة هى التى يقتضيها حاله ، وإلا فهو على ما قلنـاه من حكم الوقوف ، والخلق فى أبـواب الديانات على مذاهـب شتى وصنوف ، وأن ارسطو وأفلاطون ورسطاليس وغـيرهم كلا منهم على منزلته على حاله رهين أعمـاله ، وليس فى مدحـة ذى القرنين ، ولا فى ولايته ما ينقل أحـدا منهم فى الحكم عن حالته •

وليس ذو القرنين بأعظم منزلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحابته ، ولم يثبت لهم حكم ولاية بماثبت من سعادته إلا عـلى الخصوص فيمن كان له سابقة فضـل فى حكم الظاهر ، أو شرفه بهـا الرسـول صلوات الله عليـه بنص من شهادته ، فكيف يصح ذلك القول فى رسطو أو من كان من أهل فلسفته انى لا أعرفه ، ولهـذا نبهت عليه لينظر فيـه من كان من أهـل النظر ، ثم لا يؤخـذ من قولى هـذا ولا غيره إلا ما وافق الحق والهدى ، والله أعلم •

هذه أبيات فيما يؤنث من جسد الانسان ولا يجوز تذكيره :

يا أيهـا السائلى عن كل جارحـة
فى المـرء تأنيثهـا فى النحـو يعتمد

العـين والسـن والأذن التى ذكـرت
والعضـد نيطـت بهـا أصبع ويـد

ثم الشـمال ويمنـاها إذا بسـطت
بكفهـا والقنـا يوم الوغى قصـد

من بعـدها الأضلع العوجـا على كرش
عـدت على قـدم لهـا تجـد

والعقب والرجل ساق الى فخذ
والقلب والورك والخد لا والكبد

والاست والرحم والقتب الذى عهدت
والكتف من بعد فيها يكمل العدد

وفيما يجوز تذكيره وتأنيثه :

وهاك من الأعضاء ما قد عهدته
يؤنث أحيانا وحينا يذكر

لسان الفتى والعنق والابط والقفا
وعاتقه والمتن والضرس يذكر

وعد الذراع والكراع مع المعى
وعجز الفتى ثم القريض المصبر

كذا كل نحوى حكى فى كتابه
سوى سيبويه وهو فيه مكثر

يرى أن تأنيث الذراع هو الذى
أتى وهو للتذكير فى ذاك منكر

وفيما يذكر ولا يجوز تأنيثه :

يا سائلى عما يذكر بالفتى
لا غيره عن حاذق لك مخبر

رأسى الفتى وجبينه وقذاله
والثغر منه وأنفه والمنخر

والبطـن والفـم ثم ظهـــر بعـده
نـاب وخـد بالجبـــاء يصـــفر

والشبر والشـدى اليـدين وناجـــذ
والبـــاع والذقـن الـذى لا ينكـر

هـذى الجـــوارح لا تؤنثهــــا
فمـا فيهـا اختـــلاف كلهـن مذكر

*** مســألة :**

ومنه سؤال من محمد بن سالم بن سيف الحجرى : تفضل شيخنا اشرح لنا هذا البيت ، وهو من ألفية ابن مالك :

جمع الـذى الأولى الذين مطلقـــا
وبعضهم بالـــواو رفعـــا نطقـــا

كيف جمع الأولى ؟ وما مراد الناظم فى هذه اللفظة ؟ وكـذلك استشهاد الشـارح فى الشرح : ويتلى الأولى الـذين بيستليمون على الأولى ؟ تفضـل اشرح لنا ذلك شرحا بينا لقلة فهمنا ، وقلة من يساعدنا فى هذه الدار ، وأنت مأجـور إن شـاء الله .

الجـــواب :

قد قيل فى الموصولات انه للعاقل المفرد المذكـر ، فاذا كان فى جمع العقلاء المذكورين قالوا : الذين فى الجـر والنصـب والرفـع ، وبعضهم يقول : اللذون فى الرفع خاصة ، وهـو معنى قوله وبعضهم بالواو رفعـا نطقا .

واستعملت لفظة الأولى بضم الهمزة بعدها اللام مقصورة ويرسم بينهما الواو خطا لا لفظا ، فتكون فى موضع الذين استعملت الذين له ؛ أى هى موصولة للعقلاء المذكـرين ؛ وهـو معنى قوله : جمع الـذى الأولى ، وليس المراد به أنهـا صيغة جمع كصيغ جمـوع التكسـير ، ولا السلامة ، وانما سماه جمعا تسمية مجازية باعتبار اقامته مقـام الجمع فى الاستعمال .

وما ذكره الشارح فى البيت المستشهد به .

وتبـلى الـذين يسـتليمون على الأولـى
تراهن يوم الـروع كالحـد البقـلى

فقد استشهد به على الأولى المقـدمة فى البيت بمعنى الذين ، وأن الثانية منهـا قد استعملت فى جمع المؤنث ، وقيل فى معناة ان المنيـة تبلى الفرسان الذين يستليمون على الخيار اللاتى تراهن يوم الـروع الى تمامه ، والله أعلم .

*** مسـألة :**

ومنه : فى لا النافية تجزم الفعل أم لا ؟

الجـواب :

لا يجزم الفعل بلا النافية ، ولكن يجزم الفعل المضارع لا الناهية ، وزيادة المدة فى لا كما هو فى السؤال غلط من الكاتب ؛ والله أعلم .

*** مسـألة :**

ومنه ومما وجد عنه رحمه الله تعالى فى مراتب الأعـداد المتربية

الهنـدية كما ترى عشرة آلاف هـكذا ١٠٠٠٠ . عشرين ألف هـكذا ٢٠٠٠٠ ، مائة ألف هكذا ١٠٠٠٠٠ ، ألف ألف هكذا ١٠٠٠٠٠٠ .

*** مسـألة :**

قال الله تعالى : (فاذا جاء وعـد الآخرة ليسـوءوا وجوهكم) ما معنى هذه اللام المكسـورة التى رفعت هذا الفعل ؟

الجـواب :

ان هذه اللام لام التعليل التى لا يقـال لها لام كى ، والفعـل حينئذ منصـوب بها ، وعـلامة نصـبه حذف النون من مضارع فعل الجماعة ، والمعلل محذوف تقديره : فاذا جاء وعـد الآخـرة بعثناهم ليسوءوا وجوهكم ، والله أعلم .

*** مسـألة :**

وفى المذنب اذا ظلم شيئا من ماله أو عرضه أيصح عنـد أصحابنا أن ينتقم لـه يوم القيامة لأنـه قد ثبت أن لا أجـر له ، ولا عمـل خير له ، ولا له فى الآخـرة انها النار ، فما معنى يوم ينتقم للمظلوم من الظـالم ، أم هذا اختصـاص للمطيعين أم كيف ذلك ؟

الجـواب :

انى أجعل اللام من قوله للمظلوم لام التعليل ، أى ينتقم لأجـل ظلم المظـلوم من الظـالم ، فيعـم ذلك جميع المظلومين من الأبـرار والفجـار ، والله أعلم ، فلينظر فى جميع ذلك ، ثم لا يؤخـذ منـه إلا الحـق والصواب .

*** مسألة :**

ومنه : وسئل عن تفسير قوله تعالى : (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم • يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب • ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور) ؟

الجـــواب :

الله أعلم وأنا ضعيف عن تعاطى تأويل كتاب الله الجليل ، ولكن فى قول المفسرين ما دل على أن هذا بيان لما وعد الله به عباده المؤمنين والمؤمنات ، مما لهم عنده فى يوم القيامة من الشرف والكرامات ، فالمؤمن يأخذ كتابه بيده ويؤتاها عن يمينه ، كما أن المنافقين والكافرين يؤتونها عن شمالهم ، وتحول وجوههم عن هيئتها الى قفائهم ، فيأخذونها من وراء ظهورهم والعياذ بالله تعالى ، فكما يأخذ المؤمنون صحائفهم من الجهتين ، يجعل الله لهم كذلك نورا يسعى بين أيديهم ، وعن أيمانهم يستضيئون بنوره فى ظلمات القيامة ، ويهتدون بضيائه فى صراط الآخرة حتى يوصلهم الى محل الكرامة ، ومقعد الصدق فى فسيح الجنة ، ومنتهى الرحمة ، فيقال لهم بشراكم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم •

فالنور الحسى فى دار الآخرة ، وهو نور الحق الهادى الى سبيل الحق فى هذه الدنيا بالعلم النافع ، والعمل الصالح ، واتباع كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فمن كان

على نور من ربه فى دنيـاه ، فله بقـدره هنالك نـورا يستضىء به فى أخـراه ، والحـق نور كله لا ظلمة فيـه فى الدنيـا ولا فى الآخـرة ، والباطل كله بجميع أصنافه ظلمة لا نور فيه ، وهلاك لا نجـاة معـه إلا بتركه ، والمبطـل أعمى يتخبط فى دنيـاه وآخـرته تخبط العشوى ، كمـا قال النبى صلى الله عليه وسلم : « الظلم ظلمات يوم القيامة » ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور •

فاذا جاز المؤمنـون يوم القيـامة بأنوارهم وكيـانا على نجائبهم كالبرق الخاطف فى سرعتهم ، وبقى المنافقون والعصاة فى ظلمتهم ، حفاة عراة عطاشا جوعى قد ألجمهم العرق ، وبلغت منهم القلوب الخناجر من الفرق ، قالوا للمؤمنين انظـرونا أى أمهلونا قليـلا لنسعى فى آثاركم متلبسـين من أنواركم ، فقد كنـا فى الدنيا بجـواركم ، مختلطين فى عماركم ، وهيهات قد انقطع الرجـا ، وعدم الملتجـا ، فمن لا نـور له يهـديه الى الحق فى دنيـا ، لاتباعه مجـرد هواه ، وغفلته عن الله فيما أمر به ونهـاه •

قد أحاطت به ظلمات ظلمـه ، فى جهـله أو علمه ، فلا نور لـه فى آخـرته فالى أين يذهب به ، ولهذا قيـل لهم على سبيل التهكم بهم ، والاستهزاء ، ارجعوا وراءكم التمسوا نورا ، وهيهات فلا نور لهم حينئذ إلا النـار ، ولا سلامة لهم إلا البوار ، فحينئذ ضرب بينهـم بسور له باب ، يدخـل منه أهل الجنـة اليهـا ، وهو المسمى بالأعراف فى قول المفسرين ، باطنه من جنـاب الجنة فيه الرحمة لأهلها الأبرار ، وظاهره من شـق نار الله الموصـدة فيه العذاب لأهلها والبوار •

ينادونهم المنافقون هم الذين ينادون يقولون للمؤمنين ، ألم نكن معكم فى دار الدنيـا ، مختلطين يذكرونهم بما كان بينهم من الصحبة والمجاورة والأنسـاب والقرابة ، يوم لا يجـزى والد عن ولده شيئا ،

لاو مولود هو جاز عن والده ، فيقولون لهـم : بلى أى كنـا كذلك ، ولكنكم فتنتـم أنفسكم ، أى محنتموها بالنفاق ، وأهلكتموها بالظـلم والشقاق ، وتربصتم الدوائر بالمؤمنين ، وارتبتم أى شككتم فى صـدق وعد الله ووعيده ، فلذلك أسأتم الأعمـال ، وأهملتم من الآخـرة كل الإهمـال ، وغرتكم الأمانى طول الآمال ، والطمع فى امتداد العمر بكثرة الامهال حتى جاء أمر الله بمغافصة الحمـام لانقضـاء الأيام . وغركم بالله الغـرور ، وهو الشيطان الكفور .

(فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير) فلينظر فى هـذه الآيـات المحكمات كل عاقل ، وليتنبه بها من رقـدة الجهـل كل غافـل ، قبـل (أن تقـول نفس : يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله ، وان كنت لمـن السـاخرين ، أو تقول : لو أن الله هدانى لكنت من المتقين . أو تقـول حين تـرى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين) فهنالك يؤخـذ بالكظم ، ولا ينفع الندم ، فأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة ، وأنتم لا تشعرون ، واللـه ولى التوفيق لكل مسـلم بفضـله وكرمه ، والله أعلم .

* مسـألة :

ومنه : وهل تجـوز كتابة الطلسمات والأوفاق المكسرات الأحرف ، اذا كانت لا تعرف إلا أنه مكتوب هذا الطلسم ، والوفق للعلة الفلانية ، ولم يعرف الكاتب عدل ذلك ، أتجـوز لـه كتابته على هـذه الصفة ، اذا كان من ضرورة أم لا ترى رخصـه فى ذلك ، وما قولك فى المصحف المجلد عليه بالذهب أو الفضة ، أيجـوز حينئذ حمله للجنب أو الحائض . ودخول الخلاء به ، وكـذلك التمـائم المشـمعات أفتنا جميع ذلك ، كفيت المهالك ؟

الجـــواب :

تجوز كتابة الأوفاق والحرف المكسرات من الحروف والأعداد ، وكذا تجوز من الطلسمات ونحوها ، وان كانت لا تعرف ما هى ونحن نرى جواز ذلك ، وأما المسألة ففيهـــا اختلاف ، ولا يجوز للجنب والحائض حمـــل المصحف المجلد عليـــه بالذهب أو الفضة ونحـــوهما ، وأما مس الذهب والفضة فجائز ، ولعل ذلك لا ينعـــدم من الاختـــلاف على قول من يجيز للجنب أن يحمل المصحف بسيره ؛ فكأنه يشـــبه معنى الجواز فى هذا أيضـــا ، والله أعلم وبه التوفيق •

※ مســـألة :

ومنه : وهل يجوز عمل الطلاسم والتحويرات للسارق الجائزة على وجه العدل من دون فساد •

ولا يجـــوز حـــرق القـــرآن ولا شىء من أســـماء الله تعالى ، والله أعـــلم •

ومنـــه :

بسم الله الرحمـــن الرحـــيم

الحمد لله رب العالمين ، حضر للجميع ، وفيه مدح لأهل العقـــول إذ منّ عليهم على من سواهم ، ولم يقل العوالم •

الرحمن الرحيم : التعريف للعهد ، لأن رحمته قديمة ، أو للحصر أى من فعـــل ذلك غيره رحمة ايجـــاد تعم الجميع ، رحمة امداد تخص المؤمنين بدلالة التكرير والمضاعفة •

ملك : اشارة الى أنه لم يبق هنالك ملك سواه ، وأن الخلق كلهم

ضعفاء تحت حكمه ، يفعل فيهم بقدرته ما يريد ، وفى هذا الخبر ذم الحياة الدنيا ، إذ لم يجعلها الله شيئا حتى كأنها لحقارتها لم يرض أن يتمدح بملكها ، وتعظيم لذلك اليوم ، وذكره دع ما وراءه يوم فيه تهويل للموقف ، إذ جميع تلك العظائم والأهوال ، والزلازل التى تبرز فى يوم واحد .

الدين : اشارة الى العدل ، فمن يعمل ومن لم يعمل كما تدين تدان ، وفيه تخويف وتحذير من موبقات الأعمال ، وفيه تبشير بلقاء العمل الصالح .

إياك نعبد : هذه من مقابلة رب العالمين ، وصف ربه بالربوبية ، وهنا وصف نفسه بالعبودية ، وتملق بين يديه أن جعل نفسه من عبيده رجاء أن يكفله ما أهمه ، وانقطاعه لمولاه ، لأن من عادة المولى كفاية عبيده ، وأن لا يهملهم سدى للشياطين ، ولا سيما ان كان يضعفهم عارفا ، وفيها سر اخلاص العبادة له ، وفيها سر تحقيق العبودية الموجبة للخدمة فى مقام الربوبية المدهشة لعظمتها ، فلا غرو أن يقول .

وإياك نستعين : هذه من مقابلات الرحمن الرحيم ، وكانه لما استغر شرفه الجلال ، فى مقام اياك نعبد ، ازداد من الاستكانة والخضوع ، ومشاهدة الذل والمهانة والحقارة ، الموجب لعدم القدرة على تحمل أعباء الطاعة ، وميثاق المجاهدة ، فلاحت له بعد الشريعة شريعة أخرى أخص من الأولى ، وهى الشريعة الحقيقية ، فقال : وإياك نستعين ، بواو العطف لسر الجمع ، أى نستعين بك مع القيام بالعبادة ، لا مع اهمال المقام الأول ، وفيها سر الاخلاص للتصريح بلفظة إياك نستعين ، أى لا نستعين بسواك قطعا ، وسر الرجاء الجازم لأن السؤال غير متردد ، وسر الاقرار بالعجز من العبد عن القيام بحق الرب ، فانه لا يستعين إلا من ظهر عجزه . فتبين له حزما .

وسر الأدب فيما سيأتى من الدعاء ، فانــه لم ينطق بطلب لشيء إلا بعد ما استعان واستنصر ، والتجأ وتضرع ، وصرح بالعبودية وأظهر الاستكانة ، وفيــه اظهار لسر قدرة الربوبية ، فان من لا يقــدر على شيء لا يستعان بــه فى شيء ، واظهــار لســد الرحمة والكرم ، فان من لا يجود لا ينبغى أن يســأل ، ومن لا يرحمــك لا ينبغى أن تتضرع اليــه ، لأن التضرع وتركه سواء تعالى الله عن ذلك .

وفى حكايته من الله تعالى تعليم لعباده بحــق هذه الخصــال ، وفيه إيماء كالوعــد بأنه مجيب للسؤال ، واشــارة الى اظهار رحمتــه للعبــاد ، وحث لهم على الاجتهــاد فى الدعاء الذى هو رأس العبــادة بمراعات شروطه ، وتشويق بأن يكونوا داخلين فى زمرة وفده الراجين ، واشــارة الى منع اليأس والقنــوط من رحمته ، لأنه معين ، واشــارة أخــرى الى التوكل الذى هو رأس العبادة ، ودعامة الايمان ، لأن من استعان بالله فلابد من أن يتوكل عليه فيما به يستعين ، فتكفى بمجرد رجاء اعانته قطع النظر عن غيره ، وإلا فلا يكون من المتوكلين .

وكأنه يدخل فيه معنى الزهد فى الدنيا ، لأن المتجــرد فى مجرد الاستعانة بالله ، فلابد وأن يغلب عليه فى حاله ما أهمه من شــأنه ، فلا متسع لغيره فيه ، وهذا فى قوله منقطع بالكلية ، لأنه استعان بــه مع قطع العلائق البتة عما عداه ، فلا ينظر الى سواه ، لأن غــيره وان جل فهو حقير لا يعين على شيء ، ولا يقــدر عليه ، فلابد للمتجرد لله فى استعانته من أن يكون موقنــا إلا لغيره راجيــا ، فيدخل فى زمــر الموقنين والراضين بما يفتحه لهم المولى فى هــذا الطريق ، فيدخــل فى ذلك سر الرضا واليقــين ، فلا شــك أن عــلم الحقيقة كله محض الاستعانة والانقطــاع ، وترك الأطماع فى غير الله بالكلية ، حين يطهر القلب فى طريقه بالله ، ومع الله ، فتقول لسان حاله :

اهدنا الصراط المستقيم : فهذه كيفية الترقى للوصــول فى هــذا

الطريق ، لا تدريج المراتب . فأولها معرفة الله ، والإقرار له بالربوبية ، معترفين بالعبودية ، فتفيض عليهم نفحات الرحمة مترادفة متوالية ، حتى توقفهم فى مقام التذلل والخضوع . والاستكانة والخشوع ، لا تلبث أن يبرز لهم فى مقام هو أعظم منه ، وهو ملاحظة الجلال الباهر ، والقدرة العالية التى تحثهم على الاستعانة بالاستكانة .

ولما انتهى بهم الأمر الى هذا الحال . برز لهم خفى اللطف ، فى صحائف الكشف ، عن حقائق الأمور الدقائق فأظهر لهم من ظلمات الطبع ، وكثائف البشرية وحجب الجهالة . ما غمر القلوب منهم ، فتركهم صرعى بين هاتيك المهالك حيارى فى تلك المسالك ، لا يهتدون سبيلا ، ولا يجدون دليلا ، فكان جدرا بخفى لطفه ، وعميم كرمه أن لا يخيب رجاء من زاده فى سفره مجرد الاستعانة به ، والتوكل عليه بمحض الصدق ، وصفاء الود ، وثبات العزم ، وصدق الهمة .

فألهمهم طريق الخلاص . والانقاذ باستعانة ثانية وهى طلب مجرد الهداية ، التى لا يقدر عليها إلا به ، ولا ترجا إلا منه ، فقالوا : اهدنا علما بأنه لاهاذى إلا هو ، ولا هدى إلا بمنه ورحمته . وبسر كلمة اهدنا هداهم الى الطريق الواضح . فكشف لهم من أنوار هدايته ما دلهم على نعت الطريق ، بأنه طريق الحق الذى يدق ويصعب على العقل ادراكه على الحقيقة ، كما هو إلا من أمده نور التوفيق ، ففتح عين بصر بصيرته ، فنظر بمقلة الكشف الى أحد من السيف ، وأدق من الشعرة ، مثلا فى استوائه لا أنه جسم محدود من الأجزام ممدود .

ولما كان هو بذلك الحال فى المثال ، وجب أن يزداد فى توضيح صفاته ، وقال : المستقيم أى القيم المستوى ، الذى هو غير قابل الاعوجاج ، وفيه عبارة عن الانقطاع الكلى الذى لا تلجلج فيه ، وفيه

ثنـاء بالغ ، وتمدح لهـذا الطريق العظيم برهانه ، وفيـه تعريض بأن ماعداه من الطريق مخالفا له ، فهـو الأعوج جـزما ، لأن التعريف فى استقامته لاستغراق جنس الاقامة ، فلا قيـام لغيره أبدا •

ولمـا انتهى بهما الحال الى هذا المقـام ، ورأوا من عجائب الطريق فى هذا السفر الميمون ، ما دلهم على أن مراتب الهدى ، والاستقامة غير مقصورة على حد واحـد ، فهى درجـات شتى ، ومقامات تتفاوت فى اختلاف أحوال السالكين ، وخصوص الواصلين ، استغرقهم الشوق الى حب الحب : ومقامات القرب ، ومجاورة الأولياء ومعاشرة الأنبيـاء ، الذين هم أدلاء الطريق الى ذلك الفريق ، فلم يلبث لسـان الحـال ، أن صرح بالمقال •

صراط الـذين أنعمت عليهم : من النبيين والصـديقين والشـهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقـا ، فالصراط الأول صراط السـالكين المجتهدين ، والصراط الثانى صراط الأوليـاء والمقربين من الواصلين ، وكم بين المقامين من مهجة تـذوب شـوقا ان أعطيت ذوقا ، وناهيـك بكمال الآداب ، وقوله : أنعمت ففيه تصريح بأن النعمة منـه فضـلا من قبل المولى ، لا يدركه العبد بالطلب حـزما ، وناهيك بهـا نعمـة يقصر الوصف عن ادراكهـا ، بل لا يعبر عنهـا إلا الذائقـون منها ، لا بل يحـرم فى بعض الأحيـان كشفها ، ويجب التصريح تارة بها ، وأما بنعمة ربك فحـدث •

والنعمة هاهنا مجرد العناية من الرب بتطهـير العبد حتى يصـلح للخدمة ، فيكون فى مقام الخواص من الأولياء ذوى الإخلاص ، ولابد فى سلوكه من تدريجه فى المراتب الثلاث التى هى : الاسلام ، والايمان ، والاحسان ، وفى كل مرتبة يمده المولى بنعم جلى ، فالاسلام هو القيام بوظائف الأعمال الطاهرة من الصـلاة والصـيام والزكاة والحج ، مع

الاستطاعة الى غير ذلك من الأوامر حتى يأتى على الأواخر غير مضيع ولا مبدل لنهى ولا أمر من الظواهر ، فهذه هى المرتبة الأولى من مراتب السلوك ، وبها يسمى المرء مسلما لا مؤمنا ، بدلالة : (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) وان سمى مؤمنا باعتبار آخر ، فانما هو اختلاف لفظ لا اختلاف معنى ، فهذه نعمة فى حق من هى من درجاته ، لأنها منجية من الشرك والسيف ، ومدخلة فى الأحكام الاسلامية الظاهرية ، وعليها ترتيب إياك نعبد ، لأنها مقام شرع ظاهر ، وهذه هى الصراط المستقيم فى حق السالك بها ، لا فى حق من هو فوقه ، فانها تعد قصورا فى حقه ان اقتصر عليها ، ولكن فلابد من ملازمتها أصلا ، لأنها مرقاة الى الايمان ، وبان عدمها ان عدم الايمان كما أن بفناء الجسم يفنى الروح الذى هو أشرف شىء فى الهيكل الانسانى ، فكل من ارتقى الى درجة الايمان .

فرتبة الاسلام موجودة لديه ، ولكنه قد اكتسب عليها شرفا آخر يسمى الايمان وهو الدرجة الثانية مما أنعم به المولى على عباده ، وشرفها على الأولى كشرف الروح اللطيف على الجسم الكثيف ، وهو مفتاح معرفة الحقيقة ، فانها الدرجة الفاصلة بين حقيقة الحقيقة ، وبين ظاهر الشريعة لأنها أول التجرد ممن كثيف الهياكل المظلمة ، ولذلك وصفها صلى الله عليه وسلم فقال : « الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره » .

وهذه الجملة ان فكرت فهى موجودة مع أهل الرتبتين الأولى ، لأن من لم يعرف أن الله ربه وكفر بالملائكة أو الرسل أو اليوم الآخر أو القدر فهو مشرك ، ولكن تأويلها بهذا المقام على منهج غير ذلك هو أدق على الأفهام ، وأحق فى الأحكام ، . وأولى بأن يكشف القناع عن وجه تأويله فيقال : أما الايمان بالله فى مقامات الايمان ، فهو من نور الفيض الربانى ، يقذفه فى القلب الانسانى بواسطة مجاهدة وفكر

وتصديق ، واعتبار فى معانى أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله واليوم الآخـر ، وما فى ذلك من الأسرار والقدرة الهائلة الـدالة على عظمة الصانع البديع ، وجلالة قدره فحينئذ تكشف عن عينه غطاء اللبس ، وحجاب الغفلة ، فيدرى أن الأمر إد ، والخطب جد ، والخطر عظيم ، وأنه لم يخلق عبثا ، ولم يترك سـدى ، فينتهى به الحـال الى أن يكون مشغوفا بالفكر ، مشغولا بالذكر ، كثير الوجل ، عظيم الخجـل ، يشاهد بفكره عرصات القيـامة ودرجـات الجنـة ، ودركات النـار ، ومشاهدة الجبار بصفات العظمة ، التى هى منشأ الخـوف والخشية ، ونعوت الجمـال والرحمة ، التى هى منشأ الرجاء والطمع •

فهو متردد النظر متعوب القلب ، مستعمل الجوارح فى هذه الطريق بصفاء الهمة ، وحسن الاعتقـاد ، والقاء القياد ، وتأهيب الزاد ليـوم المعاد ، والاكتفـاء من هذه الدار ببلغة لطريقه ، الى بلوغ فريقـه ، فهذا يسمى مؤمنـا حقـا أى مصـدقا بالله وبملائكته وكتبه ورسـله واليوم الآخـر ، تصديق تحقيق يوافق الظاهر فيه الباطن ، فيجـرى فيه على مناهج الأولياء ، ومقاصد الأنبيـاء ، متمسكا بالكتاب ، منقطعا لله غير متواهن فى ذلك ولا متهاون ، وبـذلك ينكشف له سر القـدر ، فلا يرى فى الوجود لغير الله قدرة على شىء ، لأن كل موجود بوجوده ، قائم بسر قيومية مولاه ، ولـولاه لاضمحل وحـال به فى الحـال ، فلا وجود على الحقيقة إلا له جل وعلا •

ولذلك لما سئل على بن أبى طالب عن سر القدر قال للسـائل : سر خفى فلا تنظره • قال : بينه لى • قال : خلقك كما تشـاء أم كما يشاء ؟ قال : كما يشاء ، قال : وكل الأشياء قسها عليه • قال : زدنى بيـانا • قال : رزقك كما تشـاء أم كما يشـاء • قال : كما يشـاء •

قال : وكل الأشياء قسها عليه • قال زدنى بيانا • قال : ان جعلت

مشيئته مع مشيئتك فقد أشركته ، وليس لله شريك ، وإن قلت دون مشيئته فقد غالبته •

ثم قال : أتقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ؟ قال : نعم • قال : أتدرى ما معناها ؟ قال : لا • قال : معناها لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ، ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله •

ثم قال : أوقعت على قلبك السكينة وثلج اليقين ؟ قال : نعم • قال : فصافحوا أخاكم فقد أسلم إسلاما جديدا ، فهذا سر القدر ، وضابط معرفته ، قطع النظر عما سوى الله فى جميع الكائنات اعترافا بأن الكل مسخر مدبر لابد له من مدبر قادر حكيم عليم ، يدبره كما يشاء فلا مشيئة إلا له ، ولا حول ولا قوة إلا بالله •

وانظر الى باب المدينة كيف سماه اسلاما ثانيا اشارة الى أنه مرتبة زائدة على التى كان هو فيها ، وكيف وصفه بالسكينة ، وثلج اليقين ، فهذا مقام الايمان ، وهو بداية الترقى فى مفتاح معرفة الحقيقة بسر المجاهدة والفكر فيما ذكرناه ، ومتى ثبت العهد عليه يصدق المجاهدة ، لم يلبث به الحال أن يورثه مقاما آخر ، وهو العلم بالله ، والخوف والخشية والهيبة والتعظيم والرجاء حتى لا يرى لغير الله متسعا فى قلبه ، فلا يكون فى همه إلا هو ، ولا يطمح نظره إلا إليه •

فهو مع الله وبالله وإلى الله على كل حال ، فهذا مقام الاحسان ، وهو الدرجة الثالثة التى هى فوق الايمان ، والواصل اليها قد استكمل الدرجات التى هى دونها ، وعلا الى الدرجة الحسنى ، والمرتبة العليا ، واللطيفة الفضلى ، والطريقة المثلى ، فهو حينئذ لا يملك من نفسه

خيرا ، ولا من قلبه أثرا ، فلا يـرى إلا كالهائم ، بالشـوق الـدائم ، مسلوب القلب ، مغلوب الحـال عائما فى بحـور المحبة بصدق الوفاء . وكمال الصفاء ، وبذل الجهـد ، باخلاص الود ، ألا ترى الى قـول صاحب الشرع عليه الصلاة والسلام ، وقد سئل عن الاحسـان فقال : « أن تعبد الله كأنك تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك » .

ومحال أن يراه العبد : بل فيه اشـارة الى حسن التجـرد ، وكمال الانقطاع ، والتبتل بالكلية عما سـواه ، فلا يرى خـيرا من غـيره ، ولا أثرا مما عداه ، فيكون حينئذ قـرة عينه فى الصـلاة ، وراحـة قلبه فى الذكر ، لا تلفت له الى غير مولاه ، ولا نعيم له بسـواه ، فهو فى ميادين نجواه ، لا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبـه ، فاذا أحببته فهو المقام الرابع المعبر عنـه بالحب ، وهو المقـام الثانى من مقامات الاحسان ، وهو مقام القرب بين أيادى الرب .

فلا شك أنه عناية من المولى بعبده ، وهـو مقـام الاستغراق ، فلا تصرف للعبد فيه أصلا ، لأنه فى حدثات اذا أحببته كنت له سمعا وبصرا ولسـانا ويدا فبى يسمع ، وبى يبصر ، وبى يبطش الخـير ، فاذا انتهى به الحال الى هذا المقـام العلى شأنه والمنزل العظيم برهانه أتيح له مقام آخـر من غير مفارقته للأول ، وهو الدرجة الخامسة درجة التمكين ، فيكون متصرفا فى الكون بما شاء ، لا بواسـطة إلا بمجـرد العناية من الله تعالى ، فاذا قال للشىء كن فيكون فى الحـال ، وربما وقع قبل المقـال ، بمجرد صرفه المهنة للانفعال .

وكيف ينكر ذلك فى شأن من كان له الحق سبحانه هو المتصرف به ، فـلا ينطق إلا بالله ، وهو سر قوله صلى الله عليه وسلم : « أطـع الله يطعـك كل شىء » ومن كان مع الله كان الله معـه ، ومن كان لله كان الله لـه .

واذا انتهى الى ذلك ظهر له وحـال آخـر ويعبر عنه بالمقـام السادس ، وهو أن تظهر له مصالح العبـاد ، وتنكشف لـه أحـوال الخـلائق ، حتى يكون أكثر همه فى مصالح العباد والاستغفار لهـم ، وطلب الرحمة والرأفة بهم ، فهى مرتبة الملائكة الذين من حول العرش يسبحون الله ، ويستغفرون لمن فى الأرض ، وهى من مراتب الأنبيـاء الأكرمين ، فلا مجاوزة لمـا فوقها لأحـد ، وانمـا تختلف الدرجـات بحسب القبول ، وتفاوت الصفاء ، فهذه درجـات الأبدال والأقطـاب والسالكين ، وهى تمـام النعمـة ومقـامات الكرامة والشرف الرفيع ، ودرجات الملائكة المقربين ، والأنبياء والمرسلين الذين أنعـم الله عليهم بكمال نعمته ، وشمول عنايته ، واليه الاشـارة بقوله تعالى : (صراط الذين أنعمت عليهم) فقد عرف بهذه الآيات الثلاث سر الترقى فى مقامات الوصول ، من ابتداء المجاهدة الى تمام النعمة •

ألا ترى أن اياك نعبد : هى سر الاسـلام ، وهى سر الشريعة ، وهى مفتاح معرفة الاسـلام •

وإياك نستعين : هى مفتـاح المجـاهدة ، وأول المكاشفة ، لأسرار عالم الملكوت ، وهى مقام الايمان ، ومفتاح الحقيقة •

واهدنا الصراط المستقيم : هى سر الترقى فى السلوك على مناهج الحقيقة بالانقطـاع الكامل ، وهى أعلى من رتبة نسـتعين ، لأن نستعين فيهـا ملاحظة للنفس ، باصـدار الاستعانة من قبـل العبد ، ودرجـة اهدنا هى حق العلائق ، فليس فيهـا اصدار شىء عن النفس أصـلا ، بل هى مجرد ملاحظة الهداية من قبـل المولى ، وهى المقـام الخامس •

ولا يخفى على منصف أن مقام أنعمت عليهم : فوق هذا المقـام ، لأنه رتبة انتهى الى افاضـة النعـم ووهب الكرم ، التى لا يمكن أن

تتناهى الحصر لغير من هو المنعم جل شأنه ، وهذا هو مقـام القرب والتمكين ، يرفع الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات درجات •

وأتى بلفظة عليهم مبالغة فى شمول النعمة لهم ، فكأنها قد أطبقت عليهم من الجوانب كلها ، لأن الاستعلاء على الشىء تمكن منه ، وفيـه اشارة لطيفة إلا أنهم مع وصـول هذه الدرجة لا سبيل عليهم لشىء ، لأن نعمته محيطة بهم متمكنة منهم . فهم فى ظلها يسرحون ، وفى كنفهـا يمسون ويصبحون ، فتبارك الله رب العالمين ، هـذا ما وجـدناه من التسويد من نسخته ، ونحن فى طلبه ، والله أعلم •

*** مسـألة :**

ومنه قلت له : سمعه الشيخ عبد الرحمن ناصر بن أبى نبهـان يرفع عن والده وعن الغزالى أنهما عرضا على القرآن فى سجدة واحدة ، ولم أسأله عن ذلك ، فاكشف لنا سرهما وأنت ماجور فى ذلك ؟

الجـــواب :

لـم أبلغ الى ذلك ، والعـلم عنـد الله ، وما أوتيتم من العـلم إلا قليلا

وهذا كتاب الدرة النورانية فى الأحكام القرآنية :

بسم اللــه الرحمــن الرحــيم

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعـل له عوجـا ، أنزله كتابا محكما قيما سـلما الى الرشـد ومنهجا ، وأشرق بالحـق لامع أنوارة فاضمحلت من الباطل غياهب الدجى وحكم بصوارم أحكامه

أطماع من كان له فى التصـــدى لمعارضيه من تجى . وجعل منه لمـــن تمســـك بحبله المتين أوثق عروة وأمنع حصن وملتجا .

أحمده حمدا أرتجى لى به من الذنب مخرجا ، وأشكره شكرا ينيلنى هدى منه وتوفيقا وفرجا .

وأصلى على نبيه محمد وآله وأصحابه أهـل البصائر والحجى . وأسلم عليه وعليهم ســـلاما على حسن الثناء عليهم مدبجـــا .

أما بعـــد :

فان كتـــاب الله هو النـــور البهى ، والمنهج السنى ، والحبـــل القوى ، كلت الألسن عن استكمال صفات كمـــاله ، وأذعنت البلغـــاء بالعجز عن الاتيـــان بكلمة واحـــدة من مثاله ، فهو لمن تمســـك به نـــور وهدى ، ولمن نبـــذه وراء ظهره نقمة وردى .

ولمـــا كان الأمر كـــذلك وجـــب على حفـــاظه أن يعتنوا بمعانيـــه وألفاظه ، ولا يتمكن من ذلك من لا يدرى أين موضع الطريق ، ومن ألقى بنفسه فى البحر المحيط فكم ثم من غريق ، ولمـــا وجـــدت الناس قـــد اختلفوا فى الجـــائز من حكمه ، بمن اعتنى بتلاوته أو رســـمه ، سألت الله أن يتداركنى بما أنزل من الهدى فى كلامه ، فيطلعنى على ما لـــم أهتد اليـــه فى أحكامه .

فعمت متوغـــلا فى تلك اللحجج البعيدة ، ونظمت ما استخلصته نفسى من فرائدها من نسلك هذه القصيدة ، وسميتها بـ « الدرة النورانية ، فى الأحكام القرآنية » ولم تزل البواعث تطالبنى بعد تكميلها ، بأن أشرع

فى ايضــاح تأويلهــا ، ليســهل تناولها لطلابهــا ، وليهتدى من رام الدخول الى بابهــا ، فقمت أحاول الى ذلك والموانع موجودة ، ويــد المساعد على ذلك مفقودة ، إلا أن يمدنى الله بيد من توفيقه ، ونــور هدى يرشــدنى الى سلوك طريقه •

فأوضح اللهم لعبدك طريق الحق المبين ، واهدنى اللهم الى سبيل الرشــاده ، فقد تمسكت بحبلك المتين ، متوســلا اليك بكتابك الــذى أنزلته ، ومتشفعا اليك برسولك الذى أرسلته ، أن تمدنى بلطيفة هدى من لطائف أنوار تســديدى المبين ، فأنت يارب خير هاد ومعين •

وهذا شروع الابتداء فى سلوك هــذا المنهج القــويم بعد التزام الافتتاح بكلمة :

بســم اللــه الرحمن الرحــيم

لك الحمــــد يا ألـلــه الكــريم المنــزل
من الذكــر ما فيــه الهــدى والتــذلل

تبـــارك أهـــل الحمــد والحمـــد كله
بغـــــيرك يا محمــود لا يتأهـــــل

وأزكــى صـــلاة مع سلام على الــذى
اليــه كتـــاب الـلــه بالوحـــى منــزل

هــو المصطفى الهـــادى النبى محمــد
رســـــول الهــدى المــدثر المتزمــل

وأصـــحابه والآل والتابعـــــوهم
عليهـــم ســــلام منه فى النشر منــدل

وبعــد فــان الله أنــزل للهــدى
كتــابا لــه فى الــكون شــأن مجــلل

عظــيم بتعظــيم الإلــه وإنــه
لنــور الى نهج الرشــاد موصــل

هو العــروة الوثقــى فيامتمســكا
به فــزت فهــو الشــافع المتقبــل

ولــم تفــن ما فى آيــه من عجــائب
كتــاب عــزيز مصــدق وممحــل

مصدق : أى ناطق بالصدق فيما جاء به من وعد ووعيد الى غير ذلك من قولك : أصدقنى فلان اذا وجدت قوله صدقا • والمحل : القاطع الحجة والأعذار واشتقاقه من المحل فان مخالفة مقطوع الحجة عادمها ، أو المهلك فان مخالفه هالك لا محالة ، ولان المحــل من المهلكات فلا يقــع فى الغالب الا نقمة ، واللفظتان هما من كلام النبى صلى الله عليه وسلم فى وصف القرآن •

فيا تاليــا آى الكتــاب مرتــلا
تنبــه لمــا يحبيــك يا من يرتــل

ففيــه شــفاء للقلــوب من الــردى
وفيه الهــدى من عنــد ربك منــزل

ودونــك فى أحــكامه الغــر تحفــة
من النظــم بالاحسان والحسن تحمــل

عليهــا من النــور الكتابى اشــارة
وحسن بديــع بالجمــال مــكال

التحفة : هى الشىء الغريب المستطرف ، والشارة : الحسن والجمال والزينة ، واللباس الحسن والنور الكتابى ، ونور القرآن العظيم ، ومكال : أى لابس اكليــل وهو شىء فى تيجــان الملوك كالعصابة مرصع باليواقيت والجواهر الفاخــرة ، والبديع : الذى بلغ النهــاية كأنه مبتدع .

من انــدر نورانيـــة ان وصفتهــــا
وسميتها بــل هــى أبهــى وأفضــــل

لم يعهد مثله الدرة : اللؤلؤة العظيمة .

والمعنى أن المنظــومة المشــار اليهــا اذا وصفتها فهى من الدر ، وان سميتهــا فهى كــذلك ، لأن اسـمها « الـدرة النــورانيــة » والنــورانية نسـبة لهــا الى النــور ، أى ذات الأنــوار الكثــيرة والأضــواء الهائلة ، ثم قال : بــل هى أبهى أى أكثر بهــاء من الدرة التى هى من بعض أحجار البحور ، وذلك لأن غاية الدرة انما هى حجرة ملقاه فى لجة البحر ، فلا تــوازن فضيلة العلم وأنــواره ، ولا ســيما ان كان ذلك من أنوار كتابه تعالى ، فان ذكر الشمس المنيرة مما يصغر مع ذكره ، فضلا عن الجواهر الأرضية ، فلذلك قال : بل هى أبهى وأفضل، وتشــديد الياء من هى لغة فصيحة وبل هو حرف للاستدراك .

فــلا تتعجب حـــين وافتــك ســـهلة
ولى خاطــر ينبــو عن الشــعر مجبــل

فمن بركات الذكــر أضحى جموحهــــا
مروضــا لــه ان أدن منـــه تــذلل

الخاطر : هو الذى يخطر بالقلب ، وينبو عن الشىء : أى يتجافى عنه، ويتباعد من نبا جنبــه عن الفراش اذا لــم يطمئن عليــه ، أو يكل ويجبن من نبا حــد السيف اذا كل عن الضريبة ، وأجبل الشاعر : اذا انسدت القريحــة عليه ، وأصله من أجبــل الحافر اذا أصــاب الجبل ، فتوسع فيه كما فى قوله تعالى : (أعطى قليــلا وأكدى) أى أمسك ،

وأصله من اكداء الحافر ، وهو أن تلقى كدية وهى صلابة كالصخر فتمنعه عن الحصر الصخر ، والجموح : الفرس الذى يغلب صاحبه ، ورياضته تذليله ، راض فهو مهر مروض أى مذلل •

ومعنى البيتين وصف هذه المنظومة بسهولة التركيب ، وعذوبة اللفظ ، مندمجا فى طى الاعتذار من الناظم بالاعتراف بأنه ليس هو من علماء هذا المحال ، فان الشعر قد يتجافى عنه فلا تخطر به الخواطر على قلبه ، فهو عن ذلك مجبل وبه معترف •

وأما اتفاق هذه الأبيات فانما هى لطيفة وقعت من بركات الذكر وهو القرآن العظيم ، فبواسطة الذكر وبركاته الفائضة عليه تيسر ما صعب عليه ، فتسخر له الجموح بعد ما كان عانيا ، وأضحى العسير عنده سهلة متواتيا والحمد لله •

فيارب يا رحمن كن لى مسددا
فانى إلا من رجائك ممحل

وكن لى معينا للرشاد موفقا
فانى للتوفيق منك مؤمل

وانك لى حسب عليك توكلى
تباركت من حسب عليه التوكل

بيان فى موضع فى لزوم القراءة وندبها ، ومن أفضل الأعمال هذا ما وجدناه من هذه المنظومة وعرفنا مزيد صحتها فهذا جوابه لنا :

وهذه وجدناها تساويد له رحمه الله :

الخشوع : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) •

الذكر : (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) •

الـذم : (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) ، (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) (فاستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله) (فأولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) •

والأهبة والتحذير لخاصة الأمر : (ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد) الآية •

للتذكرة : (ان هذه تذكرة) •

والمدحة : (وانه لتذكرة للمتقين) (وما يتذكر إلا أولوا الألباب) (وما يتذكر إلا من ينيب) •

وفيها الذم من يجب عليها : (فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا) (فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون) •

الاستغفار وفوائده : (فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا • يرسل السماء عليكم مدرارا • ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا) •

ومنها الرحمة : (واستغفروا الله ان الله غفور رحيم) •

ومنها التوبة : (واستغفروا الله ثم توبوا اليه) (واستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما) •

القيامة : (أمن يأتى آمنا يوم القيامة) مع الحديث الوارد ، فلا يبقى فى عين قطرة من دمع ، اللهم نفسى نفسى ، وهم متمسكين بالعرش

(ان الذين يخشـــون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير) (ومن يطـــع الله ورســـوله ويخش الله ويتقه فأولئـــك هم الفائزون) •

النــار : (وان منكم إلا واردها) (لا يسمعون حسيسها) يمـــكن أن يردها ولا يسمع حسيسها (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقـــل ما كنـــا فى أصحاب السعير) (ثم لترونهـــا عين اليقين) •

*** مســألة :**

السؤال فى الحســـاب : قال الله تعالى : (فيومئذ لا يســـأل عن ذنبه إنس ولا جان • فبأى آلاء ربكما تكذبان) (يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصى والأقدام) (لتسألن يومئذ عن النعيم) (فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين) •

*** مســـألة :**

شـــق عن قلبه وأخرج منـــه مضغة من ســـواده ، قال شيخنا : هى استعارة ، ولفظ يحتمل التأويل بمعانى ذلك ، قال صلى الله عليـــه وسلم اسم شيطانى ، وفى رواية إلا أن الله أعاننى عليه وسلم • قال : (قـــل أعوذ برب الناس) (رب أعوذ بك من همزات الشياطين) (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله) •

*** مســـألة :**

رفع المسيح عليه الســـلام : قال الله تعالى : (يا عيسى ابن مريم انى متوفيك ورافعك إلى ومطهرك من الذين كفروا) الآية (فلما توفيتنى كانت أنت الرقيب عليهم) •

قيل ان التسبيح من الله كان ، فيدل عليـــه سبح الحديد ، سبح

الحشر ، سبح الصف ، سبه الجمعة ، سبح التغابن ، سبح اسم ربك الأعلى ، سبحان سورة بنى اسرائيل •

ثمرة التســبيح من القرآن : (فلولا أن كان من المسبحين • للبث فى بطنــه) •

النجــاة : (سبحانك انى كنت من الظالمين • فاستجبنا له) •

اجابة الدعاء والنجــاة : (وكذلك ننجى المؤمنين) •

المدحــة وحصول الايمان : ومن كلام النبى صلى الله عليه وسلم تسبيح الملائكة وبه يرزقون ، (والباقيات الصالحات) وأما شرفه فانــه كلام الملائكة (يسبحون ربهم ويستغفرون لمــن فى الأرض) (يسبحون الليــل والنهــار لا يفترون) وأن الله أثنى بــه على نفســه فقال : (سبحان الذى أسرى) وأما عمومه (وان من شىء إلا يسبح بحمده) (والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه) وأما وجــوبه والأمر بــه (وسبح بحمد ربك حين تقــوم) (فسبح باسم ربك العظيم) (سبح اسم ربك الأعلى) ، (فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى) •

فان قيل : فهذه الصلاة ؟

قلت : فهذا هو الشرف الأكبر ، كانت الصــلاة كلها تسبحا ، فاكتفى بذكر التسبيح عن الصلاة كلها ، فما ظنك به (ومن الليــل فاسجد لــه وسبحه ليــلا طويلا) •

وأما الذم على تركه : (قال أوسطهم لم أقل لكم لولا تسبحون) •

والمدح على الرجوع اليه : (قالوا سبحان ربنا إنا كنــا ظالمين) (فنبذتها وكذلك سولت لى نفسى) (قال بل ســولت لكم أنفسكم أمرا)

(ام حسبتم أن تدخلوا الجنــة ولمــا يعلم الله الذين جاهدوا منــكم ويعلم الصابرين) (ومن يعتصم بالله فقد هــدى الى صراط مستقيم) (وأنزلنــا اليك الذكــر لتبين للنــاس ما أنزل اليهم ولعلهم يتفكرون) (وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين) (ليحملوا أوزارهم كاملة يــوم القيــامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغــير علم ألا ســاء ما يزرون) •

القلب يجــب حفظــه ، لأن الشيطان واصــل اليــه فهــو جاثم عليــه •

انه معترك العسكرين : الهوى والعقل •

ان الخواطر والعوارض له أكثر •

ان علاجه أعسر •

ان الذنب فيه يؤدى الى القسوة •

قلت : لأنه ملك الجوارح فهى تفسد بفساده •

لأنه موضع خزانة المعرفة والهداية •

لأنه غائب عنك لا يبصره الى كله ولا من غيره

لأنه موضع نظر الرب جل وعلا •

لأنه شرفك به لا غير •

لأن به النجاة والفوز بعد توفيق الله ، فهذا ما وجدناه من تساويده فى القرطاسة رحمه الله تعالى •

وقد سأله أحد جوابا لهذين البيتين فى الحماسة وليكون الجواب على نسقهما والبيتان هما هذان كما ترى :

السيف والخنجر ريحاننا
أف على النرجس والآس

شرابنا من دم أعدائنا
وكأسنا جمجمة الرأس

الجواب :

جواب بيتين أراد امرؤ
منى هما من نظم أكياس

وانما عندى هما غاية
للمجد مثل التاج للراس

فكيف لا ابن العلا وهما
هذان لا من نظم أنكاس

السيف والخنجر ريحاننا
أف على النرجس والآس

شرابنا من دم أعدائنا
وكأسنا جمجمة الراس

وهذا جوابى لكماة الوغى
سيف كليب رمح جساس

البيض والسمر رياحيننا
لا للاس والنرجس والياس

شرابنا العذب بجميع العدى
وكأسنا رأس فتى كاسى

يطـــربنا وقـــع القنـــا فى الوغى
وانســـنا من وحشـــــة النـــاس

وفى الطـــلا وقــــع الظبـــا لم نـــزل
نعـــــده أيـــــام أعـــــراسى

من ينســـب النـــاس الى غــــيرنا
فليس منســـــوبا الـــى ناس

وكل من ناشــــا يـــرى غــــيرنا
للضرب والطعـــــن هو النـــاس

فـكم ذنبـــا بلظـــى بأســـنا
طـــود حـــديد شـــامخ راسى

مـــاع لنـــا الجـــامد لمـــا رأى
لان بالهيبـــة القاســــــى

ثم ما وجدناه فى كلامه رحمه الله •

قال الخليلى : يجوز اسم سيدى ومختلف فى قوله : أسألك بأسمائك ، والجـواز أصح ، ومختلف فى غياب المستغيثين أيضا ، ونحن فى مثـل هذا ربما نتوســع ، وفى الدعـاء يجوز السر والجهر ، والسر أفضـل إلا إذا رجا أن يقتدى به فى ذلك ، وسلم من آفات الأعمال •

والتهديج : هو التهجد بتقديم الجيم يجـوز فى رمضان وغـيره ، والابتداء بالتهليل والتعظيم خير ما استعمل •

وأما أسماء النساء فى الكتـابة بالألف أم بالهاء ؟

قال : تكتب على لغاتهم ان كان بالألف أو الهاء ، وما كان أوله ساكنا فلابد من الألف فى أوله وغير ذلك فلا تزاد فيه الألف •

ومن جوابه :

فى الأسماء التى يشتبه آخرها قال فى جوابه : تكتب على لغتهم ان كان بالألــف أو بالهــاء ، وفى لغــة العرب عزاء ، وعــزة بالوجهــين ، وأسماء بالمد ولم نحفظ نصراء وشمساء ، أما هى فى لغتنــا بالمد فيهمــا ، وكل موضــع مخصوص فى ذلك بلغة أهله ، والله علم •

ومنه : لعلك تتفضل شيخنا بوفق بذهاب من أراد يســوء عمان ، وقد عمــل أبو نبهــان رحمه الله لمن ســاء فيهــا ، وصح عمله وأنــت الخليفة فى هذا العلم ، ولك الأجــر ؟

الجـــواب :

(فالله خير حافظا وهو أرحــم الراحمين) •

بســم اللــه الرحمن الرحــيم

وجدت لهذا الجواب عن الشيخ العالم الربانى سلطان بن محمــد البطاشى رحمه اللــه ، والأول منقطع ، وفى بعض الروايات فان الأمــة لمــا اختلفت هذا الاختلاف الكثير ، وقد صدق فيها قوله صلى الله عليه وسلم كما روى عنه فى الحديث الشهير ، كان الكذب من بعضهم فى بعضها مقطوعا به ، واجبــا رده لقوله صلى الله عليه وسلم : « ألا وسيكذب على من بعدى فما أتاكم عنى فاعرضــوه على كتاب الله فما وافقه فهــو عنى قلته أو لم أقله ، وما خالفــه فليس عنى قلتــه أو لم أقــله » والروايات فى ذلك على وجهين :

الوجه الأول : ما يكون سبيله سبيل الأمر والنهى ، فيجوز التضادد بين بعضه وبعض من حيث الناسخ والمنسوخ ، فيقال فى الناسخ : ثابت وفى المنسوخ باطل ، وذلك كتحليل المتعة وتحريمها ، والنهى عن زيادة القبور ، ثم الأمر بها بقوله : « ألا فزوروها ولا تقولوا هجرا » •

ومن حيث الخصوص والعموم كقوله صلى الله عليه وسلم : « حيث أدركتك الصلاة فصل » ثم استثنى فى حديث آخر مواضع لا تجوز الصلاة فيها ، فيقال : فى الأول عام ، فى الثانى خاص وكلاهما ثابت إلا أنه لا يقبل من ذلك عندنا إلا ما تقررت عليه شريعتنا ، وما خالفها وصح بطلانه فى اجماع أصحابنا فيقال فيه مردود ، وهذا الوجه يجوز فيه التضادد بين الروايات ، وبينها وبين الآيات •

فأما مثال التضادد فى ذلك بين الروايات من حيث الناسخ والمنسوخ ، ومن حيث الخصوص والعموم فقد مضى ، وأما مثال التضاد بينها وبين الآيات ، فهو كنحو وجوب الوصية للوالدين فى سورة البقرة ، ثم نسخها بقوله صلى الله عليه وسلم : « ألا لا وصية لوارث » •

ومن حيث الخصوص والعموم كنحو قوله تعالى فى سورة النساء : (وأحل لكم ما وراء ذلكم) بعد ذكر المحرمات من النساء ، ثم حرم أن يجمع بين المرأة وعمتها ، وبينها وبين خالتها •

واما مثال التضاد بين الآيات من حيث النسخ ما ثبت فيمن توفى عنها زوجها أنها تعتد حولا كاملا من قوله تعالى : (وصية لأزواجهم متاعا الى الحول غير اخراج) ثم نسخت تلك العدة بقوله تعالى : (يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) •

ومن حيث الخصـــوص والعموم ما ثبت من تحـــريم المشركات ، من قوله تعالى : (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن) ثم وقع التخصيص بالتحليل للمشركات الكتابيات ، بقوله تعالى : (والمحصنات من الـــذين أوتوا الكتاب) فهذا بيـــان القول على الوجه الأول الذى يخـــرج مخرج الأمر والنهى •

والوجه الثانى : الذى يخرج مخرج الخبر كالتوحيد والوعد والوعيد فبيان القول فيه أنه لا يجـــوز التضادد فيه بين الروايات ، ولا بينهـــا وبين الآيات . ولا بين الآيات وما أوهم المضـــاددة بحسب ظاهره ، فهو مردود بالتأويل الى الموافقة ، فما احتمـــل له وجه حق عند الراسخين فى العلم فلا يجـــوز رده كنحو ما يروى عنه صلى الله عليه وســـلم : « سترون ربكم » وقوله : « لا تزال النار تقول هل من مزيـــد حتى يضع رب العـــزة فيهـــا قدمه فتقول قط قط » وقوله : « إن الله ينزل ليلة النصف من شعبان » وقوله فى أهل الجنة : « فاذا الرب قـــد أشرف عليهم » •

فهذا ونحوه مما يخرج له تأويل حق عند العلماء ، فلا يجـــوز رده ، وما لم يحتمـــل وجه حق مثل أن يقـــال : ان ذات الله تعـــالى تـــرى بالأبصـــار ، وان فسقة الموحدين يخرجون من النار وينعمون فى الجنة مع الأبرار ، وأن الله يغفر لهم ذنوبهم على الاصرار ، وأن شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لمن يموت منهم على غـــير توبة واستغفار ، فهـــذا ونحوه مردود واجب الانكار وما يحتمـــل من ذلك وجه حق فهو دقيق ، كم فى بحـــره بالرد له من غريق وغريق ، فالواجب على الضعيف الاحتراز من سلوك هذه الطريق ، الاكتفاء فيه بأن يقول قوله قول المسلمين •

فهذا ما يسر الله من الكلام على الروايات والآيات ، فكن من علمه على اتقان ورســـوخ ، واعلم أن الوجه الثانى لا يجـــوز أن يكون فيـــه ناسخ ولا منســـوخ •

بـــاب

فى التوحيد وما يجوز من الصفات لله تعالى وما لا يجوز حقيقة ومجازا

بســم اللــه الرحمن الرحـــيم

الحمد لله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

ما تقول أيها الشيخ العالم الربانى ، سعيد بن خلفــان الخليلى ، هل يصح ويجوز الجهل من الذين اصطفاهم الله بالرســالة والنبــوة ، فلا يعرفون ما يجب فى حق مولاهم ، وما يجــوز وما يستحيل أم لا ؟

فان قلت : لا فسؤال الكليم عليه الســلام وطلبه الرؤية من مولاه لأى شىء مع علمه بعــدم جوازه ووقوعه ؟

فان قلت : ان السؤال المذكــور لأجل قومه حيث قالوا : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) فسأل ليعلموا امتناعها كما علمه هو فنقــول هؤلاء القوم ان كانــوا مؤمنين كفــاهم قول موسى عليــه الســلام أن الرؤية ممتنعة ، ولنهاهم عن ذلك كما نهاهم عن جعل الآلهــة بقوله : (بل أنتم قوم تجهلون) وان كانوا كفارا لم يصــدقوه فى حــكم اللـــه بالامتناع ، وانما يكون السؤال عبثا لا فائدة فيه ؟

وما معنى الادراك فى قوله تعالى : (لا تدركه الأبصـــار) ؟

فان قلت : معناه هــو الرؤية مطلقا فلا دلالة فيــه على عمــوم الأوقات والأحــوال ، بل قــد يمكن فى بعض ولبعض ، ويمتنع فى بعض ولبعض ، وقد يستدل بالآية على جواز الرؤية إذ لو امتنعت لمــا جعــل

التمدح بنفيها ، فالمعدوم لا يمدح بعدم رؤيته لامتناعها ، وانما التمدح فى أن تمكن رؤيته ، ولا يرى للتعزز والتعذر بحجاب الكبرياء •

وان قلت : معناه الرؤية على معنى الاحاطة بالجوانب والحدود ، فدلالة الآية على جواز الرؤية وتحققها أظهر ، لأن المعنى أنه مع كـــونه مرئيا لا يدرك بالأبصـــار لتعـــاليه عن التنهـــاهى والاتصـــاف بالحدود والجـــوانب •

وأيضا الله تعالى موجود وكل موجـــود يصح أن يرى ، وأيضـــا فاختلاف أكابر علماء هذه الأمة واخبارهم وهم الصحابة رضى اللـــه عنهم أجمعين . وذلك كترجمان القرآن وبينة الصديق الأكبر رضى الله عنهما فى أن النبى صلى الله عليه وسلم هل رأى ربه ليلة المعراج أم لا ؟ فبعضهم قال : رآه ، وبعضهم قال : لم يره دليـــل إلا مكان ؟

وأيضا فكما أنه سبحانه وتعالى مخالف لمخلوقاته فى جميع صفاته ، فكـــذلك رؤيتنا له مخـــالفة لرؤية بعضنا لبعض ، فلا نشـــترط فى رؤياه الجهة والمقابلة ، وعدم المانع كما اشترطه الفلاسفة ، فذلك أمر عـــادى والقيمة محل أمر خرق العادات ، أجبنـــا جوابا شافيا لاعيـــاء فيـــه ، مأجـــورا مثابا ان شاء الله تعالى ؟

بســـم اللـــه الرحمن الرحـــيم

الحمـــد لله وكفى ، وســـلام على عبـــاده الذين اصطفى •

أما بعـــد :

فقد نظرت فيما أنت تحكيه عمن يزعم أنه من علماء السـنة فقيه ، وما احتج به فى مســـألة الرؤية ، ولا بأس بالنظر فيه ، وعنـــدى أنـــه

لو اقتصر فيهـا على ما أورده فقهاؤه ، عارض به من أهـل مذهبـه علماؤه ، لكان لغرضـه أقضى ، ولسيفه أمضى .

وان كان الخصم فى النزاع ، ولا ينكل عن الدفاع ولولا دفـع الله الناس بعضهم لبعض لفسدت الأرض ، لكنه لفرط اللجـاج ، أورد من الاحتجـاج ، ما تأدى على طريقته بالاعوجـاج ، حتى لا يظن بـذى بال أن يصـدر عنه ذلك أبدا فى مقام ، حتى انه لوضوح ما أتى بـه لاستحسن ضرب الصفح عن خطابه ، لكنى لمراعاتى قلبك اكتب لديـه ، بحمد الله ما استعفف ان شاء الله عليه ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

أما قوله : هل يصح ويجـوز الجهـل من الذين اصطفاهم اللـه بالرسالة والنبـوة ، فلا يعرفون ما يجب فى حق مولاهم ، وما يجـوز وما يستحيل أم لا ؟

فان قلت : لا فسؤال الكليم عليه السـلام وطلبه الرؤية من مولاه لأى شىء ، مع علمه بعـدم جـوازه ووقوعه .

فان قلت : ان السؤال المذكـور لأجل قومه حيث قالوا : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) فسأل فقال : ليعلموا امتناعهـا كما علم هـو امتناعهـا ؟

فنقول : هؤلاء القوم ان كانوا مؤمنين كفاهم قول موسى عليه السلام ان الرؤية ممتنعة ، ولنهـاهم عن ذلك كمـا نهاهم عن جعـل الآلهـة بقوله : (بل أنتم قوم تجهلون) وان كانوا كفارا لم يصـدقوه فى حكم الله بالامتنـاع ، وانما يكون السؤال عبثا لا فائدة فيه . انتهى ؟

ويقال على أثره : أما رسل الله وأنبياؤه فهم أعرف الخلق بالله تعالى ، وأعلمهم بآياته ، وما يجوز عليه أو يستحيل من صفاته ، ولا نزاع فى هذا بين أحد ، وكيف يجوز القول بغيره فى حق موسى الكليم ، هو رأس العارفين لربه العليم ، عليه أفضل الصلاة والتسليم •

وأما سؤاله لرؤية مع علمه بامتناعها البتة ، وعدم امكانها على الأبد ، فلأمر ما ، وهو أن قوما عنده لم جدهم النهى ولم يكفهم الزجر ، ولم تنجع فيهم الموعظة ولا الانذار ولا اعذار ، ولا كانوا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، فلق الله لهم البحر ، وأغرق فيه بقدرته الخصم ، فقالوا : (يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة) وأسمعهم كلامه بلا واسطة ، فعظم مكرهم ، واشتد كفرهم ، وكافحوا رسولهم بالكفر مواجهة بقولهم : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وقد كانوا لشدة ما بهم من العتو والاستكبار ، يقادون الى الايمان بسلاسل القهر والاجبار ، وتلك سنة الله فيهم ، فقد أبوا من قبول ما فى التوراة من الشرائع والأحكام ، فشق الله عليهم الجبل كأنه ظلة ، وظنوا أنه واقع بهم ، وناداهم منادى الحق (خذوا ما آتيناكم بقوة) •

ولما أيس موسى عليه السلام من قبولهم لقوله ، واستماعهم لنهيه عن طلب الرؤية ، سألها ليسمعهم الجواب عن الله بما يلقمهم الحجر ، ويبنى سد اليأس بينهم وبين ما لا سبيل اليه لأحد من البشر ، ولعظم هذه الجراءة منهم ، وشناعة هذه الطلبة ، وقبح كفرهم بمسألة الرؤية أخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ، كما سلط القتل على عبدة العجل إذ هم جاهلون ، فأى عتب فى السؤال على هذا الحال ،

ولو اقتنعوا بالنهى ، واكتفوا بالزجـر لمـا قالوا : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وهل يكون هذا إلا بعد محاورة وخطاب وزجر وعتاب إذ قالوا : (أرنا الله جهرة) •

فلو فعـل ذلك ابتداء اذ قالوا ، ولم يمتنع منـه لهم إذ سألوه ، لمـا ألجأهم ضرورة العتو ، وشـدة الشكيمة فى الشرك ، والغلو الى أن يقولوا لرسـولهم : لن نؤمن لك جزما حتى نرى الله جهرة ، فأراد أن يسمعهم من كلام الله ما ينفى طمعهم ، وتكون تلك الكلمة مما تقطـع به الأرض ، وتخـر له الجبـال هـدًّى ، عاقبهم اللـه بصاعقة شملتهم هلكى •

وقال لموسى : (انظر الى الجبـل) فلما تجلت عليـه آية منـه جعلته دكا ولكون موسى لم يرد حقيقة ذلك قال : (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هى إلا فتنتك تضـل بها من تشـاء وتهدى من تشـاء) فقـد دلت الآية الشريفة على معان •

أولهـا : أن سؤال الرؤية على الحقيقة لم يرده موسى عليه السلام ، بدليـل قوله : (ما فعل السفهاء منا) •

وثانيها : انما هى فتنة نوع بلاء واختبار يعلم بهـا ايمان أهـل اليقين ، وتزلزل أهـل الشك المرتابين •

وثالثها : أن قومه سفهاء وجهلة •

ورابعها : أنهم هم الواقعون فى الفتنة بها ، وكونهـا محمولة عليهم دونه بدلالة ما سـبق •

وخامسها : الشهادة عليهم بالضلال •

وسادسها : التصريح بمكابرتهم ، وعنادهم ولجاجتهم على شركهم ، وعتوهم على ربهم ، بقولهم للرسول : (لن نؤمن لك) •

وسابعها : غضب الله عليهم ، وارسال الصواعق الواصلة اليهم ليعلموا عاقبة ظلمهم : (وما ربك بظلام للعبيد) ولكن بطش ربك لمن تجرأ به شديد •

فقولك يا هذا : ان كان القوم مؤمنين كفاهم قول موسى عليه السلام ان الرؤية ممتنعة الى آخره ، وان كانوا كفارا لم يصدقوه فى حكم الله بالامتناع ، وانما يكون السؤال عبثا لا فائدة فيه ، فقد قلنا : انهم لم يكونوا فى تلك الحالة مؤمنين ، وأى ايمان يصح لمن يقول لرسوله : (لن نؤمن لك) أفيجوز أن يكون مؤمنا غير مؤمن فى حالة واحدة ، هذا باطل لا يكاد يقبله عاقل ، بل الحق أنهم كانوا من قبلها مؤمنين ، ثم صاروا بتلك الكلمة الشنعاء زايغين عن الحق ، مرتدين عن الاسلام ، كفارا مشركين ، شهد عليهم كتاب الله بذلك شهادة لا مرية فيها عند العارفين •

وليس بدعا هذا فى بنى اسرائيل ، فقد عبدوا العجل وقالوا يا موسى اجعل لنا إلها ، كما قالوا له فى هذه لن نؤمن لك ، وأنهم لم يصدقوه فى قوله بحكم الامتناع من الرؤية لما غلب على عقولهم من الضلالة ، ولشدة حرصه على ايمانهم وقوة طمعه فى انقاذهم من الهلكة ، كما هو دأب المرسلين وعادة الأنبياء ، أراد أن يسمعهم من كلام الله فى ذلك ما يرتفع به نزاعهم ، وتنقطع به أطماعهم ، وأى فائدة أعظم من هذا ، وأى عبث به •،

فان كان الكافر لا يعتنى به ، والمعاند لا يعبأ به ، فلأى شيء أنزلت الكتب ، وأرسلت الرسل ، ولأى معنى نتق الجبل عليهم ، لقول

الشرائع والأحـكام ، ودك الجبـل لهـم ليعلموا استحالة الرؤيـة على ذى الجلال والاكرام ، فهما من باب واحـد ، وأفعـال الله تعالى وآياته كلهـا منزهة عن العبث واللعب ، (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبـين) •

وأما قوله : وما معنى الادراك فى قوله تعالى : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار) فان قلت : معناه هو الرؤية مطلقا ، فلا دلالة فيه على عموم الأوقات والأحوال ، بل قد تمكن فى بعض ولبعض • انتهى •

وعسى أن يقال على أثره ظاهر الآية الشريفة يؤذن بعمـوم النفى ، ويقضى بمنع الادراك الذى هو الرؤية مطلقا ، وتخصيص حكمها بأن يمكن فى بعض ولبعض ، ويمتنع فى بعض ولبعض ، معلوم واضح لكل ذى بال أنه ليس من لفظ الآية ، ولا من معنـاها ، وانما هو شىء زائـد عليها . وأمر خارج عنهـا ، ليس هو منهـا ، ولا مما تـدل عليـه لفظـا ولا معنى ، وما لم يقـم عليـه فى الحـق دليـل فما الى اثبـاته من سـبيل •

فالتمسك بظاهر كتاب الله هو الحـق بلا شك ولا جدال ، والرجوع عنـه الى ما يخالفه ويضـادده باطل وضـلال ، وهـذا قول واضـح لمعارضة جلى المضاد ، بظاهر الآية الشريفة ، كما لا يخفى عليـه من له أدنى رمق من فهم ، فكيف يجـوز القول به أو التعـويل عليه •

وأما قوله : وقد يستدل عليه بالآية على جواز الرؤية ، اذ لو امتنعت لمـا جعل التمدح بنفيهـا ، فالمعدوم لا يمدح بعـدم رؤيته لامتناعهـا ، وانما التمدح فى أن يمكن رؤيته ، ولا ترى للتعزز • انتهى •

ولا أدرى ما أقول من البيان على مثل هذا الهذيان ، الـذى لا يتفوه

به لسـان عاقل ، ولا يكاد يقوله إلا مرسم أحاطت به البـلابل ، فان مما يؤدى الى المضايق بتعكيس الحقائق ، وانى لأنزه قبـل اليـوم عن مثله فقهـاء القوم ، لأنه اذا ثبت الاسـتدلال بنفى الادراك والرؤية ، فانقلب هو الدليـل على ثبوت الادراك والرؤية ، فلابد أن يشمل هـذا كلما وجب سلبه ، وثبت نفيـه عن الله مما لا يجـوز أن يوصف به ، فيكون السلب دليـلا للايجاب فى كل شىء ، فيكون قولك لا إله إلا الله اثباتا للشريك مع الله تعالى ، ويكون قوله تعالى : (لم يلد ولم يولـد ولم يكن له كفوا أحـد) اثباتا للصاحبة والولد ، والوالد والاكفـاء ، والأنداد لـه سبحانه وتعالى عما يقـوله المبطلون علوا كبيرا ، وهـذا أوضح من أن يعتنى برده ، ويحتج على فساده .

وأما قوله : وان قلت معنـاه الرؤية على وجه الاحاطة بالجوانب والحدود ، فدلالة الآية على جواز الرؤية وتحققها أظهر ، لأن المعنى أنه مع كونه مرئيا لا يدرك بالأبصـار لتعاليه عن التناهى والاتصاف بالحدود والجوانب . انتهى ؟

ومن العجب كيف هذا وأنى لهم التناوش من مكان بعيد ، فاذا كانت الرؤية على وجه الاحاطة بالجوانب والحـدود على تقـدير قوله وهى منفية عن الله تعالى ، فكيف تكون هى دليـلا لجـواز الرؤية كما زعم ، ولكن قد ثبت منه الاسـتدلال بالسلب على الايجـاب وما هذه إلا واحدة من ذلك الباب ، وبطلانه أوضح من أن نرجع اليه ثابتة فى الخطـاب ، وكيف لا يأنف من تأثير مثل هـذا من كان من أولى الألبـاب وان هـذا لشىء عجـاب .

وأما قوله : وأيضا الله تعالى موجود أيصح أن يرى . انتهى ؟

فان كبر المقدمتين كاذبة ، ولا خـلاف فقـد صرح بذلك أهـل مذهبه الامام حجة الاسلام الغـزالى وغـيره ، بل ليس المرتاب فى

الجملة إلا نوع من أجناس كثيرة ، وإلا فلينظر بعينيه الى هذه الرياح والأرواح ، والأصوات والهواء المفتوق به بين السماء والأرض الى غير ذلك مما يطول ذكره ، ويفوت حصره ، أليس هي من الموجودات التي لا تمكن رؤيتها .

وبالجملة فالأشياء كلها فى هذا على أربعة أقسام :

أحدها : ما يـرى بفتح اليـاء ولا يـرى بضمها ، وهى نهاية الشرف وغاية الكمال ، لاتصافه بالقدرة على رؤية ما سواه وتعاطيه عن ادراك غيره اياه ، وليس شيئاً كذلك إلا سبحانه وتعالى ، فهو المنفرد بمطلق الكمال ، والمتوحد بصفة العز والجلال ، (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) .

وثانيها : قسم يَرى ويُرى ، بضم الياء وفتحها وهو أشرف ما بعده من الأقسام ، وهو الحيوانات من الملائكة والجنة والناس ، والطير وسائر الدواب من الأنعام والبهائم والسباع ، وأكثر الحشرات .

وثالثها : يُرى ولا يرى بضم الياء الأولى وفتح الثانية كالأجساد الكثيفة ، من الأرض والجبال ، والمعادن والنبات ، وما يشاركها فى ذلك من الجواهر والأعراض مطلقا .

ورابعها : لا يُرى ولا يَرى مما يدرك بالحواس كالشم والمذوق والصوت المدرك بالسمع أو مما لا يدرك بها كالايمان والكفر والعقل والعلم والغضب والحلم وغيرها من الصفات والأخلاق التى كلف الشرع بها ، وأثاب وعاقب عليها ، ولو لم يكن فى الموجود من هذا إلا كتاب الله وحده لكفى به وجودا ، وناهيك به شهودا فاتل عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

قل له : أرنى صورته وأنت العاقل الحليم ، أم تنكر وجوده فتفكر بعد اذ أنت مستقيم ، بل لم يكن الأمثل قولك كل انسان حيوان ، وبعض الحيوان صامت .

وأما قوله : وأيضا فاختلاف أكابر هذه الأمة وأحبارهم وهم الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، وذلك كترجمان القرآن وبنت الصديق رضى الله عنها ، فى أن النبى صلى الله عليه وسلم هل رآى ربه ليلة المعراج أم لا ؟ فبعضهم قال : رآه ، وبعض قال : لم يره ، دليل الامكان . انتهى ؟

ولا بأس أن يقال : قد تنازعت الأمة واختلف العلماء فى نفس هذا الاختلاف بين الصحابة فى مسألة هذه الرؤية ، فأنكر المحققون ، وأنكره الجهابذة ، ولم يثبته السلف الذين هم الحجة وان أثبته الأشاعرة منفردين برؤيته دون سائر الفرق ، فلا حجة لمختلف فيه . ولا برهان لمتنازع فى أصله ، اللهم إلا أن يكون الخلاف لفظيا فلا يعبأ به ، وإلا فكتاب الله شاهد على بطله وكفى .

ومن العجب كيف يكون لنبى أو رسول بلغ عن ربه أنه لا تدركه الأبصار ، ثم يقول : أنا أدركته ببصرى ، ورأيته بعين رأسى ، وهل يفعل هذا إلا مبرسم غلب على عقله ، ومن الواجب تنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن مثله .

وأما قوله : وأيضا فكما أنه سبحانه وتعالى مخالف لمخلوقاته فى جميع صفاته ، فكذلك رؤيتنا له مخالفة لرؤية بعضنا بعض ، ولا نشترط فى رؤياه الجهة والمقابلة وعدم المانع ، كما اشترطه الفلاسفة ذلك ، فذلك أمر عادى ، والقيامة محل خرق العادات . انتهى ؟

ويقال له : ان سلمت أبطال الرؤية المعهودة ، وجمعت الى كونها رؤية أخرى من جنس خرق العوائد ، لأن القيامة محل خرق العادات ، فاعلم أن خرق العوائد غير ممتنع فى الدنيا ولا فى الآخرة ، بل معجزات الرسل ، وكرامات الأولياء كلها خرق عادة وإلا فلا معجزة ، ولا كرامة ، وهذا باطل ، واذا ثبت خرق العوائد فى الدنيا ، وكان هذا من باب خرق العادات ، فأى مانع من كونه فى الدنيا كرامة لموسى عليه السلام ، ومعجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم حتى ترى أمته ربها ، وقد سأله قومه ذلك ، كما سأله قوم موسى من قبل إن كان هو الجائز والممكن على قولكم •

ثم ان كان هذا من باب خرق العوائد فقط ، فهل لا يجوز فى هذه الرؤية أن تكون باليدين أو الرجلين أو بهامة الرأس أو بالأنف أو بالأذنين ، فذلك أظهر فى خرق العادة ، وأدل على عظيم القدرة ، وأى مانع من كونه كذلك ، والله لا يعجزه شىء ، واذا أمكن التعلق بالقدرة فى المستحيلات ، فكل هذا ممكن لكنه مستحيل ، كقول المتعنت هل يقدر الله أن يحدث فى الكون شيئا لم يخلقه هو ولا جواب له إلا أن هذا مستحيل غير مضاد للقدرة ولا معجز لها ، ولكنه محال ، والله منزه عنه سبحانه وتعالى عما يقول المبطلون علوا كبيرا •

فكذلك رؤيته سبحانه وتعالى على غير سبيل النظر ، وادراك البصر مستحيلة متضادة متناقضة لتأديتها الى رؤية غير مرئى من ناظر لم ينظره بعينه ، وانما هى خرق عادة لا تكييف لها ، وانما هى دعوى مدع لم يأت عليها ببرهان واضح ، ولا حجة قيمة ولا دلالة صدق من كتاب ولا سنة ، ولا اجماع أمة •

فيا معشر المدعين ، هل من بينة حق أو برهان مبين ؟ أم هل عندكم من سلطان بهذا عن الله فأتونى به ان كنتم صدقين ؟ أم تقولون

على الله ما لا تعلمون ، فاتقوا الله وارجعوا الى الحق ، واسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ، والله أعلم وبه التوفيق .

*** مسألة :**

ومنه : سأل بعض الطلبة المتعلمين عن ما يوجد فى الأثر أن ذاته تعالى هى اثباته ، فقال على أثر ذلك : تفضل بين لنا فى الذات والاثبات مالا يزيل قناع الجهل عنا ويذهب صدأ الصدور منا مأجورا إن شاء الله ؟

الجواب :

بعد حمد الله ، والثناء عليه بما هو له أهل ، أن معرفة الله بصفاته وأفعاله الخاصة اذا خطرت بالبال من عاقل بالغ مما لا يسع الجهل به ، فهى مما لا يسع جهله على حال ، لأنها مما تقوم به الحجة من العقل بلا جدال ، وقيام الحجة بها خاص بالمعانى المدركة التى تبعث بها رسل الله صلى الله عليهم وسلم والعقل عن الحضرة الإلهية ، لمن هدى بنور الفهم لاتباع الحق ، أتت به الواردات الإلهامية فهى من الله تعالى رسالة باطنية ، تقوم بها الحجة على من يلى بها ، كما تقوم بالرسل الظاهرية ، فلا جواز للعدول عنها . ولا الشك فيها ، ولا الرجوع الى ما يوجب اللبس من الوساوس الشيطانية .

فمن خطر على قلبه مثلا أن له أو لشىء من الموجودات أو لجميع الكائنات المحدثات إلها وربا ، وخالقا أو محدثا ، أو صانعا أو مقدرا أو مدبرا لزمه الاقرار لمولاه بذلك فى الحال ، ولم يوسع له فى الجهل به على اعتقاد السؤال ، لأنه لو نظر فى نفسه مثلا ، فعرف ما به من ضعف وعجز لا ينفك عن ملازمته من حال طفولتيه الى بلوغ أشده أو ما فوقه من سنة دع ما تقلب فيه أطوارا ، من حال كونه نطفة

الى علقة ، الى مضغة ، الى عظام ولحم ودم ، الى أن أنشأه الله بنفخ الروح فيه خلقا فتبارك الله أحسن الخالقين •

علم بالضرورة أنه حادث بعد أن لم يك شيئا مذكورا ، وعلم بالضرورة استحالة كونه خالقا لنفسه ، كما لا يتصور أن تكون النطفة هى التى خلقت نفسها جنينا فى الرحم . فلزم من ذلك أن له خالقا غيره ، خلقه وأحدثه وأنشأه وبرأه وصوره وابتدعه واخترعه •

وكما بطل أن يكون الحادث محدثا لنفسه ، فكذا فى غيره لأن من عجز عن نفسه فهو عن غيره أعجز ، لأنه يلزم منه وجدان محدث أحدثه ، فمحدث محدث لمحدث محدث ، فيتسلسل الى غير نهاية ، وهو باطل . والحق أن المحدثات كلها متساوية فى صفة العجز والفقر ، والضرورة الى محدثها الموصوف بالقدم والأزلية ، لأنه لو كان حادثا لكان له محدث أحدثه كغيره من المحدثات وهو باطل •

واذا ثبت أنه خالق الكل ومحدثهم ومنشئهم ، فلا شك أنهم له عبيد ومملوكون ، ولابد للعبد من سيد هو ربه ومالكه الذى تحق له الطاعة والعبادة ، والخضوع والخشية ، فهو الرب والإله ، والسيد والملك والمالك •

ولا يجوز اطلاق هذه الأوصاف على كثيرين لاقتضائها المنازعة فى الممالك ، وإيذانها بنقص القدرة والاتصاف بالعجز والشركة ، وهو مناقض لصفة الألوهية ، فدل على أنه واحد أحد ، فرد صمد علىّ عظيم ، متعال كبير ، منزه عن كل وصف ناقص ذميم ، موصوف بكل صفة جميلة حميدة عظيمة ، فلا شىء يشابهه فى ذات ولا صفة ، لاستحالة أن تشابه الصنعة صانعها : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) •

واعلم أن وجه الاستدلال على ثبوت الصفات الإلهية ، قد يمكن أن يكون من طرق شتى متباينة مواردها ، متفقة أحكامها ، فان من قام له البرهان الصحيح مثلا بثبوت الألوهية لواجب الوجود سبحانه وتعالى ، اذا تصور فى نفسه ، هل يجوز فى هذا الاله أن يكون متصفا بشىء من النقائص أو الرذائل أو المفاسد ، وجب عليه نفى ذلك عنه فى الحال ، لأن من كانت هذه صفته فليس بإله ، فهذه طريق واضحة فى نفى الصفات القبيحة عنه كلها من الفناء والموت ، والحدوث والعجز ، والفاقة والضعف ، والصاحبة والولد والشريك ، والثانى والثالث ، والعمى والجهل ، والصمم والخرس والبكم ، والغفلة والسهو ، والسنة والنوم ، والجور والظلم ، وهكذا فى سائرها ، وفى هذا اثبات لصفاته تعالى كلها ، لأن نفى الجهل مثلا يثبت له العلم ، وبيقى العجز يثبت له لقدرة وهكذا .

والطريق الثانية : اذا خطر بباله مثلا فى الإله سبحانه وتعالى أنه : هل هو متصف بالصفات الحميدة الكاملة الجميلة ، وجب عليه العلم بأنه كذلك ، لأن من لم يتصف بهذه فلابد أن يتصف بأضدادها من النقائص والقبائح ، تنزه عنها وتقدس ، فلا يمكن اذا خطر بباله أنه عليم وحكيم ، أو سميع أو بصير ، وهكذا لأن يصفه بذلك ، لأن من لم يكن كذلك فهو عاجز جاهل أحمق بليد ذليل ، ومن كان كذلك فليس بإله .

الطريق الثالثة : النظر فى أفعاله الخاصة ، فانه من علم أنه خالق هذه المحدثات الكثيرة كلها من أملاكها وأفلاكها ، وعرشها وفرشها ، وإنسها وجنها أحيا وأمات ، وأعطى ومنع ، ووضع ورفع ، وفعل ما شاء علم أن مثل هذا لايكون إلا عن إرادة ومشيئة عالية ، من ملك عظيم مريد لخلق ما خلق قوى عليه ، قادر قهار له ، قابض عليم له بحاله ، خبير سميع بصير حكيم عدل فى قضائه ، بر بأوليائه ، رازق

لخلقه ، باسط لرزقه ، كريم رحيم ، على عظيم ، وهكذا فى سائرها ، لأنه لو جاز أن لا يكون عليما أو حكيما ، أو قديرا لكان جاهلا غير متقن لصنعه ، ولا قادر لفعله ، وهكذا وقد ثبت بالمشاهدة والبراهين بطله ، وبالنظر فى نفسه كفاية عن النظر فى الأفلاك والأملاك لمن فهم ، لأن الحكم على البعض ، والكل فى هذا سواء •

والطريق الرابعة : النظر فى أفعاله الخاصة على معنى التنزيه له والتقديس عن الصفات الناقصة الذميمة ، فنقول : ان هذه الكائنات كلها ناطقة له بلسان التوحيد ، أن مثل هذا الخلق والصنع المتقن ، لا يصدر عن فاعل ضعيف ، ولا عاجز ولا جاهل ، ولا مغلوب ولا مقهور ، ولا منازع ولا مدافع ، ولا مستعين بغيره ، ولا محتاج الى سواه ، ولا مفتقر الى ما يخلقه ، وهكذا وفى هذا ثبوت لأضدادها من الصفات الكمالية على طريق ما سبق •

الطريق الخامسة : هى التى نبه عليها النبى صلى الله عليه وسلم بقوله : « من عرف نفسه عرف ربه » ولأهل العلم فى بيان معرفة الله تعالى بما دل عليه ، هذا الحديث لصحيح من معرفة العبد نفسه ثلاثة مذاهب :

أحدها ، وهو أوضحها : أن نفس العبد تستفاد منها ، أوصاف العبودية كلها ، ولفظة الرب دالة على صفات الربوبية كلها ، فكل صفات الربوبية على ضد صفات العبودية والعكس ، فمن عرف نفسه بالعبودية والحدوث والفناء ، والعجز والضعف والجهل والخفة والطيش ، وغاية الفقر والضرورة ، والذلة والمسكنة ، وكونه غرضا للحوادث والهموم والأسقام ، ومرور الليالى والأيام ، والاحتياج الى الصاحبة والولد ، والمعين والمشير ، ولزمان والمكان •

وهكذ عرف بها صفات الربوبية أنها على الضد من هـذا ، فأثبت لمولاه تعالى صفة الربوبية والقدم ، والبقاء والحيـاة ، والقدرة والعلم ، والكرم والعزة ، والعظم وهكذا .

وثانيها : أنه اذا نظر فى صفات نفسـه الجميلة التى جعلها اللـه مظاهر لصفاته الكمالية ، علم بها صفات ربه تعالى فى جمـالها وكمالها ، فأنت يا عبد على سبيل المجازحى قدير ، قوى مريد ، متكلم عليم ، حكيم خبير ، سميع بصير ، معط باسط ، مدبر ولى ، كريم رحيم ، وهكذا هذه خلعة ألبسكها مولاك ، لتكون شهادة عليك له اذا أنكرت معرفته بهواك ، فانه بالحقيقة هو الحى القدير المريـد ، المتكلم العليم الحكيم ، القابض الباسط ، الرازق المنعم ، وهكذا فقد صـارت أوصافك الذميمة القاصرة ، مظاهر لصفاته المقدسـة ، كما ترى فهى واضحة ظاهرة .

وثالثها : ما قاله بعض الصـوفية : ان النفس هاهنـا عبـارة عن الروح ، وهى أمر الهى غيبى ، لا يبلغ العبـد الى معرفة ما هى حـق المعرفة ، واذا لم يعـرف ماهية نفسه حـق المعـرفة ، فكيف بمعـرفة الذات الالهية على ما هى عليه ، فذلك ما لا سبيل اليه .

ثم اذا كانت هذه روحك التى بين جنبيك ، وأنت لا تراهـا بعينيك ، ولا تسمعها بأذنيك ، ولا تمسها بيديك ، ولا تذوقها بشفتيك ، ولا تشمها بمنخريك ، ولا يتوهمها قلبـك ، ولا يبلغهـا فهمك ، ولا تعـرف كيفية اتصالها بجسمك ، ولا انفصالها عنه ، ولا موضـع استقرارها فيه ولا أنها فوقه ولا تحتـه ولا وسـطه ، ولا هى أقرب الى شىء منـه عن شىء ، ولا أبعد عن شىء منه الى شىء الى غير ذلك من صفاتها .

فبذله تعلم أن الذات الالهية المقدسة ، منزهة عن وصفها بالجسـم والعرض والشكل والحلول ، والاستعلاء والنزول ، والحـركة والسكون ،

والاتصال والانفصال ، وقرب المسافة بعدها ، وعن مماسة الحواس ، وبلوغ الوهم والقياس ، واحاطة الفكر ، وادراك البصر ونحو هذا ، وكما أن الروح مقومة لجسدها بحلولها فيه فهو حى بها ، عليم مريد الى غير ذلك ، فالله أولى بذلك ، قامت السموات والأرض ومن فيهن ، خلقا واستمدادا لتكوينهن وبقائهن ، وافاضة كل خير عليهن ، فهو القائم بذاته ، والقائم على ما سواه بكل شىء ، بل لا قيام بالحقيقة لغيره ، إذ لا قيام له إلا به ، فهو الواجب الوجود لذاته ، ولا وجود لغيره إلا به ، فما ثم على الحقيقة إلا هو سبحانه وتعالى .

والقول الحق أن هذا الحديث لمن الكلام البليغ ، والقول الفصل ، بل هو من جوامع الكلم التى أوتيها صلى الله عليه وسلم ، فاستأثر بها على من سواه من أهل البلاغة واللسن ، وهو على ما به من فصاحة لفظه ، وحسن بيانه ، وبلاغة معناه ، جامع لمعانى هذه المذاهب كلها ، فتأويله بمجموعها ، وتفسيره بها كلها ، هو الأليق والأصح والأولى والأرجح ليكون دائما على معرفته تعالى ، من كل وجه تارة على الذات ، وأخرى على الصفات ، ألا وربما حسن الاستدلال على بعض الصفات بالمذهب الأول خاصة ، كمعرفة الألوهية والربوبية من ضدها ، ألا وهى العبودية ، فهو أعم من الثانى ، وكلاهما فى الصفات ، والمذهب الثالث فى الذات واذا ثبت الحديث المشار اليه فى عمومه يتناول المذاهب كلها بدلالة مفهومة ، والقول فى تأويله بجميع ذلك هو المذهب الرابع .

واعلم أنه لا يلزم أن يكون العبد المكلف عارفا بجميع صفات الله تعالى وأسمائه من أول وهلة ، ولا فى قدرته أن يخطر شيئا من ذلك على قلبه قبل أن يفتح له باب النظر فيه ، فاذا أراد الله أن يبتليه به ليثبت عليه التكليف به ألقى ذلك على قلبه بالهام أو تفكر أو استدلال ، أو نظر أو عبرة و ما زاد عليه من وجدانه مكتوبا ، أو سماعه متلوا أو مقولا به على طريق الانكار ، أو على وجه الاقرار من حر أو عبد بالغ ، أو صبى عاقل ، أو مجنون مسلم أو مشرف موافق

أو مخالف ، فاذا فهم معنـاه من أى وجـه كان فقد قامت به عليـه لله الحجة البالغه ، وضـاق عليه الجهل به ، والشك فيه ، والانكار له ، ووجب عليه الاقرار به والاسـلام •

وبأى صفة قامت عليه الحجة دون غيرها من الصفات ، كانت وحدها كافية له لثبوت الاسـلام ، وهى اذن فى حقـه من جملة الاسـلام انتى دعى اليها على الخصوص ، فاذا آمن بهـا كان مسلما مؤمنـا برا ، تقيا صالحا عدلا وليـا ، وهو على ذلك ما لم يخطـر على باله شىء غيرهـا من هذا الباب ، من باب ما لا يسع الجهـل به ، فلا يسـعه حينئذ إلا أن يقـر بجميع ما قامت بـه عليه الحجـة من ربـه ، وإلا كان ناقضـا لعهده ، شاكا فى جملته ، محكوما بشركه ان ردها جحدا وشكا ، وبكفره ونفاقه وفسقه ان ردها أوشك فيها بالباطل تأولا •

واعلم أيضا أنه لا تقوم الحجة فى هذا الباب بنفس الألفـاظ على من لم يفهم معنـاها ، والمراد بها ، فالعجمى مثلا اذا لم يدر ما معنى قول العرب : الخالق والرازق ، والرب والإله ، لم تقم عليـه الحجـة العقلية بسماع هذه الألفاظ التى لا فرق بينها وبين سماع صـوت الحجر على الحجر ، فى حق من لم يبلغ الى فهمها ، لأن ذلك مما ليس فى طاقته ، وتكليف ما لا يستطاع محال ، وكذا العربى فى هذه القضية ان سـمع مثل هذا من اللغات الأعجمية ، بل كل لفظ يهتد السامع الى معناه سـواء كان اللفظ عجميا أو عربيا ، وكـذا السامع سواء كان أعجميا أو عربيا ، فكله فى الحكم سواء ، لأن الأصـل الذى قامت به الحجة فيهـا واحـد ، وهو معرفة المعانى وصحة إدراكهـا بالفهم من أى وجـه كان ذلك ، وهذا لا خـلاف بين أهل الفقـه فيه •

فانظر فيما أسلفناه وقس عليـه قول من صرح بأن ذاته تعـالى اثباته ، وما جاء فى موضع آخـر من الأثر أن ذاته قدرته ومشيته ، فهى

فى الأصل من باب الألفاظ والعبارات التى يسع جهلها ، ولا يلـزم تكلف النظر فيها ، فان الموحد تام الايمان ثابت الاسـلام بدونهـا ، ولا يلزمه البحث والتنقير عن مشكل الألفاظ والعبارات ، بعد صحة معرفته ، وكمال ايمانه واقراره ، بأنه تعالى أحد صمد ، ليس كمثله شىء ، وهـو السميع البصير ؛ ألا وان فى قطع النظر عن البحث عن أكثر دقائق عبارات المتكلمين سـلامة للضعفاء ، من اقتحـام اللجج التى غرق فيهـا أكثر العالمين ، وقد دل على ذلك صاحب الشرع صلوات الله عليه فى مسألة القدر ، فقال : « القدر سر الله فى أرضه فلا تتكلفوه » .

واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم قد أشفق من النظر فيـه على أمته ، وما هو بالنسـبة الى علم التوحيد إلا قطـرة من وابله ، وموجـة فى ساحله ، فما ظنـك بمطلق الخوض فى الكلام على الـذات العظيمة ، والصفات الكريمة ، والأفعال الجسيمة ، فان لله تعالى سبعين حجابا من نور ، لو تقدم العبد فيهـا قدر أنملة لاحترق ، وانما ثبـت التكليف ، وحصـل الاذن بما هـو الكافى فى معرفته ، والموصـل الى العلم بـه ، وللسالكين فى وصـولهم الى معرفته تعالى طـرق كثيرة ، وأى طريقة كانت موصلة للعبد الى باب ربه الكريم ، فهى طريق الحـق وسبيله المستقيم ، ومن ضل عنها فى سلوكه قادما الوهم الى مهواة تسمى الهاوية والجحيم ، فقـوم سلكوا اليه فى استدلالهم عليه مسلك الحكمـة الفلسفية ، فاستدلوا عليه بأقيسة عقلية ، ونتائج فكرية ، حتى عرفوه فى زعمهم بالحجة والبرهان .

وقال آخـرون : انه لا تتم معرفته الا لأهل الطريقة الصـوفية ، فاشتغلوا بتصفية القلب عن الشواغل الحسية ، وألزموه التبتل الى الله تعالى ، والانقطاع اليه بالكلية ، وأداموا له حضـور القلب وسره ، مع ملازمة ذكره ، حتى يتحلى القلب بما يتجلى عليه من الواردات الالهية ،

وزعموا أنه لا حاجة الى تقويم البراهين عليـه ، وأنهم قد وصلوا الى معرفته بالشهود والعيـان •

وقوم وقفوا عند الألفاظ القرآنية ، والعبارات الفرقانية ، والأحاديث النبوية ، وقالو : انهـا هى التى جاءت عن الله تعالى بالهدى والبيان •

وفرقة تقول : ان الله تعالى لم يأمر أحدا بالنظر ، ولا بالفكرة فى ذاته ، ولكنه أمر بالنظر فى مخلوقاته ، والعبرة فى مصنوعاته ، فقـال : (أو لم يتفكروا فى خلق السموات والأرض) وقال : (ان فى خلق السموات والأرض واختـلاف الليـل والنهـار لآيات) فهى دلائـل توحيده ، وشواهد تفريده فى كل زمان ، الى غير هذا وكلهـا إما حـق فى نفسها ، أو قابلة للحـق عند من اقتدر على التصرف بها بموجب الهداية ان سبقت له بهـا من الله عنـاية ، وانما يضـل بها من ضـل ، بسـوء فهم ، وغلبة وهم ، أو عمى بصر عن ادراك الحقائق ، أو سـبق عقيدة فاسدة مضلة تعمى القلوب عن اتباع الأدلة إلا من أمده الله تعالى بأنواره ، وأطلعه من علم توحيده على غوامض أسراره ، وجعله من الراسـخين فى العلم ، والناظرين الى الحقـائق بنور الفهم ، فهم أهـل النقل فيما به نزول الشبهات ، وتنجلى الظلمات ، لأنهم لعباد الله هداة ، والى سبيل اللـه دعاة ، وقليل ما هم ولا سيما فى هذا الزمان الذى تراكمت فيـه الظلم وقل فيه من أهل الخير الهمم •

ولم يوجد فيه من الخير شىء يعرف إلا معرفة الله تعالى ، والوقوف على بابه فى كل ما أتى به ، وعنـدى أن ابتغـاء معرفته تعالى من هذه العبارات المحررة ، فى تلك الآثار لمقررة ، بأن ذاته تعالى اثباته أو هى قدرته ومشيئته انه لبعيد عن الحصـول ، وانـه لفى غاية البعـد عن الأصـول ، لأن القدرة والمشيئة صفتان من صفات ذاته ، وكذلك الثبات بفتح المثلثة بمعنى دوامه وبقائه •

وأما الاثبات بزيادة الهمزة فكأنها أبعد لأنها تفيد التعدية فى هذا الموضع ، وهى باطلة لأن المفعول لا يكون إلا لفاعل ، ولا يجوز أن يكون فاعلها هو سبحانه وتعالى ، لاستحالة أن يكون مثبتا لنفسه ، فكيف به من غيره ، فهو الغنى بذاته عن أن يصل اليه النفع منه ، فكيف به ممن سواه ، فلم يبق لها معنى نعرفه ، اللهم إلا أن يقدر حذف مضاف مع ذاته فيقال : اثبات ذاته اثباته ، فالمعنى صحيح ، ويكون اثبات الذات هاهنا بمعنى اعتقادها ثابتة ، وتلك عبارة عن الاقرار بوجودها ، وعدم انكار ثباتها •

ومنه : عبارتهم بالنفى والاثبات ، فى لفظ الهيللة لاثبات الوحدانية والألوهية ، لكن هذا تحصيل حاصل من دون طائل ، والظن به أن الهمزة فيه إما غلط من ناسخه أو خطأ من قائله ، فيرد الى باب العبارة عن الذات ببعض الصفات ، كالقدرة والمشيئة والارادة والعلم وغيرها ، وليس هو بشىء أيضا ، وإلا لجاز أن يكون كل من الصفات إلها على حدة وهذا باطل ، وهذا باطل ، وتحقيق القول فيه يستدعى فتح الكلام فى الذات والصفات ، فلابد من كشف طريق الحق فيه بتمهيد قواعد الاستدلال بما يذهب عن الناظر فيه ان شاء الله تعالى ظلمات اللبس •

والاشكال والأصل الذى ذهب اليه أصحابنا فى هذا أن صفاته تعالى مثلا بالحياة والعلم والقدرة ، والسمع والبصر ، والارادة وغيرها من صفاته تبارك وتعالى ، أنها ليست بشىء زائد فى ذاته لئلا يلزم الحلول فى ذاته ، ولا زائد من ذاته ، لئلا يلزم التبعيض فى ذاته ، ولا زائد على ذاته ، لئلا يلزم افتقاره الى ما يزيد على ذاته ، فهو سبحانه مثلا عالم لا بعلم يعلم به ، وقادر لا بقدرة يقدر بها •

وهكذا فى سائرها ، لأنه لو كان يعلم بعلم ، ويقدر بقدرة ، فلابد إما ن يكون ذلك العلم هو هو فيقتضى أن العلم هو الإله ، وأن الإله هو العلم ، وهذا باطل وإلا لجاز أن يكون العلم بالقوم ،

والقدرة إلهـا لغـيرهم ، والارادة معبودا لآخـرين ، وهكذا وهـذا باطل لا يدعيـه أحـد ، لأنه شرك ظاهر ، وأما أن يـكون العـلم هو غيره فيلزم منـه افتقار الله سبحانه الى غيره ، وهذا باطـل لأن من كان مفتقرا الى غيره فليس بإله ، وأما أن يكون ذلك العـلم لا هـو هو ، ولا هـو غيره ، وهـذا باطل لعـدم الثالث •

واعلم بأن القول بأنه تعالى يعلم بعلم هو غيره ، وأن له ارادة هى غيره ، فلابد له من أحـد أمرين : إما قوله : بأن صفاته تعـالى حادثة ، فيكون الرب سبحانه وتعالى محلا للحوادث وكل محل للحوادث فهو حادث ، وهذا باطل ، واما أن يقال انها قديمة أزلية معه ، لا هى هو ، ولا هى من خلقه ، فيكون له شركاء كثيرة فى وصف القدم والأولية ، وفيه رجوع عن القول بالتوحيد والفردانية ، الى التصريح الاثنين والثالث ، ومازاد وهذا باطل ، ولابد فى كل واحـد من هذه الأشياء الموصـوفة بالقـدم والأولية من أن يكون ربـا أو مربوبا وإلهـا أو مألوها ، وكل هـذا باطل ، والحـق لا إله إلا هو فلا قديم غيره ، ولا أول سـواه •

وكلما جاز القول فيه بأنه غيره فلا يجـوز أبـدا إلا أن يـكون مخلوقا له ، محـدثا مصنوعا كغيره من المخلوقات ، والقول بهـذا فى صفات الله تعالى باطل لمـا تقـرر ، والحـق الـذى لا مرية فيـه ما قاله أصحابنا من تجريد الصفات عن الذات المقدسـة ، مع اتصافها بهـا ، فقالوا : إنه يعلم بذاته ويقـدر بنفسـه ، وكـذا فى يسـمع ويبصر ، ويقدر ويشاء ، ويريـد وغـير هذا ، فهـو عالم بذاتـه ، وقدير بهـا وهكذا ، وهو معنى قولهم فى صفاته انهـا هى عين ذاته ، فليس مرادهم به إلا سكب الصفات عن ذاته الكريمة ، مع اتصافها بها بمعنى أنه ليس ثم من صفة زائدة على ذاته المقدسة أبدا •

فقولهم : انه عالم بذاته مثلا لا معنى له غير اثبـات العلم لذاته

العظيمة ، بمعنى أن ذاته تعالى عظيمة لا فرق بين قولنا : ان ذاته عليمة خبيرة وبين قولنا : هو العليم الخبير •

وكذا قولهم : انه سميع بذاته ، بصير بنفسه ، وقولك ذاته سميعة بصيرة عليمة خبيرة كله سواء ، وكله لا يراد به إلا معنى قولك انه هو السميع البصير ، العليم الخبير ، لأن ذاته سبحانه هى حقيقته الخاصة التى هى هو بلا جدال ، فلا فرق بين قولك ذاته عليمة ، وقولك هو العليم •

لكن قولك عليم بذاته فيه مزيد ايضاح ، وكشف للحقيقة ، ودفع للأغاليط الوهمية من العقيدة الأشعريه فى قولهم : انه تعالى يعلم بعلم ، ويقدر بقدرة ، واثباتهم له صفات قديمة قائمة بذاته العظيمة ، وبطلان هذا واضح بما سبق •

ومن تأمل فيما قاله أصحابنا فى هذا الأصل العظيم ليجد ولا شك أنه هو عين ما جاء به القرآن الكريم ، كما رأيت أن قولهم : انه سميع بذاته ، بصير بها ، هو معنى قوله تعالى : (وهو السميع البصير) فعلى من عدل عن هذا الى اقامة الحجة على قوله ، وايضاح الدليل ، وقد قام البرهان على بطلان قوله ، فما الى ذلك من سبيل •

واعلم أن لأصحابنا فى تعريف صفاته الذاتية سبحانه وتعالى قولين كلاهما يخرج على الصواب ، وقد رأيت تكميل الفائدة بذكرهما فى هذا الجواب :

أحدهما أن يقال فى هذه الصفات : إنها أمور اعتبارية ، يراد بها نفى أضدادها من النقائص المنزه عنها سبحانه ، فوصفه مثلا بالحياة والعلم والقدرة ، والسمع والبصر والكلام ، والكرم والعزة والحلم ، عبارة عن تنزيهه عن الأوصاف الناقصة من الفناء والعجز ، والجهل والصمم ، والعمي والخرس ، والبخل والذلة والطيش •

وهكذا فان ذاته الكريمة غير قابلة للأوصاف الذميمة ، وهذا كاف من تقريب العبارة لمن شاء ، وبضدها تتبين الأشياء •

واعلم أن صفاته تعالى الكمالية هى أخص بهذا الباب ، اذ لا يحسن عندى أن يقال بغيره فى الجواب ، فوصفه بالأزلية والقدم والأولية ، لا يقتضى إلا نفى الحدوث عنه ، فالقديم ما ليس بحادث ، والأول ما لا شىء قبله ، والأزلى مثله ، والحياة والبقاء عبارة عن عدم موته وفنائه وتغيره وزواله ، والأخيرة عبارة عن عدم تناهيه ، ونفى الفناء عنه والا حدية والوحدانية ، عبارة عن سلب الكثرة ، وتنزيهه عن الثانى والثالث ، ويجوز فيهما أن يكون المراد منهما نفى الحدوث أيضا ، لأن الواحد ما لا شىء قبله ، والأحد كذلك •

وثانيهما أى ثانى القولين : وعندنا إتيانهما أن يقال فى صفاته تعالى : انها أمور اعتبارية ، بحسب تجليات أعيان الوجود وتأثرها وانفعالها للذات العلية ، وهى الفاعلة بذاتها ، والمنكشفة لها الحقائق بها ، فما ثم صفة زائدة عليها ، فاذا وصفناه مثلا بالعلم قلنا : إن ذاته المقدسة كافية فى انكشاف حقائق الأشياء لها انكشافا تاما ، فهى حقيقة صفته بالعلم ، فاذا خص ذلك الانكشاف المذكور بالمسموعات والمرئيات ، فقيل : ان ذاته الكريمة فيه فى تجلى كل مسموع أو منظور بها ، تجليا حقيقيا على ما هو عليه ، فهو حقيقة وصفه تعالى بالسمع والبصر ، فاذا تجلت ذاته العظيمة على شىء بما تشاء من ايجاد معدوم ، أو اعدام موجود أو غيرهما من أفعاله الخاصة ، انفعلت لها الأكوان بلا واسطة ، وهى الحالة المعبر عنها بكن فيكون فى قوله : (انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) ، وهى المعبر عنها بالعقل والانفعال بصورة الأمر ، والجواب فى قوله تعالى : (ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين) •

ولما كان مثل هذا لا يكون إلا من مريد قادر قهار ، قابض مدبر ، على عظيم ، خبير عليم ، متقن حكيم ، متصرف خالق بارىء مصور ، فعال لما يريد ، وصف بالارادة والمشيئة ، والقوة والقدرة ، والكبرياء والعظمة ، والقهر والغلبة ، والعلم والحكمة ، وهكذا فكانت أسماء هذه الصفات ومعانيها بمقتضى مدلولاتها ، وهو معنى قولنا بحسب تأثر أعيان الوجود وانفعالها للذات العلية ، فالفاعل واحد ، وذاته كافية فى كل ما يريد ، والأشياء كلها منفعلة لذاته على وفق ارادته ، فهو الفاعل بذاته ، خالق بها ، محدث مخترع ، موجد معدم ، منشىء مبدىء ، معيد بذاته الكريمة ، كما هو عليم بذاته ، سميع بصير بها •

ولا يتصور فى بال عاقل أبدا أن يكون الإله محتاجا الى غيره فى شىء من أفعاله ، مفتقرا إلى وزير ومعين ، ومدبر ومشير ، وهذا باطل ، والحق أنه هو الغنى بذاته ، والفعال لما يريد بها لا بشىء آخر ، فارادته وأمره وفعله غير مقصورة على العلل والطبائع والأفلاك ، والكواكب والعقول ، والنور والظلمة ، والدهور سبحانه وتعالى عن ذلك ، فهو فاعل كل ذلك وخالقه ، ومحدثه ومخترعه ، ومكونه قبل الأكوان والعلل والأزمان ، وكان فى أزله قادرا قويا بذاته على خلق كل ذلك واتقانه واخراجه من غيب العدم الكلى ، الى ظهور الوجود الشهودى كما شاء وأراده من غير استعانة بشىء ، ولا احتياج الى شىء ، كان الله ولا شىء معه ، وهو الآن على ما كان عليه •

وهكذا القول فى سائر صفاته وأفعاله ، فان أسماء الصفات والأفعال ، انما كانت متعددة كثيرة ، لكثرة معلوماتها ، وتعدد مدلولاتها ، تقريبا لأفهام العباد ليتوصلوا الى معرفته التى هى سبب فلاحهم ، وكيمياء سعادتهم ، والأصل فى صفاته تعالى أنها شىء واحد فى الحقيقة ، باعتبار تجلى ذاته المقدسة على كل شىء ، لكنها باعتبار الأمور الخارجية من عدد التجليات ، وتنوع المتجليات للذات الكريمة ،

تكون أنواعــا عديدة بحسب ذلك ، فلو سمى العلم مثلا قدرة أو قهرا أو كبرياء أو عــزة لمــا صح ذلك معنى ولا لغــة ، وكذا لو ســمى السمع بصرا ، أو البصر سمعا أو أحدهمــا قدرة ، أو القدرة كلاما أو الكلام مشيئة ، أو المشيئة قهرا وهكذا •

وقد راعى الله هذا الاعتبار الخارجى فى خطابه كما قال الله تعالى فى كتــابه : (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجهــا • وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما) وهو سميع الدعــاء ، والله سميع عليم ، فلا يجــوز فى اطلاق اللغة إلا مراعاة هذه النسب الخارجية ، فلا يقال : ان الله تعالى يبصر الأقوال ، ويرى الأصوات ، وينظر الدعــاء ، كمــا لا يقال : انه يسمع الجبل أو لحجــر أو الشجر أو المدر أو غــيره من كل ساكن فى حال سكونه ، وعــدم تحركه واضطرابه ، ولو قيــل هذا لكان خطأ واضحا ، وغلطا فاضحا لمخالفته أوضــاع اللغة ، واتســاع العــرب فيهــا •

ومثال ذلك : أن الأكل والشرب كليهما عبارة عن اســاغة شيء فى الحلقوم من الفم الى البطن ، فهما معنى واحــد فى الأصــل ، لكن واضع اللغة حض تسمية الاســاغة من المائعــات بالشرب ، والجامدات بالأكل ، فلو قيــل : أكلت ماء ، أو شربت طعاما لكان خطأ ولهذا احتاجوا الى التأويل فيما أفهم العكس فى قول الشاعر :

❋ فعلفتهــا تبنـــا ومــاء بـــاردا ❋

ان انتصاب الماء بفعل مقدر أى وسقيتها ماء باردا ، لأن المــاء لا يعلف ، وانمــا يسقى ، وهذا معنى فى اللغة لا يخفى على من عرفها ، وليس هو مما نحــن بصدده من الكلام على الحقــائق على الأزلية فى بيــان الوحدانية بالاكتفاء بالذات القدسية ، فى جميع صفاتها الحقانية كما تقــرر ، فنقول : انه تعــالى يسمع بما به يبصر ، ويبصر بما به

يعلم ، ويقـدر بما به يعلم ، ويعلم بما به يقـدر ، ويقـدر بما به يخلق ، ويخلق بما به يعطى ، ويعطى بما به يمنع ، ويحيى بما به يميت ، ويميت بما به يحيى وهكذا ، وهـذا ظاهر بما سـبق ، والذى يقـع فى حدسى فيما ذكرناه من هذا كفاية عن المزيد ، لمـن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد •

فانظر فى هذا وما سألت عنه من تلك العبارة ، والى الله أعتـذر من قصـور فهى عن ردها الى أصـول الحق فى تصريح أو اشـارة ، وهو يعلم منى أننى لا أريـد بما ذكرته فى هذا محبـة للخلاف ، فليس من مذهبى الطعن ولا الازدراء بالأسلاف ، ولكنى رأيته مزلة للأقـدام ، ومدحضة للأحـلام ، ومجلبة للأوهام ، فربما اعتقده كذلك الناسكون ، أو تاه فى أودية الفكرة به السالكون ، أو وقف بين قبـوله ورده لعجز عن فهمه الضعفاء المتمسكون •

ألا وان نشر العلم فى موضع الحاجة اليه لمن الواجبـات ، على من قدر عليه ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « من أتاه اللـه علمـا فكتمه عن الناس فى موضع حاجتهم اليه ألجمه الله بلجـام من نار » فهذا يجب ابتداء فكيف به اذا سأل عنه من لا يجـوز أن يبخل بالحكمة عليه ، فيعد ذلك ظلما فى حق من قصد اليه بشهادة الحـديث الصحيح : « لا تضعوا الحكمة فى غير موضعها فتظلموها ، ولا تمنعوها عن أهلها فتظلموهم » والله أسأله الحمـاية والتوفيق الى الهداية •

✻ مسـألة :

ومن بعض الكتب المغربية : واعلم بأن القـوم عارضونا بخمس هيئات :

أولها قالوا : ان زعمتم أن الذات واحدة ذات البارى سبحانه ، وأن صفاته هى هو لا غيره ، فقولوا : علم الله هو الله ، وقدرة الله هو الله فى أمثالهـا •

الثانية : ان أجزتم هذه فقولوا : الله هو العلم ، والله هو القدرة فى أمثالهـا •

والثالثة : فقولوا : ان العلم هو القدرة ، والقدرة هى العلم وغيرها •

والرابعة : أن معنى علم هو معنى قدر ، ومعنى قدر هو معنى علم ، أو غيرها فى أمثالها •

والخامسة : أن هذه الصفات التى ذكرتم ووصفتم الله بهـا ، لا تخلوا من أن تكون معنى أو غير معنى ، فان كان معنى فهو ما قلنـا ، وان كان غير معنى فقد وصفتم الله تعالى بلا معنى •

الرد وبالله التوفيق :

أما الأولى : أما قولهـم فى علم الله أنه الله أو غيره ، فان بعض أصحابنا يطلقون على صفة الله تعالى أن نقول هى هو ، فنقول علم الله هو الله لا غيره ، وقدرة الله هى الله ، والأحسن عندى أن نقول ليس هناك غير الله •

وأما الثانية : أن نقول : الله هو العلم ، ونقول : الله هو القدرة ، اعلم أن اللغة منعت عن اطلاق ذلك ، ولولا ذلك ما كان فيه بأس ، وقد جاء فى اللغة اطلاقه ، وفى بعض الأسماء كقولك الله والرب ، والله البر ، والله العدل ، والله الوتر ، والله هو الحق المبين •

وأما الثالثة : أن العلم هو القدرة ، والقدرة هى العلم ، فهـذا

ممنوع من جهـة التخاطب واللغـة ، ولو أطلقه انسـان لما جـاز ، وخطؤه فى اللغة هو أحسن حالا ممن أخطأ فى ذات البارى سبحانه .

وأما الرابعة : فانا نمتنع من أن نجعل صفة البارى معاينا لما يتوهم علينا من الغيرة به ، وقد أطلقت الأمة الصفات العليا ، والأسماء الحسنى ؟

فان قالوا : تقولون يعلم نفسه أو لا يعلمها ؟

قلنا : يعلمها ولا نقول لا يعلمها .

فان قالوا : يقدر على نفسه أو لا يقدر عليها ؟

قلنا : لا يجـوز يقدر على نفسـه ، ولا لا يقدر عليها .

فان قالوا : يريد نفسه أو لا يريدها ؟

قلنا : الجواب فيها كالجـواب فى التى قبلهـا انتهى ما أردناه .

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول فى هذا تفضـل ببيانه مأجـورا ؟

قال : قد نظرت فيه وما حضرنى من قول فلا أخفيه ان شاء الله تعالى ، أما قوله فى الرد ، فان بعض أصحابنا يطلقون على صفة اللـه تعالى أن نقـول هى هـو فنقول : علم الله هو الله فأقول نعم ، قـد توجـد هذه العبـارة فى قولهـم ، ولكن على ما بهـا من الاطـلاق لا تصح إلا بالتأويل فى حق الملك الخـلاق ، فان فى قولهـم المنع من اطلاق كون الرب سبحانه وتعـالى علما أو حكما أو حلما أو قدرة ، أو قهرا أو رحمة ، أو لطفـا أو رأفـة ، أو حيـاة أو سمعا أو بصرا أو ملكا أو كرما فى أمثالها .

فلو قال قائل : لا إله إلا الكرم أو الحلم أو القدرة ، لكان بذلك مشركا ، ولا نعلم أن أحدا من أصحابنا أجازه ، ولا ادعى بالتصريح غير هذا القائل جوازه ، وقد ذكر فى صحيح الأثر أنه لو جاز هذا لكان الداعى اذا قال لله : يا علم يا رحمة يا حلم يكون مصيبا ، وليس بذلك فانه بخطأ فاضح ، وغلط واضح ، وقولهم فى الصفات انما هى ليست من هذا الباب أصلا ، فان لها تأويلا ترد به الى ما هو فى الحق أقوم قبل ، أو أوضح فى الهداية دليلا ، وستأتى ان شاء الله فى موضعها .

وأما قوله : والأحسن عندى أن يقال : ليس هناك غير الله ، فهو القول الحسن المطابق لقوانين الحق الصحيحة ، بل لا يجوز فى الحق غيره فدع ما سواه ، وارجع اليه تظفر من الحق بهداه .

وأما قوله : أيضا وأما الثانية أن نقول : الله هو العلم ، أو نقول : الله هو القدرة ، اعلم أن اللغة منعت من اطلاق ذلك ، ولولا ذلك لما كان فيه بأس ، فهذه غفلة من قائلها ، ومقالة يشهد العقل والنقل بباطلها ، فلا يقال : ان الله هو السمع والبصر ولا القدرة لما أسلفناه ، فاذا ثبت أن الله هو العلم ثبت أن العلم هو الله ، واذا ثبت أن العلم هو الله ، ثبت أن الله هو العلم لاتحاد المعنى ، وكله ممنوع بما سبق فى الأثر ، وقد صرح الأثر الصحيح بمنع وجوده ، والعقل من أكبر شهوده ، فقصر منعه من حيث اللغة فقط قصور ظاهر ، ثم اطلاق مقالته بأنه لولا ذلك لما كان فيه بأس يقتضى اطلاق الجواز فى المعنى ، وليس كذلك ، فانه لو صح معناه لجاز اطلاقه لغة ، ولا مانع قطعا ، ولكنه غير صحيح فى المعنى ، ولا ثابت فى الأصل ، ولا مستقيم فى الاعتبار ، ولا موافق للأصول ، ولا مستقر فى العقول ، فمن أين يصح فى اللغة فلا تنطق به لسان ، ولا يعرفه جنان ، ولا يقوم له برهان ، لأنه ليس بشىء قطعا .

ومن أعجب العجاب ، ما احتج به فى هذا الجواب ، لإزالة ما به

من الارتياب بقوله : وقد جـاء فى اللغة اطـلاقه ، وفى بعض الأسماء كقولك : الله الرب ، والله البر ، والله العدل ، والله الوتر ، والله الحـق المبين ، وليس هـذا من ذاك جزما فان هـذا الموضـع هـو محل ما يجتمع على جوازه ، لأنه المصرح به فى الكتاب والسنة كقوله تعالى : (قل هو الله أحـد) ، (الله لا إله إلا هـو الحى القيـوم) وغيرهما فى محل الخبر •

وكذلك فى موضع الوصف بما جاز من الصفات المتصف بها كما فى (بسم الله الرحمن الرحيم • الحمد لله رب العالمين • الرحمن الرحيم • ملك يوم الدين) وغيرها ، والفرق بين هذا وذاك ظاهر ، وهو أن نفس أسـماء الصفات أكثر فى الأصـل بصيغة المصـادر ، كالعلم والقـدرة والحياة ، فانها من حيث اللغة مصـادر من علم ، وقدر وحى ، ومنهـا اشتقت الأسماء والصفات ، كالعليم والعلام والعالم ، والقدير والقادر والمقتـدر ، والحى وهكذا فى سـائرها ما تصف بهـا فوصفها تعالى والإخبار عنه بهذه الأسماء والصفات المشتقة من أسماء صفاته وأفعاله ، هو الذى جاء النص به ولا يجـوز القول بمنعه أصـلا •

وأما الإخبار عنه بنفس أسماء الصفات أو وصفه بها فهو الـذى لم يأت به نص ، ولم يجر له فى الكتاب ولا فى السـنة ذكر ، وظاهر قول الفقهاء منعه ، فلا يقال : الله علم ولا قدرة ، كما يقـال : الله عليم وقدير ، ومنع هذا إلا من حيث اللغة كما قرره المصنف ، بل يجوز أن تنعكس هذه المقالة فيقال : ان اللغة باعتبار المجـاز يقتضى الاجـازة له ، لأن النعت بالمصادر على ارادة المبالغة شائع كثير ، وكـذلك فى الاخبار فيجـوز أن يقال : زيد كرم أو عفو أو سماح مبالغة فى وصفه بـذلك •

وعلى قياده فيجوز لو قيل الله سمع وبصر ، ويجـوز أن يكون على تقدير حذف المضاف أيضا من حيث اللغـة ، فيكون بمعنى هـو

ذو علم وقدرة ، وهذا كله معروف فى اللغة واضح ، لكن لو فتح هـذا الباب وقيل بالجواز فيه لاقتحم منه الى أودية اللبس ، واشتبهت معالم التوحيد فيه بمهاوى الشرك والضد لأنه يؤدى الى جواز القول بأن الله خلق أو رزق أو عذاب أو ثواب على حد قوله شعرا :

انما بدد رزايا وعطايا و
منايا وطعان وضراب

وايراد مثل هذا على سبيل المبالغة جائز لغة ، لكن صفات الرب سبحانه وتعالى تعجز عن وصف حقيقتها الأفهام ، وتتقاصر عن ادراك شأوها الأوهام ، قد عوى المبالغة فيها بما يخالف الحقيقة نقص لكمالها ، وتدنيس لجمالها ، فدع ما لا سبيل اليه ، فلا تقول عليه ، وانظر الى قوله : ان اللغة منعت من اطلاق ذلك ، ليعلم أنه قد ارتبك فى هذه الدقائق ، فجاء بعكس الحقائق ، غفلة منه وسهوا ، جزاه الله خيرا •

قوله : وأما الثالثة أن العلم هو القدرة ، والقدرة هى العلم ، وهذا ممنوع من جهة التخاطب واللغة ، ولو أطلقه انسان لما جاوز خطؤه اللغة ، وهو أحسن حالا ممن أخطأه فى ذات البارى سبحانه • انتهى •

وليس قوله هذا بشىء هـذا أنه فى هـذا الباب اعتذر عن الجواب ، لكان أهدى الى الصواب ، فان منع القول بتسمية العلم قدرة ، أو القدرة علما ، ليس هو من جهة اللغة فقط ، ولا من باب التخاطب وحده ، لكن حقيقة العلم غير حقيقة القدرة ، وصفاته تعالى وان كانت اعتبارية فحقائقها غير متحدة بطريق الاعتبار جزما ، وإلا لكانت الولاية منه سبحانه وتعالى عداوة ، والرضا سخطا ، والمقت محبة والنقمة نعمة وهكذا •

وهذا كله من تعكيس الحقائق فلا قائل به ، ولو جاز فى المعنى أن يكون كذلك لجاز فى اللغة اطلاقه ، وأى مانع منه ، فاذا جاز أن يتولى الله المشركين ويرضاهم ، ويقربهم ويثيبهم ، ويبلغهم الفراديس العلى ، فأى مانع فى اللغة أن يقال : ان الله قد تولاهم وأحبهم ، ورضيهم وأثابهم ، ولكن قد أبى الله ذلك ، فلم يكن المانع من اطلاق اللغة ، وان ما امتنع لأن الصفة الالهية المسماة بالمحبة والولاية والرضا هى غير الصفة المسماة بالعداوة والمقت والسخط والانتقام ، ولو جاز أن يكون العلم هو القدرة لجاز أن تكون العداوة على الولاية والرضا هو السخط ، والغضب هو الحلم ، والحلم هو الغضب ، وبهذه القاعدة يظهر فساد قوله ، ولو أطلقه انسان لما جاوز خطأه اللغة •

ومن العجب قوله أيضا : وهو أحسن حالا ممن أخطأ فى ذات البارى سبحانه •. انتهى •

وكل منهما يشتمل على عدة أنواع وأقسام متباينة ، فى الأحكام فاطلاق القول بأن أحدهما أشد من الآخر مجازفة ظاهرة ، لكن الاعتناء بتحقيق وجوه الباطل عناء محض لا فائدة فيه •

قوله : وأما الرابعة ، فالقول فيه كالقول فى الثالث ، هو ممنوع من جهة اللغة والتعارف بين الناس • انتهى •

قلت له : وهو الجواب منه عن قولهم : ان معنى علم هو معنى قدر ، ومعى قدر هو معنى علم أو غيرها فى أمثالها • انتهى ، وفيما سبق من القول على هذا الباب كفاية عن الاعادة •

قوله : وأما الخامسة : فانا نمتنع من أن نجعل صفة البارى

معانى لما يتوهم علينا من الغيرية ، وقد أطلقت الأمة الصفات العليا والأسماء الحسنى • انتهى ، وهو جواب لقول المعارض ، بل هذه الصفات لا تخلوا من أن تكون معنى أو غير معنى ، فان كانت معنى فهو ما قلناه غير مسلم ، وبيانه أن مذهبه يقتضى انها معان زائدة يعنى أن الصفات معان هى غير الذات ، بل هى معانى قديمة حالة بالذات قائمة بها ، وهذا هو الأصل العظيم الذى ارتبكت فيه الأفهام ، وغلبت على أكثر الخلائق فيه الأوهام ، وما عليك أن تقول : ان المعانى على قسمين :

أحدهما : ما ذكره وهو الممنوع عند المحققين •

وثانيهما : أن يقال : انها معان اعتبارية سلبية ، أى يراد بها دفع أضدادها من صفات النقص عنه سبحانه وتعالى ، فان ذاته سبحانه غنية عن المعانى الزائدة عليها ، وإلا كانت ناقصة محتاجة لما يكملها وهو باطل ، فدل هذا على أن صفاته سبحانه وتعالى انما هى معان اعتبارية كما قدمناه ليست بزائدة على ذاته بشىء كما أسلفناه ، ولا نقول ان الله يوصف بلا معنى ، كما لا يقال انه يوصف بلا صفة ، ولا نجد من ينكر صفاته تعالى ، وانما اختلفوا فى التعبير عن الصفات كما رأيت •

فاذا قلنا مثلا : ان العلم صفة من صفاته تعالى ، وهو معنى من معانى الصفات ، يراد به نفى صفة الجهل عنه كان كافيا ، وهو معنى قولهم صفته سلبية فى المعنى ؛ أى نفينا صفة الجهل عنه ، فثبت العلم بالضرورة لأنهما ضدان ينتفى أحدهما باثبات الآخر ، وليس العلم صفة زائدة على ذاته ، وانما يراد بوصفه بالعلم الاخبار عن ذاته العلية أنها ليست بجاهلة بحقائق الأشياء كلها •

وكذلك القول فى السمع والبصر والقدرة وغيرها ، فقول المعارض : إذن فان زعمتم أن الذات واحـدة ذات البارى سبحانه وتعالى . وأن صفاته هى لا غيره فقولوا : علم الله هو الله ، وقدرة الله هى الله ، فى أمثالها وهذا لا يلزم أصحابنا ، فانهم يفسرون قولهم فى صفاته تعالى أنهـا هى لا غيره ، بأنه عبـارة عن نفى الصفات الزائدة على الذات ، بمعنى أن نفس ذاته تعالى كافية فى اتصافها بجميع صفاتها ، فليس ثم غيرها ولا هناك شىء يحل بها فتكون محتاجة اليه فى كمالاتها .

وهذا هو غاية التوحيد ، ونهاية التجريد وليس هناك صفة قائمـة بـه ، ولا حالة فيه فيقال : هى غيره ، ولو قلنا : ان اللـه هـو العلم والقـدرة لخرج عن قولهم ، وثبت به قول آخـر يقتضى اثبات مذهب باطل يؤذن بأن صفة العلم والقدرة بشىء آخـر غير الذات العليـة ، وهو أشـبه بمذهب المخالفين فى اثبات الصفات القديمة الحالة بالذات المقدسـة ، ويزيد عليـه باثباتها أنهـا هى الرب ، فاللزوم باطل واللازم مثـله .

وليس مراد أصحابنا من تلك العبادة إلا ما قلنـاه ، وسأضرب لك مثـلا من الحسيات ، تعرف بـه تعلق الصفات اللازمة ، ومحلهـا من الأشـياء فأقول مثلا : انظـر الى ظـل قامتك فى شمس أو قمـر أو سراج ، تجـده ذا طول وعرض لازما ولابد ، فالطـول والعـرض متلاصقان لزوميتان لا ينفكان عنـه إلا بزواله ، فانظـر فى اتصـافه بهما ، هل هما شىء غير ذاته ؟ أم هما صفة زائدة على ذاته ؟ أم همـا معنى غير معنى وجوده فى ذاته ؟

فان دعوى الغير به تستلزم المغـايرة بينهما ، فيقتضى التعـدد والتحيز ، وليس ثم شىء غير ذات الظل قيـل هو جـار فى مجـاز

القول بأنه شيء موجود من صفته الطول والعرض — بحيث لا يكون وجوده إلا بهما ، وليس هما صفة زائدة على وجوده البتة ، لأنه اذا خلا منهما فهو عدم محض ، ومع هذا فلا يقال انه هو العرض ولا الطول ، ويضرب الله الأمثال للناس ولا بأس .

فقول أصحابنا فى الصفات : بأنها هى هو على هذا الحد ، فلا يقال انه علم ولا قدرة ، كما لا يقال فى الظل انه طول ولا عرض ، وكما لا يقال فى الظل ان الطول والعرض هما شيء آخر زائد عن ذاته ، فكذا لا يقال فى العلم والقدرة انهما شيء آخر غير الذات القديمة ، ولكنهما من الصفات اللازمة للذات ، كما أن الطول والعرض صفتان لذات الظل ، وهكذا فى سائرها .

وبالتحقيق فى معرفة هذا الأصل تندفع جميع هذه الشبه التى اعترض بها المخالفون ، ولفقها المبطلون ، تعالى الله وتنزه عن ذلك ، والحمد لله على ما من به من الهدى حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه .

*** مسألة :**

ومن جوابه رحمه الله : الجواب فى القاموس : أن الدهر من أسماء الله تعالى ، وهذا نص لفظة الدهر قد تعد من أسماء الله الحسنى ، والزمن الطويل ، والأمد الممدود ، وألف سنة .

وفى الشرح المضاف الى الشيخ محمد وصاف فى دعائم الاسلام : وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله » ذكره ابن وصاف أيضا ، فهل يصح أن يكون الدهر من أسمائه تعالى الحسنى عندك أم لا ؟ وان صح فهل يسع جهل أنه من أسمائه بعد قيام الحجة فيه بسماعه ، وكذلك

سائر أسمائه الحسنى وصفاته العليا أهى مما يسع جهله أم فيها عموم وخصوص ؟

الجــواب :

ومثل هذا قد حكاه الأكابر الأسلاف بها تعلقا بظاهر الحديث ، ونحن لا نقول بهذا لقصور علمنا ، وفتور فهمنا ، والذى نراه أقرب الى الحق قول من يتأول الحديث : « لا تسبوا الدهر ، فان الدهر هو الله » أى هو فعل الله وقضاؤه وقدره ، وله الخلق والأمر .

فمن نظر الى الزمان من حيث القضاء والأوامر الإلهية ، والأفعال الربانية ، فى دفع طاغ واعزاز باغ ، وإذلال مؤمن ، والإساءة الى محسن ، فقد طعن فى الحكمة الإلهية ، وجهل الارادة الربانية ، فنهى الشارع عن ذلك مخافة الوقوع فى المهالك ، ولا يجوز قطعا أن يعتقد فى الدهر الذى هو الزمان أنه الله ، لأن الدهر خلقه ، والزمان ملكه ، وتقدير حذف المضاف شائع لا غبار عليه ، فالدهر خلق الله وأمره وصنعته وقضاؤه وقدره ، أو ما يجرى مجرى ذلك ، وانما حذف المضاف ليتناول كل محتمل أن يقدر فلا لبس ، وقد تكفل الله سبحانه بايضاح ذلك فى كتابه العزيز ، فى رده على الدهرية القائلين : (وما يهلكنا إلا الدهر) ، ولو كان الدهر هو الله سبحانه لكان قولهم ذلك صوابا ، فلا يحتاج طلبه من الله سبحانه وتعالى .

ومتى صح أن الحديث متأول فعده فى الأسماء الحسنى ليس بصحيح إلا على المذهب الأول المبنى على ظاهر اللفظ من الحديث ، لأنه لم يثبت بغيره فيما تناهى الينا ، ونحن لا نراه ولا نقول به لما بنا من ضعف وجهل وقصور ، وأسماء الله كلها مما يسع

جهله ما لم تقم به الحجة من السماع الذى لا يجـوز الشك فيــه ؛ بخـــلاف المسمى الواجب الوجود سبحانه وتعالى •

وكذلك صفاته الجليلة فهى مما لا يسع جهله ، متى خطرت ببال كل ذى عقل من البالغين ؛ فلا ينفس بعد ذلك فى معرفتها والعلم بها ، وبالله تعالى بأى لفظ اهتدى اليه •

فالعجمى مثلا ان عرف الله تعالى بلغته كان مؤمنا ، ولو سمع لفظ الخالق الرازق والسميع والبصير وغيرها ، ولم يعـرف المراد به فانه يكون مؤمنا عارفا بالله تعالى ، لأنه غير مخاطب فى أصل الايمان بمعرفة الأســماء الحسنى •

وانما يكون مؤمنا بنفس معرفة الله تعالى ، والشهادة له بأى لغة كانت ، وبأى وجه بلغ الى معرفته ذلك ، فقد حصل له الغرض ، وتم له التعبــد •

والعربى عكس العجمى فيما يكون من الأســماء العجمية فى الكتب المنزلة من التوراة والانجيل والزبور ، وتسبيحات الملائكة الكرام على اختلاف أنوع اللغات ، ولكثرتها وتعدد صنوفها الى غاية لا يحيط بعلمها إلا الذى أحصى كل شيء عددا ، وأحاط بكل شيء علما سبحانه وتعالى •

ولا ندرى بما استأثر الله به لنفســه فلم يظهره لخلقه أو أظهره فى أوان ، وأخفــاه فى زمان ، كما ثبت فى الحديث : « اللهم انى أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته فى شيء من كتبك أو أعلمت به أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك » ففيه ما يستدل به على عدم الحصر وعدم التنــاهى فى معرفة الأسماء الحسنى ، وهو كذلك بغير شــك لاجتماع دلالتى العقــل والنقل على ذلك ، ولا يرد

هذا الحديث : « أن لله تعالى تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة » فليس فيه دليل على الحصر ، وانما هو مشوق لبيان فضل ما نص عليه الحديث منها لا غير ، فهى أم الكتاب ، وعليها المدار فى هذا الباب ، فهذه عجالة حضرت الفقر فى هذا البحر الطويل ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل •

*** مسألة :**

ومنه : وما قولك فى أسماء الله الحسنى كم هى على رأيك ؟ تفضل ارسم لنا إياهن متناسقة أولا فأولا كما أشرت اليه فى كتابك النواميس ، أنه لابد لمن أراد أن يجعلها ذكرا أن يقدم أولا الأسماء الكماليات ، ثم يثنى بالجلاليات ، ثم يثلث بالجماليات ثم يربع بالأفعاليات ، ونحن لا معرفة لنا فى تمييز كل من هذا ، تفضل شيخنا رتب لنا إياهن ، واجعل بين كل قسم فاصلة من الأربعة ، وقلت قبل هذا انه يبدأ أولا باسم الذات ، ثم بصفات الذات ، ثم بصفات الأفعال ، تفضل بين لنا كلا الفريقين وان كان شىء من الضوابط يدلنا الى معرفة كل ذلك ، تفضل بين لنا إياه ، ولك الأجر ان شاء الله تعالى ؟

الجواب :

الله أعلم ، وأنا لا أدرى كم لها من العدد ، فانى لا أحيط بها علما ، ولا أحصيها عددا ، ولا شك أنى فى محل العجز ، وحضيض الضعف عن الخوض فى هذا البحر العظيم البعيدة أطرافه ، المفرقة سواحله ، قد اعترف الرسل بالعجز عن ادراكه والأنبياء بالقصور عن الاحاطة به ، فضلا عمن سواهم من العلماء والأولياء والأتقياء ، لعله والنقباء ، فكيف بأمثالنا على خسة حالنا •

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه : « اللهـم انى أسألك بكل اسـم هو لك سميت به نفسـك ، أو أنزلته فى شىء من كتبك أو اعلمت به أحـدا من خلقك ، أو استأثرت بـه فى علم الغيب عنـدك » فانظر الى هذه الجمل الجوامع فى هذا الدعاء الرابـع ، فانها من الحـق المبين ، وعندها لا عنـد جهينة الخبر اليقين ، وهى تنادى فى كل نادى بأن الأسماء الحسنى ، وكل أسماء الله حتى انهـا مشحونة بهـا جميع الكتب السالفة ، من التوراة والانجيل والزبـور والصحف المنزلة على آدم وموسى وابراهيم الذى وفى ، وانهـا مثبوتة بلسان كل واحـد من الملائكة والجنة والناس ، على اختلاف الألسن واللغى بين هذه الأجناس اختلافا لا يكاد يحيط علما بأقـل أنواعه إلا من أحصى كل شىء عددا ، هذا فكيف بمـا استأثر به منهـا المولى ، فلم تطـلع الخلائق عليـه أصلا وهو بغيبه أولى •

فأسماء الله تعالى هى كلماته التامات ، وأفلاكه النورانية المحيطة بالكليات (ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام والبحـر يمده من بعده سبعة أبحـر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم) ولعـل السائل سمع ما جـاء فى الحديث المشهور : « أن لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنـة » فتوهم حصر الأسماء ، فى هذا العـدد المذكور ، وليس بـذلك فليس فيـه ما يـدل على الحصر أصـلا لا بتصريـح ولا باشارة ، بل غاية ما فيه بيـان الفضل فقط ، لتلك الأسماء المذكورة كما هى فى الحديث المشهور مسطورة •

وعسى أن فى اجتماعها كـذلك ما يستوجب من الفضـل ذلك فان قائله هو الصـادق الأمين ، وما ينطق عن الهـوى ، ان هو إلا وحى يوحى •

ولكن لابد فى مثله من التأويل لسلامة العقائد من شـبه الأباطيل ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل •

وأما معرفة الأسماء الحسنى بحسب أقسامها الى اسم الذات وصفات الذات ، وصفات الأفعال ، فاسم الذات العلية العظيمة ، فى اللغة العربية الكريمة ، هو الاسم العلم الفرد ، الذى لا سمى له فى الكون سواه ، ولا يجوز فى الاجماع تسميته به لمن عداه ، ألا وهو اسم الله جل جلاله .

وأما الأسماء التى هى من صفاته الذاتية ، فهى فى قول أصحابنا إنها صفاته الثابتة له فى الأزل ، وهى التى هو عليها لم يزل ، كالأحد الحى القيوم ، القادر المبين ، العلى العظيم ، السميع البصير . العليم الخبير ، الرحمن الرحيم .

بالجملة فكلما جاز أن يقال : لم يزل الله كذا فهو من هذا الباب ، لم يزل الله سميعا بصيرا عليما خبيرا ، وهكذا سائرها ، والأفعال مظاهر لصفاته الذاتية ، أى ما يظهر من آثار تجلياتها فى العوالم الكونية ، بمقتضيات الارادة الأزلية ، كالإيجاد والإعدام ، والخلق والرزق وغيرها ، فهى الصفات الأفعالية ، والأسماء المشتقة منها على التى تسمى أسماء الأفعال ، كالخالق البارىء المصور ، الباسط الرازق ، المحيى المميت وهكذا .

وكلما لم يجز أن يقال فيه لم يزل الله كذا ، فهو من هذا الباب ، فلا يجوز أن يقال : لم يزل الله خالقا ورازقا لأنه خالق الخلق ورازقهم ، وقد كان فى الأزل وحده ، ولا خلق ولا رزق إذ لا قديم معه غيره وهو باطل . ولكن يقال بحق : انه لم يزل وهو الخالق والرازق ، إذ لا خالق ولا رازق غيره ولا معبود سواه .

والقول الثانى أوضح ، وهو أن يبدأ أولا فى الدعاء بالكماليات ، ثم بالجلاليات ، ثم بالأفعاليات ، والكمال لغة ضد النقص ، والكماليات كما وصفت لنفى النقائص عنه ، كالحدوث والفناء ، والشركاء

والأضـداد ، فهى ما دل على الوحدانية والتفريد ، وما فى معنى ذلك كالله لا إله إلا هو الواحـد الأحـد ، الفرد الصمد ، الأول والآخر ، الظـاهر الباطن . القدوس السـلام الحى البـاقى القديم •

والجلال فى اللغة العظمة ، فالجلاليات عبارة عن الأسماء الموضوعة لاظهار الكبرياء والعظمة لله تعالى ، والعزة والقدرة له ، وما فى معنى ذلك ، كالله الملك القادر المقتدر ، العزيز الجبار ، المتكبر الكبير المتعالى ، الشـديد القوى المتين •

والجماليات سوى هذين النـوعين من صفات الـذات ، كالسميع البصير ، العليم الخبير ، الشهيد ، الرحمن الرحيم ، اللطيف ، الرءوف الواسع لكريم •

والأفعاليات ما سوى هذه الأقسام الثلاثة ، كمـا سـبق القـول عليهـا آنفـا •

وقد ينقسم هذا الفصل الى جلالية أيضا ، كالقاهر القابض ، الملك المميت ، ذو البطش المنتقم ، والى جمالية ، وهى ماعدا هذا النـوع ، كالمحيط المحصى الباسـط المنعم ، الوهاب الفتـاح ، الرازق المحيى ، ثم باعتبار آخـر ، أن الكماليات جلاليات وجماليات أيضا ، والجلاليات كماليات وجماليات أيضـا ، والجماليات جلاليات وكماليات أيضا • فان لكل كمال جلالا وجمالا وهكذا •

وبيانه أن قولك : لا إله إلا الله هى أم البـاب فى التوحيد الدال على الكمال المطلق ، ونفس التوحيد والاقرار بالتفريد ، وهو عين تعظيم الله تعالى وتمجيده ، ونفس الاعتراف بأنه ليس كمثله شىء فى عظمته وجلاله ، ومن كان كذلك فهو أهل لكل صفة جميلة لكرمه وفضـله ، والثانى حقيقة الجـلال ، والثالث محض الجمـال وهكذا •

وهذا الترتيب فى الدعاء بها وان اعتمده فريق من جهـابذة أولى أولى التحقيق ، فليســه باللازم ، وانما هو المختار عند من قال به من أهل الأسرار ، وقد حكى عن قوم آخـرين ترتيبهـا المستقيم ، بحسب وجدانهـا علي التوالى فى الكتاب الكريم ، فيقول الداعى بهـا كذلك : يا ألّلــه ، يارحمن ، يارحيم ، يامالك ، يامحيط ، ياقــدير ، ياعظـم ، يا حكيم وهكذا •

وفى مذهب رابع ترتيبها متناسقة وفاق ما جاءت فى الحديث النبوى المشــهور : « ان لله تعالى تسعة وتسعين اسما من أحصــاها دخـل الجنة » هو : الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، الملك القدوس ، الســلام المؤمن المهيمن ، الجبــار المتكبر الى آخـرها كما ذكرت فى كتب الحديث كتيسير الأصــول والمشكاة وغيرهما فى كتب الفقه كبيــان الشرع •

وفى مذهب خامس فيجـوز ترتيبها على الحروف الهجائية ، تقول : يا ألله ، يا إله ، يا أحد ، يا أول ، يا آخر ، يا بر ، يا بديع ، يا بصير ، يا باقى ، يا باعث ، يا تواب وهـكذا ، وللمرتبين لهـا على الحــروف طرائق هذه احــداها ، والثانيـــة وضعها على ترتيب أبجــد المشرقية ، والثالثة كذلك على ترتيب أبجد المغربية ، والرابعة بتقديم ذوات الحروف النورانية الى غير ذلك مما لا حاجة لنا الى ذكره هنــا •

وانما سطرنا القول فيه لبيان الإجازة ، وكون مخالفة ذلك الترتيب غير محل للسر استدلالا بما عليه علماء الحروف ، وعلى هذا فقـدان لنا الوقوف ، والحمد لله على ما ألهم وأنعم ، والله بهــذا وغــيره أعلم فلينظــر فيه •

*** مســألة :**

ومنه : تتفضل على سيدى بايضـاح الفـرق بين الأسـماء الذاتية والجلالية ، والجمالية والكمالية ، من أسماء رب البرية •

الجـــواب :

ان أسماء الله تعـالى فى الأصـل شىء واحـد ، وانما تنقسـم باعتبار دلائل معانيها ، فان دلت على حقائق ذاتـه سبحانه من غـير تخصيص بصـفة فكماليـة ، كالاله ، واللـه ، والأحـد ، والأول ، والآخـر •

فان تخصصت بصفه فهى من أسماء صفاته : القابض ، القاهر ، العـزيز •

أو على محض شرف أو فضـل فجمالية ، كالعليم الحليم ، الخبير الحكيم الكريم ، وما تعلق مدلولها على اظهار شىء فى الكون ، فقـد يعبر عنها بأسماء أفعاله سبحانه وتعالى ، كالخالق ، والرازق ، والمعطى ، والمانع ، ولهذا فى هذا المقام أيضا جـلال وجمال كما سبق ، والله أعلم •

*** مســألة :**

ومنه : وما قال الشيخ ابن أبى نبهان ما نصه : وبالجملة ، فما أخبر لله أنـه كان ، وأنه سيكون بعد ، أو لا يكون البتة ، وجب الايمـان بتصديقه فيما أخبر وانتقـل من قسم الممكن ، الى قسم الواجب ، ولكن لا على أنه واجب عليـه الوفاء فى فعـل ما قاله ، ليـكون صادقا بـل لو أخلفه لم يكن كاذبا ، إذ لا تلحقه صفات الكذب والخلف مما خلقـه اله تعالى ، ولا يضادد صدقه الكذب ، ولا علمه الجهـل ، ولا قدرته العجز ، وعلى هذا فى صفاته ، لأن كل ذلك هو من خلقه تعالى ، ولكن

ألزمنا نحن أن نصفه بصفات الواجبة ، ومن صفاته الصدق ، وان وصفناه نحن أنه غير صادق ، فقد وصفناه بصفات خلقه أنه كاذب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

شيخنا : وجدنا هذا عن هذا الشيخ ، ولم نعرف قوله ، بل لو أخلفه لم يكن كاذبا بين لنا ذلك تؤجر ان شاء الله .

الجواب :

والله أعلم ، والذى معنا فيه ان أوضح العبارات وأصحها فى الصفات الالهية ، أن وصفه تعالى بالعلم عبارة عن نفى الجهل عنه ، ووصفه بالقدرة عبارة عن نفى العجز عنه ، وهكذا فالجهل ضد العلم ، والعجز ضد القدرة ، والموت ضد الحياة .

ومن وصفه بذلك فقد أثبت له سبحانه من صفاته ما وجب ونفى عنه أضدادها من المستحيل عليه ، فان كان معناه أن الجهل ليس بضد العلم فى هذا المعنى فهذا باطل ، وكيف يصح مع تصريحهم بأن العلم معناه صفة نفى الجهل عنه سبحانه وتعالى ، فهما صفتان متضادتان على الأبد ، لا يجتمعان فى محل واحد ، ولا فى منعوت واحد ، فى حالة واحدة أبدا .

وان كان مراده تنزيه لله تعالى عن الأضداد المنفية عنه من الجهل والكذب ، والعجز ونحوها بمعنى أنه سبحانه لم يتصدق بشىء من ذلك أبدا حتى ينفى عنه ، ويثبت له ضده ، فيكون وصفه بالعلم نفيا لجهل كان به ، وهكذا فى سائرها .

وهو حق ولكن عبارته لم تساعد عليه ، لأن قوله لو أخلفه لم يكن كاذبا يدل على المعنى ، فى بيان الشرع أنه لو أخلفه سمى مخلفا ،

ولكنه لا يخلف بالميعاد ، وهو صريح بأنه لو قال بغير الصدق يسمى كاذبا إلا أنه سبحانه لا يقول إلا صدقا ، ولا يبدل القول لديه ، فهو الصادق جزما ، ولا سبيل الى تقدير أخلافه ولا كذبه ، لأنه بتقدير الباطل عليه ، فكيف يعرض ويقدر •

وهذا باطل هذا ما لا يصح فى نقل ، ولا يقبله عاقل ، فما هو إلا كقول قائل : لو أن الله سبحانه وتعالى لا يعلم بعض الأشياء ، فلا يسمى بجاهل ، ومن المحال أن يكون عالما غير عالم ، وقادرا غير قادر ، فيكون إلها غير إله ، ومن جاز هذا فيه ، فكيف لا يجوز وصفه بما لا تحقق فيه من جهل أو عجز أو غيره ، والله منزه عن ذلك كله ، وعن تقديره له سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ، والله أعلم ، فلينظر فيه •

*** مسألة :**

ومنه : وما قولك فى الانسان اذا شك أو اعتقد أن الله سبحانه وتعالى تراه الوجوه يوم القيامة ، رؤية بعين الرأس جهلا منه على غير تأويل ، أيبلغ به شك ذلك ، أو اعتقاده الى كفر شرك ، أم هو منافق ؟

وكذلك إذا شك أو اعتقد أن الله يبصر بعين ، أو يسمع بأذن ، أو أن له وجها أو غير ذلك من الصفات المنفية عن الله ، أو أنه قادر بقدرة ، أو عالم بعلم ، أيصير بأحد هذه المعانى مشركا ، ويكون حكمه كحكم أهل الشرك من انحلال عقدة الزوجية ، وتحريم المناكحة وغير ذلك تفضل بتصريح ذلك ؟

الجـــواب :

قد قيل فى الأصـول : ان هذا وبابه مما تقـوم بـه حج حجج العقول فلا ينفس فى الجهل به لعـدم سعة ذلك فى مثله بعـد قيـام الحجة به ، بتأديه الى عقله من أى وجـه ما ، ولو من نفس خاطـر البـال ، فضـلا عن المقـال ، ممن كان مطلقا ، فاذا قامت بـه نفس حجة العقل لديه فآمن من به ، فهو الـذى عليـه ، وان رده جحـودا أو شكا فبجحده الجملة ، أو شك فيهـا يكون ذلك منـه فى الاجمـاع شركا ، ولا نعلم فى شيء من هذا اختلافا .

فان أقر بالجملة إلا أنه شك فى شيء من تفسيرها ، مما لاحـق بها فى وجوب الايقان به ، فى أصـل الايمـان مما لا يسـع جهـله ، ولا الشك فيه ولا رده على حال ، فانه والحالة لابد فيـه من أحـد حكيم ، اما شرك واما كفر نعمة ، وضلال ، لأن شكه والجحد له سواء فى نقض الميثاق الذى أخـذ عليه ، بأن يؤمن به على الاطلاق .

فان كان شكه أورده بالجهالة فى نوع لمـا لا يقبـل التأويل على شيء من مذاهب الضـلالة ، كالشك فى قدرة الله تعالى على كل شيء ، فحكمه الشرك فى قول أهـل الحق والعدالة ، كما صرح به فى هـذه المسألة الأثر .

وانه لمن الصحيح فى النظر ، لأنه اذا لم يشرك بالشك فى القـدرة ، فمثله الشك فى نفس الربوبية والألوهية ، والوحدانية ، وكـذا لو شك فى كونه حيـا عليما خبيرا عظيما سميعا بصيرا .

أو شك أنه هل من خالق غيره ، أو مصـور أو توهم فى صفاته ، ما لم يجز إلا نفيه عنه ، وتنزيهه منه ، كالقول بأنه والد أو مولود ، أو أنه محـدث أو فان أو ميت أو مفقـود ، أو عاجـز أو فقـير ،

أو جاهل أو ضرير ، أو لــه شريك أو نظــير ، أو وزيــر أو مشــير ، أو مســاعد ظهير سبحانه وتعــالى (ليس كمثله شيء وهــو السميع البصــير) •

فهــذا كله مما لا يحتمــل التأويل ، ولا يتعلق فيــه بتعليــل ، ولا يجــوز فيه غير ما قيل من شريك من توهمه شكا أو قال بــه افكا ، لأنه من بعض أصــول التوحيد ، وما عليه لموجب الاشراك من مزيــد فهو الوجــه الأول •

وثانيها : ما يتعلق فيه بفاســد التأويل الكاسد ، كما هو شــائع فى ضلالات أهل القبلة من العقائد المخالفة للمحقين من أهل النحــلة ، إلا أنه لا بدّ فيه من حد ينتهى اليــه ، فيعول فى الحكم عليه ، فيكون فرزا بين كفر النعمة والشرك يعرف به من وقف لديه •

فنقول : ان المتأول فى هــذا على حالين ، ولابد فيــه من حكمين ، أفادهما الأثر الصحيح ، وكلاهما فيــه صريح ، فأما المتأول عنــدهم ما لم ينته الى التجسيم والتحــديد ، فهو كافر نعمة ، ولهم فى المجسمة تفصيل آخر ، لا بد أن تذكر لك حكمه ان شاء الله •

فالمتأول كالقول أو الشك فى رؤيته تعالى بالعين الناظرة ، فى هذه الدنيا والآخرة ، أو فيهما فان لــم يثبت له سبحانه فى اعتقــاده ذلك جسما سويا ، أو جوهرا أو عرضــا مرئيــا ، وكان فى ذلك ذاهبــا الى فساد التأويل فى تأويل معانى الكتاب بالكتاب ، أو السنة أو اجمــاع أهل الضــلالة ، وآثارهم المحالة أو تأويل الســنة أو الاجمــاع بشيء من ذلك ، فهو لاقراره بالجملة ، من كفار النعمة من أهــل القبــلة •

وكذلك حكم من كان فى هذا السبيل مقلدا لأهل التأويل ، تابعــا لنهجهم الضــليل ، مع قصــوره عن معــرفة صحيح التأويل ، وسقيمه

وحقه وباطله ، فله بالتبعية فى الضـلالة ، وكفر النعمة حكم المتـأول وعلى أكثر أهل القبلة فلا يحكم بشركهم والحالة هذه اجمـاعا ، واذا ثبت هذا فى المقلد مع قيام الحجة عليـه من شـاهد عقله ، ووضـوح دلالة التوحيد له فى عدله ، مع عـدم تأويله فى نفس يقوله وقيامه ، على اعتقاد صريح الإلحاد فى هذا وشكله ، فغـير بعيد فيما معى أن يلحق به كل معتقد لـذلك أن نفس المعـرفة حقيقية للصفة لظلمة فى قلبه حجته على ربه ، فهداه سـوء فهمه الى ضـلالة وهمه من غـير نظير فى دليل الى تعلق بأصـل تأويل فانه لعماه مقلد لهواه •

كما أن ذلك التابع مقلد لشيخه الرافع ، وكله ما لا عـذر فيـه فى حين فى رأى ولا دين ، وقد ثبت فى ذلك المقلد بكسر اللام عدم شركه بالاجمـاع ، ولو لم يخطر التأويل بقلبـه البتة ، لاكتفـائه بالسماع ، أفلا يكون الجاهل فى ذلك مثله ، ولـم يـزد عليه بصفة توجب عنـه فضـله ، إلا ما سـمع من قدوته الأثيم ، جـواز الرؤية على ربـه الكريـم •

وبالاجماع انه لم يستفد فى هذا المحل بشيء من السماع ، لأنه مما قامت الحجة به عليـه من عقله ، فلم يوسع له فى انكارها ، ولا الشك فيهـا بجهله ، وبعد قيـام الحجة ، ووضـوح الحجة ، فالتعلق بظاهر المسموع ، لا شك من الممنوع ، أفيعذر التابع من انزالـه فى منزلتـه لضلاله المتبوع ، لو أن الشرك يلزم كل قائل به ، إلا من كان فى حـاله فقيهـا فى شرع ضلاله •

كلا بل يستوى العالم والجاهل فى هـذا وغـيره من البـاطل ، أفلا يبعـد فى كل من هام بوادى الضـلالة ، بما يحتمله التأويـل من مذاهب أهل البدع والجهالة ، وان يهتد لمـا به من تأويل أن يكون له فيه ، وما لهم من كفر النعمة والتضليل ، فانه فى الصورة بمنزلة المتأولين ضرورة ، فلا يحكم بشركه على هذا من افكه •

فانه بالشك فيه ، والاعتقاد له فى حينه مبتدع ناقض لأصل دينـه ، ان صح ما أراه فى ذلك ، وان لم أجـده مفسرا كذلك ، فينبغى أن ينظـر فيه من قدر ، ليأخـذ منه أو يذره ، ثم ليطالع فيه الأثر ، فان وافق فمن فضـل المولى ، وان خالفه فاتباع الحـق أولى ، أم تظنه يكون فى هذا مع الجهـالة به من المشركين ، وأنا لا أدريه ، فكيف أقـول به فى حـين •

وإياك ثم إياك تعجل بالحكم على أهل القبلة بالاشراك ، من قبـل معرفة بأصـوله ، فانه موضـع الهلاك والاهلاك ، وعلى هذا لو وصفه جهلا بحركة أو سكون ، فقال انه ينزل الى سماء الدنيا ، وبالاقـرار على العرش استوى ، وانه بقـدرة قدير ، وبعلم وخبره عليم خبير ، وان له نفسـا ووجها وعينا ويدا وغـير ذلك ، فما جـاء به فى الأصـل عن الله هدى ، إلا أنه ضل فى سبيله ، عن صحة تأويله ، أو قال بما يشـبه هذا ، أو يضاهيه أو شك لعظم لغباوته فيـه ، فالقـول فيـه كذلك ، بأنـه كافر نعمة هالك •

وهكذا الحكم على اطـراده ، يكون فى كل من تستر عن التجسـيم بشىء به يتمسكون كقولهم فى الرؤية بلا كيف ، وفى اليـد لا كالأيدى ، وفى العين لا كالعيـون ، وقس عليه ومع عـدم التصريح ، بما زاد عليـه من قول قبيح ، فأحـق ما بهم من شريعة المولى ، أن يكون هذا الأصـل فى الحكم بهم أولى ، ما لم يصح ما ينقلهم عند من ضـلالة أو هدى ، الى سلامة أو ردى •

فان زاد على هذا فى بهتـانه العظيم ، فأتى بصريح التشـبيه فى التجسـيم ، من وصفه بالجـواهر والأعـراض ، والكليات والابعاض ، أو بشىء من الجوارح والأعضاء ، ولا يستتر فيه شىء يلابســه عن كشف حقيقة التجسيم ، والتصـور محضا ففى هذا وبابه قد تردد الفقهـاء بالرأى فى أى الحكمين أولى به ، فقول بشركه مجملا ، وقول بكفر نعمـة النظر فيه ، من كان ذا قلب أو ألقى الاسمع وهو شهيد •

على حال ما كان متأولا ، وقول ان صرح به أنه جسم كهذه الأجسام أو جوهر كجواهرها ، أو عرض كالأعراض الحالة فى أعظم شاهد أو جوهر كجواهرها ، أو عرض كالأعراض الحالة فى الأجرام ، أو أن يده أو وجهه أو عينه أو شيئا منه كهذه الجوارح ، أو حده من قوله الفادح ، بالأبعاد الثلاثة المختصة بالأجساد طولا وعمقا وعرضا ، أو بالتحيز والانتقال ، والحلول والاتصال والانفصال ، مصرحا فى هذا كله ، بأنه فيه كغيره ، وله فيه ما لغيره من عوارض الأجسام ، أو الجواهر فى الأحكام •

فانه بهذا يكون مشركا فى هذا الرأى ، ومرتدا به بعد الاسلام ، على أنه ما لم يخرج به من دائرة المتأولين ، ففى نفسى أن القول بشركه موضع رأى ولا دين ، لما فى الأثر الصحيح من اطلاق أن المتأول يخرج بالتأول من دائرة الشرك ، الى كفر النعمة والنفاق إلا أن القول بشركه فى هذا المقام ، هو أشهر ما فيه وأصرح ما حكاه الأعلام •

وقد نسب مثل هذا وأقبح منه الى قول غلاة المجسمة ، كمقاتل بن سليمان ، وعلى من قال به لعنة الرحمن ، ولابد فيمن أشرك بشىء من هذا ، فكان به على الابتداء من المشركين ، أو صار به بعد اسلامه من المرتدين أن يكون له ما لغيره من أهل الشرك أو الردة من حكم النجاسة ، وتحريم المناكحة والذباح والموارثة ، ووجوب القتل فى المرتد بعد الاستتابة على ما فيها من قول ، وشرح هذا بالتفصيل مدون فى كتب الفقه ، وكفى •

والله نسأله من فضـله أن يجعلنـا هادين مهتدين ، غـير ضالين ولا مضلين ، والحمد لله رب العالمين ، فلينظر فى هذا كله ولا يؤخـذ منه إلا بعـدله .

*** مسـألة :**

ومنه : الحمـد لله وكفى ، وسـلام على عباده الذين اصطفى .

أما بعـد :

فاعلم أنـه لمـا وقف بعض الطلبـة ، على ما يوجـد فى الأثر ، أن ذاتـه تعالى هى اثبـاته ، سألنى حـل هـذه العبـارة ، فقـال ما نصه : تفضل بين لنا فى الذات والاثبات ، ما يزيل قناع الجهـل منا ، ويذهب صدى الصدور عنـا ، مأجورا ان شاء الله ؟

الجـواب :

فقلت له فى الجواب ، متحريا لاصابة الصـواب ، مستعينا لعنـاية الملك الوهاب : ان من نظر فى كتـاب الله تعالى بعـين بصيرة ، عن صفاء سريرة ، فتأمل ما أخبر به الإله المنزه فى قدسه ، من وصف نفسه فى محكم آياته ، فانه لا يجـد فيه بالحزم إلا تعريفه الى الخلق بصفاته ، أو بأسمائه الحسنى ، أو بأفعاله الخاصة التى لا يمكن أن يشاركه فيهـا أحـد من مخلوقاته .

وأما من وراء ذلك من معرفة ذاته الكريمة ، على ما هى عليه ، فأمر خارج عن حد القدرة البشرية وشىء لا يبلغ الى معرفة كنهـه الأنبيـاء عليهم السلام ، ولا القوى الملكية ، فهو البحر الذى تغرق فيـه سفائن

المعقول ، والمحل المعبر عنـه بمقام الحيرة والدهش الذهول ، فجـواب من يسأل عن ذاته العلية أن يقال : هى حقيقته الخاصـة ، التى لا يعلمها إلا هو ، وغاية العلم بها أنهـا ذات لا كالذوات ، فانه ليس بذى شـكل ولا جسم ، ولا يدرك بحد ولا رسم ، فما هو بجوهر ولا عرض فى قول أهل العـدل ، إذ لا جنس له ولا نوع ولا فضل •

وقد عرفك نفسه من هو بمصالحك خبير ، فقال : (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) وبهذا فاقنع ، ان كنت للحق تتبع ، فغاية العلم به من ملائكته وأنبيائه وغيرهم من علمائه ، معرفة صفاته وأسمائه ، كمـا جاء بهـا كتـابه الكريم ، وكفى بهـا حجة وبرهانا لمن شـاء منكم أن يستقيم •

فان أبى إلا السؤال على وجه التفتيش عن الذات العلية ، لبيـان شرح الماهية ، قيل له : ان نفس سؤالك هذا باطـل فى هـذه القضية ، لا جواز له بالكلية ، لأنه من طلب المحـال ، وهو عين الضـلال ، وبمثله أهلك أربد من ربيعة ، بصاعقة إذ قال : مم رب محمد ، أمن در هـو أم من ياقوت ، أم من ذهب ؟ فأخبر بصفات الله تعالى واسمائه فلم يكفه ، فبينا هو فى محاورته ، اذ ارتفعت سحابة فرمته بصاعقة فأحرقته ، وفيه أنزل قوله تعالى : (ويرسـل الصواعق فيصيب بها من يشـاء وهـم يجادلون فى الله وهو شـديد المحال) فدع عنـك فى الله الجـدال ، ان جدالا فى الله كفر وضـلال •

ولو كان الجواب عن الذات العلية ، لسائل عن الماهية ، من الممكنـات لأخبر الله تعالى عن نفسـه ، وأجـاب به رسوله محمدا صلى الله عليه وسـلم ، ولكنه ليس بذاك ، فالمكابرة فيـه بعد وضوح الأحكام ، تستدعى صواعق الانتقـام •

الجـــواب :

الحــق فى ذلك : (قل هو الله أحــد • الله الصمد) فقد زعــم بعض المفسرين أنهــا أنزلت فى جواب أربد •

وقال آخرون : هى جواب ناس من اليهــود ، سألوا رسول اللــه صلى الله عليه وسلم عن ذات واجب الوجود ، والمعنى واحــد ، وان قيل بغيرهما فلا ضير •

ومن هذا النــوع جواب موسى عليه الســلام اذ قال له فرعــون : (وما رب العالمين) ؟ فانه سؤال من الخبيث المارد ، عن الماهية عند أكثر المفسرين (قال رب السموات والأرض ان كنتم موقنين) عدل موسى فى جــوابه عن مطابقة سؤاله ، الى ما لا وجــه فى الحــق لغيره من الاخبار عنــه بصفاته واسمائه ، عز فى جلاله •

فقال فى جوابه عن الذات : انــه رب الســموات ، ويسمى هــذا الجواب عدولا ، لأنه عدل به عن مطــابقة اللفظ الى مطابقة الحــق ، والحق أحق أن يتبع ، فهو فى هــذا كالجواب عن سؤال أربد بقــوله تعالى : (قل هو الله أحــد • اللــه الصمد) ولقــد أحسن الزمخشرى فيما أورده على مسألة فرعون فى هذه الآية الشريفة ، فقال ما نصه :

وأما ان يريد به أى شىء هو على الاطلاق ، تفتيشــا عن حقيقته الخاصة ، التى هى فوق العقول ، فتفتيش ما لا سبيل اليــه ، والســائل متعنت غــير طالب للحق • انتهى •

فهذا القدر كاف من الجواب ، على الذات القدسية •

وأما فتح باب الكلام ، على صفاتها العلية ، فقول الحق ، وهــو مذهب أصحابنا أن صفاته على غير ذاته الأزليــة ، ولا ينكشــف هــذا

إلا بتجريد الذات المقدسة ، عن الصفات بالكلية ، فنقول فى وصفه تعالى مثلا : بالحياة والعلم والقدرة ، والسمع والبصر والارادة وغيرها من صفاته تعالى ، ليست بشىء زائد فى ذاته ، لئلا يلزم الحلول فى ذاته ، ولا زائد من ذاته ، لئلا يلزم التبعيض فى ذاته ، ولا زائد على ذاته ، لئلا يلزم افتقاره الى غير ذاته ، فانه غير عالم وأوضح إلا بعلم هو غيره لئلا يكون مفتقرا الى غيره ، ومن كان مفتقرا الى غيره فليس بإلـه •

وإنا وان وصفناه بأنه عليم خبير ، سميع بصير ، فليس المعنى به زيادة الصفات فيه ، بل المراد به أن ذاته المقدسة كافية انكشاف حقائق الأشياء ، لها انكشافا تاما ، فهذه حقيقة صفته بالعلم ، كما أنها يتجلى لها كل مسموع تجليا تاما ، وهى حقيقة وصفه بالسمع والبصر ، وهكذا فى سائر الصفات ، فالذات واحدة ، والمتجليات كثيرة ، والمتجلى له بفتح اللام واحد •

وان كانت المتجليات كثيرة ، فان كثرتها لا تؤثر فى وحدانيته ، فقدرته سبحانه على المقدورات ، وعلمه بالمعلومات ، وسمعه بالمسموعات ، وبصره بالمرئيات ، كله فى الأصل بمعنى واحد ، لأنه بذاته ، ولا محل للتعداد فيها ، فهو يسمع بما به يبصر ، ويبصر بما به يسمع ، ويعلم بما به يبصر ، ويقدر بما به يعلم •

وهكذا فى سائرها ، ويكفيك فى هذا الموضع أن تقول فى الصفات انها أمور اعتبارية يراد بها نفى أضدادها من النقائص عنه سبحانه وتعالى •

فالحياة والعلم ، والقدرة والسمع والبصر ، والكلام والكرم ، والعزة والحلم ، ينفى عنه الأوصاف الناقصة من الموت والجهل والعجز ،

والصمم والعمى ، والخرس والبخل ، والذلة والطيش ، فان ذاته الكريمة غير قابلة للأوصاف الذميمة ، وهكذا سائرها ، فان قال قائل : اذا ثبت هذا فهو أن يقتضى أن الصفة غـير الموصـوف بها ، وهـو يستلزم أن يكون الله تعالى هو العلم والقدرة ، والحيـاة والسمع والبصر والارادة ، فيلزم تعدده وهو باطل •

فيقال له : إذا عرفت أن الله غنى فى الأزل بذاتـه ، عن أن يزيـد فيها شيء من صفاته ، لم يلتبس عليـك اذا قلنا انه حى مثلا أنا لـم نرد بالحيـاة غيره ، فتعد صفة زائدة فيـه ، وانما يزيد بهـا نفى الزوال ، والتغير والفناء عنـه ، فمعنى الحياة له هو نفس وجـوده لا غـير ، وهذا لا يقتضى أن الحيـاة صفة زائدة على الذات ، ولا يلزم من هذا أن يقال هو الحيـاة •

فان أسماء الصفات قد ثبتت لمعـانى آخر ، وهى أن تكثر الصفات ، وتعدد الأسماء أن ما كان الأمور اعتبارية بحسب تجليات أعيان الوجود ، وتأثرها وانفعالها للذات العلية ، لطفا من الله بعباده ، لكمال المعرفة به ، فان تجلى المعلومات من أعيان الوجود بمعنى انكشافها للذات ، لو سمى ارادة أو قدرة لما صح معنى ولا لغة ، فكذا تجلى المسموعات لها لا يسمى بصرا ، ولا تجلى المرئيات لها يسمى سمعا وهكذا فى سائرها ، ولا يشكل عليك كثرة تجليات أعيان المظاهر الموجـب لتعدد الأسـماء والصفات فى الظاهر ، فان نفس الذات المقدسة واحـدة ، وهى مستغنية بذاتها عن الأكوان ، وتجلياتها وتأثرها وانفعالاتها غير قابلة للتعـدد ، ولا النقص ، ولا المزيد فى شيء أبدا •

كان الله ولا شيا معه ، وهو الآن على ما كان عليـه ، قـد كان فى الأزل قديما ، ولم يزل سميعا بصيرا ، عليمـا حكيما ، قبـل وجـود

كل شيء لا تأثير للمظاهر فى صفة ذاته العلية ، بل هى على ما كانت عليه فى الأزلية ، والا كانت معه المظاهر قديمة وهو باطل .

وباعتبار أن ذاته القديمة الأزلية كافية عن مزيد الصفات عليها ، كما سبق بعلم أن الصفات أمور اعتبارية ، فلم يجز أن يقال فى حقه تعالى : ان الحياة ، ولا القدرة ولا السمع ، ولا البصر ولا الارادة وهكذا .

بل يقال : هو المريد القدير ، العلى الكبير ، العليم الخبير ، السميع البصير ، فهى أسماء صفاته الواجبة لذاته بمعنى أنه فى ذاته كذلك ، وقد ظهر لك أن تنفى الصفات عن ذاته تعالى ، على طريق ما قدمناه يظهر سر التوحيد بشمس التفريد ، فيقال : انه سبحانه عليم لا يعلم هو نفسه ، فيلزم منه أن نفسه علم أو ثبوت علم فى نفسه ، وهذا باطل ، وبه تعلم أيضا أنه لا يصح أن يقال فى حقه تعالى : انه علم ولا قدرة ولا مشيئة وهكذا .

واذا بطل أن يقال : انه عليم بعلم هو نفسه ، فالقول أنه عالم بعلم هو غيره ، وقادر بقدرة هى سواه أو صح بطلانا ، اذ لابد له من أحد أمرين : اما القول بأنها حادثة ، فيكون الرب سبحانه وتعالى محلا للحوادث ، وكل محل للحوادث فهو حادث ، وهذا باطل .

وأما القول بأنها قديمة معه ، وهذا يستلزم أن غير الله قديم ، واذا جاز أن يكون معه فى الأزل قديم غيره جاز أن يكون معه إله غيره ، وهو باطل ، فاثبات الأشعرية لله تعالى صفات قديمة قائمة بذاته العظيمة ، لا مخرج له من هذا ، وبهذا تعلم أن الحق فيما قاله أصحابنا من تجريد الصفات ، اكتفاء بالذات المقدسة ، مع اتصافها بها ، كما سبق ، فيقولون : هو القادر المريد ، العليم الخبير ، السميع

البصير ، الشهيد لا بقدرة هى هو ، ولا بقدرة هى غيره ، وكذا فى سائرها ، فهـو عليم لا بعلم ، بل هـو عليم بذاته وهكذا فى الصفات من قولهم : هو عليم بذاته ، لا يزيد شيئا على وصف ذاته بأنها عليمة .

ومعنى قولهم : ذاته عليمة أى هو العليم لا بعلم هو هو ، ولا بعلم هى غيره ، بل هو العليم بذاته المقدسـة كما سبق ، وقد وضح بهـذا بطـلان أن يقال فى ذاته انهـا علم أو قدرة ، أو اثبـات أو مشـيئة وهـكذا .

وقولهم فى صفاته : انها عين ذاته ، لا يخالف هذا ، فليس مـرادهم به إلا سلب الصفات عن ذاته مع اتصافها بها ، كمـا قررنا فقالوا : هى عين ذاته ، بمعنى أنه ليس ثم من صفة زائدة على ذاته أبـدا ، وقـد مضى من القول مكررا فيها للتوضيح ، ما يغنى عن المزيد ، فليراجـع النظر فيه ، من كان ذا قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

فان قلت : فكيف يصح فى ذاته العلية ، أن تسلب عنهـا صفاتها القدسية ، وكتاب الله ناطق بخـلاف ذلك ، فهو ينادى على بطـلان تلك المسالك ، فان فيـه اثبات الصفات فى غـير موضـع ، كقوله تعالى : (ان العـزة لله جميعا) (وان اللـه هـو الرزاق ذو القـوة المتين) و (سبحان ربك رب العزة) (ولـه الكبرياء فى السـموات والأرض) (وانما العلم عند الله) ؟

قلنا : هذا لا ينافى ما قاله أصحابنا فى هذه المسألة ، بل هـو لهم أعظم شاهد وأوضح دليل فى الرد على المعاند .

فان قوله تعالى له العزة ، لا يزيـد شيئا عن وصفه بأنـه عزيز ، وذوا القـوة فى معنى القوى ، وله الكبرياء بمعنى أنه الكبير ، فتأول

هذا الباب كله قريب المأخذ ، سهل التناول ، ولو جاز التعلق بظاهر هذه الألفاظ ، لاثبات صفة قديمة زائدة على الذات القديمة ، لجاز من قال بظواهر ألفاظها أن تقول أيضا : ان هذه الصفات محدثة من جنس المخلوقين ، بدليل قوله تعالى رب العزة ، فانه لا يجوز أن يكون ربا إلا لمخلوق محدث •

وبطلان هذا أظهر من أن يعتنى به ، فثبت ما قلناه ، فانظروا يا معاشر المسلمين فى هذا ، وفيما جاء فى مواضع من الآثار القديمة ، أن ذاته سبحانه وتعالى هى قدرته ومشيئته وفى قول آخر هى اثباته ، فكان معول الجميع فيها على ما تقدر ، من أن ذاته سبحانه وتعالى هى قدرته عين صفاته ، لكن باعتبارات قصرت عنها هذه العبارة ، ولم تدركها باشارة مع أن همزة التعدية فى لفظة اثباته ، لا معنى لها فى حقه تعالى ، فان إثباته من نفسه لنفسه محال ، فكيف به من غيره ، وانما يحتاج الموحد الى النفى والاثبات ، فى العقائد لدفع الشركاء والأضداد ، ونفى النقائص والأنداد ، كما هو فى لا إله إلا الله ، ولم يلد ولم يولد ، وإلا فالثابت لا يحتاج الى مثبت جل الله وعز •

ولو قيل : ذاته ثباته بغير همزة ، لكان أقرب الى ما أراده ، وعلى كل حال فهى على ما تراه من القصور ، والبعد عن ادراك حقائق الأمور ، فهى من الآثار المجملة التى لا تصح بظاهر لفظها ، وهاهنا نمسك أعنة الأقلام عن الجرى فى مضمار الكلام ، فان بحار التوحيد ، وشموس التفريد ، لا مطمع فى احصائها ، ولا سبيل الى استقصائها ، وانى من العوم فى بحارها ، لعلى مخافة من الغرق بأنوارها ، فكيف بحال ضعيف القوة ، الذى لا بصر له بالعوم اذا ألقى نفسه فى البحر الذى لا ساحل له ، ولا قعر ، إلا أن تأخذ بيده العناية ، فتنقذه بالهداية ، فانى لاجىء به ، وضارع اليه ، ومعول فى طلب الهدى

عليه ، سبحانه وتعالى لا رب غيره ، ولا خير الا خيره ، وهـو حسبى ونعم الوكيـل •

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على سـيدنا محمد ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم •

*** مسـألة :**

ومنه : تفضـل علينا بشرح هذا الأثر : من عبد الاسم دون المعنى فقد كفـر ، ومن عبد الاسم والمعنى فقد أشرك ، ومن عبد الاسم دون الصفة لا بادراك فقد أحـال على غائب ، ومن عبد المعنى بعلم الحقيقة فهو مؤمن حقـا ، وحل مشـكله ، وفصـل مجمله مأجورا ؟

الجـــواب :

ان كان معناه بالاسـم اللفظ المسمى به ، فاللفظ حروف مخلوقة ، وكلمة مصنوعة ، ومن اعتقد فى عبادته أنه يعبد هذا اللفظ المنطوق به ، حروفا مسموعة ، وأصواتا مصنوعة ، فقـد عبد غير المعبـود الواجب الوجود المستحق للعبادة ، والكفر بهذا واضح صريح ، لأنـه عبـد غير لله تعالى ، وهذا على غير حـد ما قاله أصحابنا : ان الاسـم هـو المسمى ، فان مرادهم به وجه آخـر يذكر فى موضعه •

وقوله : ومن عبد الاسم والمعنى ، فالعبادة فيه كمـا سبق أنـه اذا أشرك مع الله تعالى فى العبـادة شيئا ، يعتقد العبادة له معـه ، وهو الاسم المذكور ، فقد جعل المعبود له شيئين : هما الاسم والمسمى ، فقد أشرك مع المعبود غيره فى العبادة ، وهذا معنى قوله فقـد أشرك •

وأما قوله : ومن عبد الاسم دون الصفة لا بادراك ، فالظاهر يشبه

أنه مختل فى المعنى لو لم يصلحه بقوله ، لا بادراك ، فانــه إذا لــم يعبده بادراك المعرفة فقد أحال العبادة على ما لم يعرفه ، وهــو الغائب عن ادراكه ، وكأنه عبر بالصفة هنا عن المسمى ، وهو غــير سديد •

وقلنا : هذا باعتبار أنه اذا عبد الاســم وهو مدرك بالمعرفة ، أن الاسم غير المسمى ، وانمــا هو لفظ مخلوق ، فعمد الى عبــادته بادراك المعــرفة بحقيقته ، فقلاد تعمد لعبادة مخلوق دون الله تعالى ، وهــو عالم بذلك فهذا أشرك •

وان عبد الاسم دون المسمى على غير ادراك المعرفة الحقيقية فيه ، وانما هو على معنى التأول أنه هو الرب المعبود ، وهو غير عارف بتمييز هذه المعانى ، وجعل هذه العبارات ، وكشف تلك الحقــائق . فهــذا متأول أو جاهل بالحقائق ، أراد الحــق فأخطأ ، وأحــال العبارة على غائب بجهله ، أى وضعها فى غير موضعها ، وأتى بهــا لغير من هى له ، فكأنما أحــال الحق لغائب عنــه ، ليس من أهله البتة ، وحكمه الكفر بــذلك وان لم يصرح به هنا تنويعا لعبارة •

وهذا معنى قولنا : لو لم يصلحه بقوله لا بادراك ، فانه قد جعــله قيدا أخرج به عنه من تعمــد لعبادة غير الله تعالى فى علمــه ، أو بعــد قيام الحجة عليــه من الســماع ، أو من عقله ، فانه غــير منفس لــه فى ذلك •

وقوله : من عبد المعنى بعلم الحقيقة ، أى عبد المســمى بالاسماء الحسنى ، والصفات العليا ، سبحانه وتعالى ، وكانت عبادته بمعرفة به بالحقيقة ، فهو المؤمن حقــا ولو تنوع فى العبادة من جعله المعنى ، فهو معنى الاســم بلا شك ، ومرة قال : هو المسمى وهو واضح ، وطورا عبر عنه بالصفة لعله بارادة موصوفها ، فكأنه جعل الأسماء من أسماء الصفات

الدالة على مدلولها ، وهو المسمى ، وهذه أبعد من الوضوح كما سبق ، ويخرج معناها على هذا ، وكلها ترجع الى أصل واحد ، وتسقى بماء واحد ، ويفضل بعضها على بعض ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل ، فلينظر فيه ، والله أعلم •

*** مسألة :**

ومنه : وعلى المعنى من قول الشيخ أبى محمد : أنه اذا أمرنا الله تعالى بأمر ، وجب علينا التزامه وامتثاله ، إلا أن تدل على غير وجوبه قرينة أو مقدمة أو لاحقة ، وإلا فهو كذلك ، تفضل شيخنا أوضح لنا فى هذا مثالا نعرفه لنقس عليه ؟

الجواب :

الله أعلم ، وهذه مسألة من مسائل الكلام ، اختلف فيها الفقهاء والمتكلمون ، وأكثر قولهم أن الأمر على الوجوب ما لم تقم قرينة بعدم وجوبه ، لأن على العبد امتثال أمر سيده حتما واجبا كقوله تعالى : (خذوا زينتكم عند كل مسجد) ، (وأوفوا بعهد الله) ، (وأقيموا الصلوة وآتوا الزكاة) فان حصلت قرينة أن الأمر بها إباحى ، أخذ بها كقوله تعالى : (فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم) فقد علم أن ذلك كان ممنوعا من الصائم ، وقد نزلت الآية بالرخصة لا بالوجوب ، فالأمر على الاباحة معلوم بالقرينة لمقدمة تنسخ الحرمة ، ويلاحقه وجود الاباحة •

وكذا فى قوله : (كلوا واشربوا ولا تسرفوا) يعلم بقرينة أنه ليس أمرا بالمفترضات والشرائع ، وانما هو لمجرد الاباحة ، وكذا فى قوله تعالى : (فأتوا حرثكم أنى شئتم) يعلم بقرينة المقدمة من القصة المتنازع فيها ، وما لم تقم القرائن فهو على الوجوب ، والله أعلم •

*** مسألة :**

ومنه : ويوجد من بعض الآثار قيل : انما يعبد الله من يعرف ما الله ، وأما من لم يعرف ما الله فانه يعبد غير الله ، ومن عبد غير الله فقد أشرك بالله ، ثم لا يدرك بعقد ضمير ، ولا باحاطة تفكير .

وقيل : من عبد الله بتوهم القلب فهو مشرك ، ومن عبد الاسم دون الصفة لا بادراك ، فقد أحال على غائب ، ومن عبد المعنى بحقيقة المعرفة فهو مؤمن ، تفضل علينا بين لنا صفة معرفة الله تعالى ، وما على العبد فى ذلك فى جميع ما تعبده الله به من الفرائض واللوازم ، وغير ذلك ، وخصوصا قليل العلم ، وما تأويل عبادات غير الله ، وما معنى من الله بتوهم القلب ، ومن عبد المعنى بحقيقة المعرفة ؟

قال : أما قوله لا يعرف ما الله فهو غير صحيح ، ولا يجوز لأحد أن يدعى أنه يعرف ما الله ، ومن عبد غير الله فقد أشرك كما قالوه ، ومن عبده بتوهم القلب أى اذا توهمه القلب صورة يتخيلها فعند ذلك الخيال الوهمى ، وهو مشرك كما ذكره .

ومن عبد الاسم فقد أحال على غائب ، لأن حقيقة الاسم هى غير المسمى ، اذا أراد بالاسم نفس الكلمة والحروف المقطعة ، أو الصوت المسموع ، فهو غير الله تعالى ، ولهذا قال : قد أحال على غائب .

ومن عبده بحقيقة المعرفة ، أى عبد المسمى وهو الله تعالى بحقيقة معرفته فهو مؤمن ، وهذه معان يستغنى الضعيف عنها ما لم يخطر بباله شىء منها ، فيعتقد خلاف الحق فيها ، فلا يعذر وإلا فهو مؤمن بمعرفة الله ، والايمان به من دون بحث عن مثل هذه ، والله أعلم .

* **مسـألة :**

ومنه : نقلت من كتاب الشيخ القسيمى فى هذه الأسماء المستجازة ، ظننا مع أهل الخلاف لدين المسلمين المسمى بها سبحانه وتعالى ، كقولهم : خافض وقابض بالخاء المعجمة ، ورافع ومذل ، ووكيلى أنت يا وكيل وولى واجد بالجيم المعجمة ، ويا نور ، ووالى وجامع ، وضار ونافع بغير تعليق منها ، أو شىء لها لشىء آخر من المعانى اللائقة بها إن كان بعضها ما يدل على جواز تعليقها كغيرها مما ماثلها ، تفضل دلنا على الجائز منها ؟

قال : هذه أسماء وصفة للرب تعالى ، ومختلف عند علمائنا أنها أسماء أم لا ، وفى بعض القول أنه لا يجوز اطلاق القول فى التسمية له بالقابض والخافض والرافع والمذل ، والواجد والوالى والنور ، والجامع والمانع والضار والنافع .

ولا أعلم فى الوكيل والولى إلا أنهما اسمان ، وكذلك النور على الصحيح من القول ، وباقيها لوضعها سبحانه وتعالى وتجريدها على العلائق جائز خلافا لمن منعه ، والتقييد مفيد لرفع شبهة الاختلاف ، ولكن فلابد من شرط آخر يحسن التنبيه عليه ، وهو أن يكون الواصف سليم الفؤاد من محجور الاعتقاد .

وعسى أن أزيدن شرحا آخر ، وهو أن يكون عارفا بمعنى تلك الصفة المدعو بها ، على اعتقاد منه صحيح فيها ، والشرط الأول واجب ، والثانى مندوب ، لكن لشدة دعاوى التحريض ، على قريب من الوجوب ، لئلا يخرج ذلك منه على معنى العبث فيقول على الله تعالى بما لا يعلم .

وذلك ما لا يليق أن يبارز به أدنى ملك بكسر اللام ، فكيف به فى

الحضرة الالهيـة ، ولكل اسم أو صفة منهـا أغـوار وأسرار ، وحقائق ودقائق ، يتفاوت فيها الرجـال لسعة الفهم على سـبيل الاستعداد ، وكل ميسر لمـا خلق له ، وهذه التفرقة بين الاسم والصفة بناء على أن الأسماء توقيفية ، والا فكل الأسماء الالهية انما هى فى الأصـل صفات كمالية وجلالية أو جمالية ، ولا رابع لهـا إلا فى اسـم العلم الذاتى ، وتلك الصفات أيضا على اختلافها إما صفة ذاتية ، وإما صفة فعليـة ، ولا ثالث لذلك فيما قيل ، وليس هذا موضع بسط ذلك •

سؤال للشيخ الربانى سعيد بن خلفان الخليلى شعرا :

أيا شـيخنا نـور الجهـالة والعمى
ومن كان بالعـلم الشريف مكـرما

ومن للـورى أضحى ملاذا وملجـأ
ومهما ظـلام الجهـل فيهم تدلهمـا

أضـاء بنور يبهـر الشمس ضـوء
سعيد بن خلفـان الذى للعـلى سما

ومـاذا تقـول فى مقـالة ربنـا
فلمـا تجـلى ربه خـر فاعلمـا

فكيـف تجليـه وكيف ظهـوره
وكيف اندكاك الجبـل حيث تهـدما

وكلم ذو الملك العظـيم عبيـده
فكيف ترى من ذى الجـلال التكلما

أفـدنى فانـى فى ظـلام مدلهـم
وأرجـوك أن تكشـف ظلاما مدلهمـا

ويا سيدى هب لى جوابا مصرحا
فانك للظمآن ماء من السما

الجواب :

مثال تجلى ربنا مثل قوله
تعالى وجاء الرب مع ملك السما

ومثل أتاهم حيث لا يحسبونه
لحرب النظير من يهود بهم عما

بمعنى أتاهم بأسه وكذلكم
تجلى عليه أمره فتهدما

وليس تجليه يفيد انكشافه
بذات له جل الإله وكرما

وأما كلام الله للعبد فاقتبس
حقائقه من قول خالقنا وما

بشر قد كلم الله جهرة
ولكن يوحى أو حجاب له عمى

كما قد أكن النطق فى العوسج الذى
به كلم العبد الكليم وألهما

فكانت حجابا فى الخطا ومظهرا
بنفس كلام الله يا صاح فافهما

*** مسـألة :**

ومنه : الغزالى نفى المثل وأبقى المثال ، فقال بالرؤية محتجا بالمثال ، من جبريل فى صـورة دحية ، ورؤيا المنـام من النبى صلى اللـه عليه وسـلم ؟

قال : هذا رجل قاس اللـه بالملائكة ، وهـذا باطل ، والله لا يقاس بشىء ، ومن عرف نفسـه فقد عـرف ربـه ، فان كان الروح لا يمكن رؤيتها ، ولا أن تنقاس وتشكل فكيف خالقها .

الثانى : يمنعه ظاهر القرآن : (لا تدركه الأبصار) فان كان الادراك الاحاطة ، فالاحاطة بالشر غير ممكنة ، فكيف هذا التمـدح ، ولو جاز ذلك لجـاز أن يقال فى : (الرحمن على العرش اسـتوى) أن يـكون الاستواء على ظاهره ، وانما المستوى هو المثال ، وهو المعبر عنه بالله ، وكـذلك فى القول فى : (يوم يكشـف عن ساق) فلا غـرو حينئذ أنـه موصوف باليد والرجل ، والعين والتشكيل ، وهذا باطل فكيف للغزالى بتأويل خلق الله آدم على صورته ، فالاضطراب ظاهر ، ولذلك مفهـوم قول ابن الفارض كما قال الغزالى .

الثالث : هذا المثال هو شىء خلقه الله أم هو خالق ، فان كان شيئا خلقه الله فتجلى ، فهل يجـوز أن يعتقد فى هذا المخلوق أنـه الخالق ، وان كان غير مخلوق فكيف سماه مثالا ، ولم يقـل هو ذات اللـه على الحقيقة ، فبهذه الأقيسـة ينكشف التلبيس ان شاء الله والسـلام .

ومن كلامه رضوان الله عليه :

سـبحانه من ليس يـدرك ذاتـه
نظـرا بعـين للـذوات مكيفـه

خلـق العقـول لتهتـدى بصـفاته
للـذات كى للـذات قد ينهى الصـفه

يا من يقـول برؤية المـولى الـذى
قـد جـل عن أبصـارنا المتكلفـه

مهـلا هديت دع المـراء على الهـدى
واخلـع بهيمـى الصـفات المتلفـه

والبس صـفات مقـدس ملكية
تكسى من الأنـوار أصـفى ملحفـه

من همـه التجـريد فى طلب الهـدى
لـا ردى التجـريد كان مخـوفه

قسـما بمبلغ نـور عقـل بالـغ
أفـق السـما وسما لاسمى مزلفه

لـم ترتض التقليـد دون تحقـق
إلا لرسـل اللـه تتلـوا مصحفه

فلئن تـكن من هـؤلاء مهـذبا
طـاب الخطـاب مبرهنـا عن معـرفه

وان أطـرحت العقـل خلقـك معرضـا
عن شـاهد العقـل الـذى لن يخلفه

فعـديم نـور العقـل غير مخاطب
إذ قـد تشـبه بالحمير الموكفـه

ولقد أقـــول لمن تكامـــل عقـــــله
اســمع براهينـــا أتت لك منعمـــه

يا معنـــوى خـذ البيـــان مطـــابقا
للآى بالتأويـــل عمـــن عـــرفه

فارجـــع الى آى الكتـــــاب فانـــه
قـــول سـديد ليس فيـــه زخـــرفه

لا تعص فى معنى ولا لفـــظ بـــه
فتقـــوم بالتكميـــل يا من أنصـــفه

ان كان فى الآيـــات ناظـــرة كمـــا
قالـــوا فهـــل فى الآى ذكـــر البلكفه

وعـــن النبى رووا تـــرون إلهـــكم
كالبـــدر لا غيم عليـــه اســـتكنفه

أترى مقالهـــم بـــلا بكيف ســـوى
افـــك يـــراد لقـــائس ما أســـخفه

لو كان منظـــورا وغـــير مكيف
لنفى الالـــه الكيف اذ أبقـــى الصـــفه

فعـــلام تأنف أن تكـــون مكيفـــا
وهـــو الـــذى التكييف لـــن يستنكفه

اذ كل منظـــور فـــذاك مكيـــف
إلا فهـــات دلالـــة عـــن معـــرفه

من أبطــــــل التكييف هــل أبقى لــــه
نظــرا بعـــين نحــوه منتشـــــوفه

أما بـــلا نظـــــر ولا كيــــف لــــه
أو قـــل برؤيــــة صـــورة منكيفه

فالآى ما قالـــــت بـــــــلا كيــف ولا
قال الرســـــول به فمــن ذا أردفـــه

فانظـــر لنفســـــك ما تـــرى تشبيهه
أولــى أم التقـــديس عن تلك الصــفه

فالآى بالتأويــــــل قابـلة عــــــلى
أصــــــل صحيح ليس فيــه عجــرفه

ولئــــن تصـــــر مكابـــرا ومكاثـــرا
متهــــاترا بمقـــــــالة مســــتهدفه

قــم هــــات لــى من بحر علمــك حجة
تهدى الهـــدى ان لــم تكن تكلفـــه

من نـــــــور عقـــــل أو قيـــاس تفلسف
أو راســخ فى الشــــرع أو متصــوفه

إنى لـــــذو عقـــــل ربيـــط ثاقـــــب
متـــــذرب بشــــــريعة وبفلســـفه

وطريقــــــة ممـــــدودة بحقيقــــــة
لســــنور أعـــلام العـــلوم مكشـــفه

عنـــدي لـــكل مخاطــــــب كخطـــابه
لجـــــوابه برهـــان صـــدق المعـــرفه

يا من تفلســـــــف كي يخلص نفســـــه
من ســـجن هاوية الكثيف المتلفـــــــه

اســـــمع هـــديت مقـــــدمات قياســـــنا
فاستنسخ البرهـــــــان عنـــه منصفه

أنى ترى فمـــــن يرى من لـــــم يـــكن
عـــرش ولا فرش لــــــه مســـــتكنفه

من كان في كـــل المـــكان وما لـــــه
أبـــداً مكان كان فيـــــــه مزلفـــــــه

من لا يــــرى أجفـــانه أيرى الـــــذى
أدنى لــــه من عينــــه اذا زلفـــــــه

أدركـــــت بالكلـــــــى والجـــــرى أم
لجـــــــــواهر أعراضــــها متخلفــــه

أم مـــــدرك للجنس أم للنـــــــــوم أم
فصـــــل بقـــول شـــارح قـــد صرفه

أم كان منظـــــورا بلا ماهيـــــــــة
أبنيــــــة حيثيــــــة متكلفـــــــــه

كميـــــة متــــــــوية محـــــــــدودة
بتحيـــز عـــن وجهـــــة متعـــــــرفه

المـدركات الخمس من سـمع ومن
بصـر ومن شـم ومن ذوق الشـفه

واللمس كل باطـل فى حقـه
قل لى فمـا هذا المجـادل من خرفه

هـل فصـله أوجبـت أم هل وصـلة
هـل أدركتـه النظـرة المتشوفه

ان قلـت رؤيتـه مخالفـة لـذا
قـم فأت بالبرهـان حتى نعـرفه

أو قلـت قـال اللـه هـذا ناظـر
شرفـا وذلك وراجحـا أوقفـه

فأقـول هـذا القـول يفهمـه امـرؤ
من أهـله قـد ذاق منـه مرقفـه

متجـرد متفـرد بعنـاية
أنس الوجـود من الشهود فخلفه

فى حضـرة قدسـية انسـية
حبيـة قريبـة متزلفـه

قد زاحـم الأمـلاك فى أفلاكهـا
فى مقعـد الصدق الذى ما ألطفـه

فالوجـه منـه ناظر بشـهوده
حـق اليقـين لذى كمال المعـرفه

بلغ العيان بغير عين بل لـه
كمل الكمال الكامل ما أعرفه

بالذوق أهل الشوق تعرفه فذق
فاشرب والا فاسأل المتصوفه

او كان مقطوع الشهود بداره
الأخرى لأودى بالغموم المدنفه

ولمن يكون عن الشهود بمعزل
فهو الحجاب له فدع من كيفه

جهلوا وربك ربهم وتنصلوا
عن عقلهم وتستروا بالبلكفه

حجبوا بدنياهم وأخراهم عن
المولى بأستار الضلال المسدقه

ولئن جهلت الآى ما تأويلها
بالحق فالكشاف ذلك كشفه

فيه براهين اليقين تقومت
لا شىء منها عن هدى متحرفه

فانظر اليه واقتبس أنواره
واسمع هداه واسمع ما أسلفه

الله أكبر بالشيخ زمخشر
ته بين أرباب العلى بالمعرفه

فلأنت بـدر فى سـماء بلاغـة
لا مطمـع لمعارض أن يخسـفه

منى السـلام على امرىء طلب الهدى
لخـلاص نفس من ردى متخـوفه

* مسـألة :

عن الشيخ العالم سلطان بن محمد البطاشى :

باسـم الله والحمد لله ، وصلى الله على رسوله وآله وسلم .

وبعد : فالمثبتون لرؤية البـارى ، والنافـون لها كلهم يحتجـون بقوله تعالى : (ولكن انظر الى الجبـل فان استقر مكانه فسوف ترانى) على اختـلاف بينهم فى التأويل .

فقال المثبتون : انه تعالى علق الرؤية باستقرار الجبل ، وهو أمر ممكن والمعلق بالممكن ممكن .

وقال النـافون : انه سبحانه وتعالى علق لرؤية استقرار الجبـل حـالة التجلى ، وهو محال ، والمحـال بالمحال محال .

قلت : وجه استدلال المثبتين أنهم نظروا الى استقرار الجبـل من حيث هو هو فجعلوه ممكنا ، ووجـه استدلال النافين أنهم نظروا الى استقرار الجبل حالة التجلى ، فجعلوه حالا ، ولا يخفى على من سلك طريقه الانصـاف ، ولم يركب متن الاعتسـاف ، أنه سبحانه لو أراد امكان الاستقرار لـما أتى بعده بقرينة التجلى ، الذى يستحيل معـه الثبوت والقرار ، ولجاء بالكلام على وتـيرة واحدة ، كأن يقـول : فلما نظر الى الجبل اندك ، ولكنه أتى بقرينة التجلى اللاحقـة للدلالة

على أنه مـراد منظور اليه فى الآية السـابقة ، فيكون التقدير فيها ، ولكن انظر الى الجبل حـالة تجـلى رب العـزة له هل يثبت أم لا ؟ فان ثبت مكانه فسوف ترانى •

وكذلك يتصـل الكلام ويتلاءم ، ويأخـذ بعضه بحجزة بعض ، فيكون من باب التعليق بالمحال ، والا تفكك الكلام وتنافر ، فلم يكن بين الاسـتدلال وبين التجلى طباق ، وخـرج النظـم عن الالتئـام والاتساق ، فليذق كل ذى ذوق سليم • شعرا :

ومن يـك ذا فـم مـر مريضـ
يجـد مـرا بـه المـاء الـزلال

غـيره :

وكم من عائـب قـولا صحيحـا
وافتـه من الفهـم السـقيم

والله بكل شىء عليم •

*** مسـألة :**

وعنه : قال رحمه الله : عندى أن قوله : وما ذاته الا صـورته ، وليس له صورة كلام لا يجـوز يخرج منه على المولى الجليـل معنى التعطيل ، لأن تفسـير ذاته بصورته ، مع نفى الصورة عنه ينتج نفى الذات أى ذاته صـورته ، ولا صـورة له ، ولا ذات ، والله أعلم •

وقد عهدتك كثير السؤالات عن دقائق الأمور خاصة فيما يتعـلق بالبارى سبحانه وتعالى ، فاياك وامعان النظر فى تدقيق ذلك ، فانـه مخطر جدا ، وقد جـاء فى الحديث أو الأثر : « تفكروا فى الخـلق ولا تتفكروا فى الخالق » فاحسم خواطر بالك مثل ذلك ، خـوفا أن تودى بك سلمك الله الى شىء من المهالك • رجع الى كتاب التمهيد •

* مسـألة :

ومما يوجد فى كتاب الأحياء فى التوحيد يقول : وانه فى ذاتـه معلوم الوجـود بالعقول ، مرئى الذات بالأبصـار نعمة منـه ولطفا وبالأبرار ، فى دار القرار ، واتماما منـه للنعيم بالنظـر الى وجهـه الكريم ، هذا الكلام يوافق أم لا ؟

نعم : هو موافـق لمذهبهم السـقيم ، وأما عنـد أهل الحـق فلا يستقيم .

* مسـألة :

ومنه : ومن كلامه : وان موسى عليه السلام سمع كلام الله بلا صوت ولا حرف ، كمـا ترى الأبرار ذات الله تعالى فى الآخرة من غير جوهر ولا عرض ، ما تقـول فى هذا الكلام عرفنى وجـه الحـق ؟

الجـواب :

هو كما سبق .

* مسـألة :

ومنه : وما تقول فى رجـل تتصور له ذات الله تعالى فى قلبـه ، ماذا يفعـل هذا الرجل أيكفيه الاستغفار ؟ واذا عارضه مثل هذا يكون يـرد نفسـه وينزه مـولاه عن التشـبيه ، أم لا ؟ أم كيف يفعـل ، علمنـا مما علمك الله ، نسأل الله السلامة لنا ولك ؟

الجـواب :

يكفيـه أن يكره ذلك بقلبـه ، وأن يعتقد أن الله منزه عنـه ، والله أعـلم .

* مســـألة :

ومنه : وما يوجد فى كتب القوم اثبات رؤية البارى ، فكيف يكون اعتقاد القارىء عند قراءته اياها عند الناس ؟

الجـــواب :

يعتقد باطلهـا وعـدم حقهـا ، ومنع جـوازها ، وأما قراءتهـا مع الناس ، حيث لا يخاف الفتنة منها عليهم ، فجائز ولا سيما ان كان لغرض يبيح ذلك ، والله أعـلم •

* مســـألة :

ومنه : ومما عن قومنا : ولا يكلف العبد ما ليس فى وسعه ، سواء كان ممتنعا فى نفسه أى محالا فى العقل لجميع الضـدين ، أو ممكنا فى نفسه لكن يمتنع بالنسبة الى العبد كخلق الجسم •

وأما ما يمتنع بناء على الله تعالى علم خلافه أو أراد خلافه كأيمان الكافر ، وطاعة العاصى ، فلا نزاع فى وقوع التكليف به لكونه مقدورا للمكلف بالنظر عليه الى نفسه ، ثم عـدم التكليف مما ليس فى الواسـع متفق عليه ، لقوله تعالى : (لا يكلف الله نفسـا الا وسـعها) والأمر للملائكة فى قوله : (ايتونى بأسماء هؤلاء) للتعجيز دون التكليف •

وقوله تعالى حكاية : (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنـا به) ليس المراد بالتحميل هو التكليف ، بل ايصـال ما لا يطـاق من العوارض اليهم ، وانما النزاع فى الجواز فيمنعه المعتزله بناء على القبح العقلى ، وجوزه الأشـعرى ، لأنه لا يقبح من الله شىء . وقد يسـتدل بقوله تعالى : (لا يكلف الله نفسا الا وسعها) على نفى الجواز ، وتقديره : أن لو كان جائزا لـما لزم من فرض وقوعه محال ضرورة أن استحالة

اللازم توجب استحالة الملزوم ، تحقيقا لمعنى اللزوم ، لكنه لو وقع لزم كذب كتاب الله تعالى وهو محال ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : أن الأليق فى صفة الله تعالى أن يقال : ان الله لا يكلف العبد مالا يطيقه ، لا أنه لا يجوز لقبح ذلك ، ولا أنه يقبح فى صفات الله تعالى ، ولكن لأنه حكيم ، وليس من صفات الحكيم أن يكلف العبد فعل شىء يعلم أن عبده معه فى المستحيل فى قدرته كون فعله منه ، لأنه من العبث ، والله سبحانه وتعالى منزه عن فعل العبث ، وعما ينافى صفات الحكيم ، فاعرف ذلك .

وقال أيضا فى موضع آخر : ان الله تعالى كيف ما فعل بعباده فلا يكون ظلما ومراده هذا لو عذب الطائع ، وأثاب العاصى ، لم يكن ذلك منه ظلما ، لأن الظالم هو المتعدى الى ما لا يجوز له ، ولا يجوز على الله تعالى واجبا عليه شىء ، فلا يلزمه شىء ، ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ، ولهذا مثال حيث أجاز الله للعباد ذبح ما يجوز أكله من الدواب مما لا يتعدى على الانسان بشىء ، نحو الغنم ، فترى العبد يكرم شاه بين الغنم ، ويترك الأخرى ، وقد تآلفه أكثر التى ترك اكرامها ، ويذبح المطيعة ويترك العاصية التى ان دنا منها نطحته .

وحيث أجاز الله له ذلك ، لم يكن فى نظر العقل فى ذلك ظلما ولا جورا ، ولا خلافا للحكمة العدلة ، واذا كان هكذا للانسان ، فانما كان ذلك كذلك من حكم الله فى ذلك ، فالله قد فعل ما ذكره هذا فى الحيوان بحكمه ، فلو فعل هو كذلك بعذاب أهل طاعته ، وثواب أهل معصيته من العباد ، لم يكن منه ظلما لهم ، ولا فعلا قبيحا فيهم ، ولا مخالفة للحكمة العدلة فى تدبيره .

وكذلك لا معنى لقولنا : ولو فعل ذلك لأنه قـد أجازه فى بعض الحيوان ، كما بين ولكنه لما أخبرنا أنه لا يعاقب المطيع ، ولا يثيب الكافر ، وأن حكمه أجراه فى خلقه من أطاعه له الثواب ، ومن كفر به فعليه العقاب ، كان من المستحيل فى وصفه أن يختلف ذلك ، وأن لا يكون ما أخبرنا أنه سيكون فاعرف ذلك •

وهذه المسألة أصلها من الممكن ، وواجب علمها بالسماع أولا ، وهى مما تقوم الحجة بمعرفة صحتها من العقل بعد السماع بذلك ، وهى التى خالفنا فيها أصحابنا رحمهم الله تعالى ، وسيأتى البيان فى ذلك ان شاء الله تعالى • انتهى •

قلت لشيخى وقرة عينى قدوينى أبى محمد سعيد بن خلفان بن أحمد الخليلى : ما تقول فيما أتى هنا عن قومنا ، وفى قول شيخنا العلامة ناصر بن أبى نبهان فى هذا ، فانه قد اشتبه علينا قوله الأول بالثانى لقلة علمنا ، وركاكة فهمنا ، والله نطلبه الاعانة والتوفيق ، تفضل أبن لنا ما هو الحق فى ذلك ؟

بيـــان :

وقد وجدنا شيخنا ما نصه ، هذا عن الشيخ الكدمى رحمه الله ، فلن يكلف الله العباد مما ألزمهم فى دينه الا ما بلغتهم الحجة به من أمره ونهيه ، لأنه شاء ذلك بفضله أن يعبد ببيان وأعذار وانذار ، ولو شاء غير ذلك كان ذلك منه عدلا كما كان هذا منه فضلا •

وتقول : أن لو عذب العباد على غير حجة ولا ابلاغ دعوة ، ولا اعذار ولا انذار ، لكان فى جميع ذلك عدلا ، كما كان فى هذه المن متفضلا ، ولكن شاء بفضله وكرمه أن يكون ما شاء من ذلك فكان ، فسبحان ذى الفضل والامتنان ، والجود والاحسان • انتهى •

قال : ان قول الشيخ ناصر بن أبى نبهان فى هـذه المسـألة ، هو عين قول الشيخ الكدمى فيها ، وكلامه فيها أولا وآخرا كله كلام محكم جار على نهج واحـد ، وأسلوب مستقيم ، فلا غبار عليه فيه أبدا ، لأنه قال فى أول المسألة : ان الاليق فى صـفة الله تعالى أن يقـال : الله لا يكلف العبد مالا يطيقه ، لأنه لا يجوز لقبح ذلك ، ولا أنه يقبح فى صـفات الله تعالى ، وهـذا معنى قوله فى الأخير : إن الله تعالى كيف ما فعل بعباده فلا يكون ظلما ، وهو معنى قول الشيخ أبى سعيد لو عذب العباد على غير حجة ، ولا ابلاغ دعوة ، ولا اعذار ولا انذار ، لكان فى جميع ذلك عادلا ، والله أعلم فليتأمل •

قلت له : وهل يصح عندك ما قالته المعتزلة فى هـذا ، فيعـذر أبا حسنا ، وهل يؤيد ما عنهم فيه قول بعض أصحابنا ، أن معانى الوعد والوعيد تقوم بها الحجة من العقل ، اذا ذكرت أو بالبال خطرت أم لا ؟ فتفضـل ببيانه مفصـلا جزاك الله خيرا ؟

قال : الله أعـلم ، وأنا لم يبن لى ما ذكرت من القول ، أم أن القول بأن الوعد والوعيد تقوم بهما الحجة من العقل أنه خـارج على معنى قول المعتزلة ، ولا أعرف ما وجـه ذلك ، وكفى بهذا الجـواب مسألتك ، لكن عسى أن أزيدك ما يمكن أن يفيدك من معانى هـذه المسألة العظيمة الشـأن ، المحتاجة الى البيان •

فأقول : ان أصل النظر فيها من وجهين ، لأن مدارها على قطبين ، وهما الحقيقة والشريعة ، ولكل منهما فى الاعتقاد مدخل ، وفى الحـكم موضع ، وللقول مساغ ، وكلاهما فى الحق له أصـل ، وفى الحـكم له فرع ، فأما من تكلم فى الحقيقة وبنى الحـكم على أحـكام الحقائق قال فيها ما ذكرناه عن الشيخين الكدمى والخروصى ، المشار اليهما فى هـذا الجواب المذكور آنفا ، وهو فى حق بابه غير خارج من صـوابه ، فهو كقول عيسى عليه السلام : (ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحـكيم) •

قيل : لم يقل انك الغفور الرحيم ، لأنهم ليسوا ممن يستحق الرحمة ، ولا يستأهل المغفرة ، لاصرارهم على الشرك ، ومجاهرتهم بالكفر ، لكنه بحسب استغراقه فى مشاهدة جلال الله وعظمته وكبريائه ، قال ذلك بمعنى أنك لو غفرت لهم ، وان كانوا غير مستأهلين فان ذلك لا يقدح فى حكمتك ، ولا ينقص من عزتك ، فانك قادر على كل شيء حكيم فى كل حالة غير مغلوب ولا مقهور ، فلا تحكم عليك فيما تفعله : (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) .

ومن مثل هذه الآيات العظيمة ، والمعانى البديعة ، اقتبس شيخنا الكدمى جزاه الله خيرا القول بأنه لو أثاب العاصى ، أو عاقب المطيع ، لم يكن ذلك منه ظلما ، وتبعه على ذلك الشيخ ناصر بن أبى نبهان جزاهما الله خيرا ، وأما من نظر فى الأصول الشرعية ، بحسب القواعد الفقهية ، وبنى الجواب على الأحكام الظاهرية .

قال : ان الله سبحانه وتعالى قد نزه نفسه ، وتقدس عن أخذ العباد بغير ما يستأهلون من العقوبة فى حكم الظاهر ، وقد نفى ذلك عن نفسه ، وتبرأ منه لأنه فى صورة الظلم ، وان كان مقتضى الحقيقة غيره ، فان حكم الظاهر ينجل على كونه ظلما ، ويجوز اطلاقه فى التسمية كذلك بحسب المشروعية ، وأى محاذرة من ذلك بعد ما أخبر الله عن نفسه أنه لا يفعله ، وأنه ظلم لو فعله ، قد أخبر الله عن نفسه فى غير موضع عن كتابه .

قال تعالى : (ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد) فأخبر أن العقاب بما قدمته الأيدى من العباد ، وأنه لم يعذبه بغير استحقاق ، ولا جازاهم بغير ذنب ، وقد بالغ فى نفى ذلك عنه بقوله : (ان الله ليس بظلام للعبيد) فدل بمعناه بمالا

يشك فيه عاقل له أدنى معرفة بأسلوب الكلام أن لو عاقب بغير ذنب ، كان ذلك ظلما والا فلا ، معنى لذكر الظلم ونفيه عن نفسه هاهنا البتة .

ومثلها قوله تعالى : (وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) تفيد أن اهلاك أهل القرى المصلحين ظلم ، والله منزه ، والا فلا معنى لقوله : (بظلم) وهو يعلم أنه غير ظالم لو فعله ، لكن من عظيم لطفه ، وجميل عدله ، سماه ظلما أن لو كان منه ، ولا يكون ذلك منه قطعا .

قال الله تعالى : (أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون) وقال تعالى : (أم نجعل المتقين كالفجار) وفى الحديث ، عن النبى صلى الله عيه وسلم فيما يخبر به عن ربه تعالى : « أيحسب راعى ابل وغنم حتى اذا جنه الليل أوى الى فراشه ، وانجدل أن أجعله كمن يبيت لى ساجدا ، أو قائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، وأنا الحكم العدل » فان الآيات متظاهرة ، والأحاديث متظافرة على أن التسوية بين المسلم والمجرم ، والتقى والفاجر ، والشقى والسعيد ، ليست من العدل فى شىء ، وان عقوبة المطيع ظلم ينزه الله عنه .

كما أن ثواب العاصى والقول به غرور محض ، وأمانى نفوس كاذبة ، يجب تنزيه الله عنها ، ففى الحديث : « أن الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز ممن أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى » ، فالمعتزلة قولهم فى هذه المسألة بهذا ، ولا خلاف بيننا وبينهم فيها ، وان وجدت تلك العبادة عن الشيخ أبى سعيد ، فانه من باب اطراد القول على معنى الحقيقة ، وليس بمذهب ، فان كتبه مشحونة ، وآثاره جزاه الله خيرا مصرحة بهذا فى غير موضع ، بأنه مما تقوم به حجة العقل ثواب المطيع ، وعقوبة العاصى .

وأن الله تعالى لا يكلف العباد غير ما فى وسعهم ، وأنه لا يجوز عليه عقوبة المطيع ، ولا ثواب الكافر ، لأنه ليس من العـدل ، وما خرج عن هـذا فهو من باب التقدير والتصوير ، أن لو كان ذلك ، ولكنـه بالقطع لا يكون ، لأن الله قد أخبرنا بهذا عن نفسه •

*** مســألة :**

ومنـه : أيجوز أن يقال : ان الله يرزق الحرام أم لا ؟

الجــواب :

قـد قيل : ان الحلال والحرام كله فى الأصـل من رزق الله ، كما أنه من خلقه ، وهل من رازق غير الله ، ولكن يمنع أن يقال : ان الله يرزق الحرام لأنه سبحانه وتعالى منزه عن أن يسمى أو يوصـف بغير الأسماء الحسنى ، والصـفات الجليلة بدلالة قوله تعالى : (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بهـا وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) ومن الالحاد فى أسمائه أن يوصـف بقبيح أو يسمى به ، وكل مستقذر فى العقل والطبع ، فالله تعالى منزه عنه ، فلا يقال : انه أزنى ولا أسرق ولا أربى ولا أفسد ، ولا رزق الحرام ، ولا دبر الظلم فى الأرض •

كما لا تضـاف أسماؤه الى شىء من القاذورات ، فلا يقـال : يا خـالق البول والغائط ، لا يدعى بذلك ولا يسـمى به ، اذ ليس من المستحسن بأن يدعى أنه خالق القبيح ، ولا يوصـف بأنه فاعل الشر ، ولا يسمى بأنه مقدر الفحشاء والمنكر ، ولا أمر بهما ، ولا رضـيهما ، ولا أحبهمـا ولا اختارهما ، لأن الله لا يحب الفساد ، ولا يأمر بالفحشاء ولا بالمنكر ، وهو لا شـك أنه خالق السموات والأرض وما فيهن ومن فيهن ، فكل شىء من خلقه ، وكل حسن أو قبيح ، فهـو شىء والشىء

فى الوجود سواه ، الا وهو من خلقه ولا يصـل اليها شىء من الانفع الا وهو من رزقه فهو بالنسبة اليه حسن ، وانما الحـلال والحرام من الطـوارىء الحكمية المتعبد بهـا ، فقـد يكون الحـلال حراما فى حق المتعبد بحرمتـه دون الآخر ، وكله من رزق الله ، وانما يعـذب بأحـكامه ، ويعاقب على عصـيانه ، وانتهاك أوامره ، وتعدى حدوده لا على رزقه ، ولا بسبب خلقه ولا بجـور منه ، ولا بفساد ولا ظلم ، وما ربك بظلام للعبيد •

فانظر يا أخى كيف منع شرعا ما هو حق فى الحقيقة ، وانما ضرب دونه حجاب الآداب ، واعترض على طريقه سد الاحترام لمقام ذى العزة والجـلالة أن يتفوه لسان بمـا لا يحسن فى صـفاته ، ولا يعـذب فى أسمائه وأفعاله دلالة على عظم جلاله ، وتنويها لكمال صـفات جماله ، واظهارا لتقديس أسمائه وتنزيه كماله ، فليقف كل ذى عقل عندما أبيح له من القول غير متجاوز الى ما جاز فى الاعتقاد أن يعلم وجوبا أنه منه وعنـه سبحانه ، فلا بد من طريقتين ، لمن رام الحقيقتين •

فالحقيقة تنادى بلسان حالهـا ، أن من كمـال الايمـان أن تؤمن بالقـدرن كله ، خيره وشره ، أى تعلم أنه من الله وعن الله ، اذ لا محرك فى الحقيقة ولا مسكن سواه ، بل اذا اعتبرت الأصـل ، وكشف لك الغطاء ، اضمحلت عند ذلك الآثار فى الشهود ، ولم يبق غير المؤثر فى الوجود ، فلا صـادر ولا وارد ، ولا سـاكن ولا متحرك ، ولا قبيح ولا حسن ، ولا شدة ولا رخاء •

وانما هى ضـمائر أسرار ، ومظاهر أنوار ، يتجلى فيها للمبصرين من غرائب التوحيـد ، ما يبهر العقول ، فلا بد من أن يربط عليهـا ، فتنقاد بسلاسل الشريعة اليها ، فلا يجوز التعـدى عن ظاهر ما أبيح فيها من قول أو فعل فافهم الفرق بينهما ، وتأدب فى مجالس الشريعة

بحدودها ، وتنعم من كؤوس الحقيقة بشهودها ، واعرف قـد ما صار اليك ، وانظر فيـه لتعمل بعـدله ، فقـد وافتك بديهة من دون رؤية ولا التفات الى تنظيم الألفاظ ، فى قوالب السبك بميزان البلاغة والحمد لله رب العالمين •

*** مســألة :**

ومنـه : وما قولك يا شيخنا فيمن سمع ثقـة أو غير ثقة يقول : ان الاله سبحانه اسمه الله ، أو اسـمه الرحمن أو الرحيم ، أو الكريم أو الغفور ، أو الودود أو الحميد أو المجيد أو الحـكيم أو المنان أو حنان أو غير ذلك من أسمائه ، سبحانه وتعالى ، فشك فى ذلك أيسعه ذلك ، اذا كان لا عـلم له به من قبـل بذلك أم لا يسـعه ، وهل فى ذلك اختلاف تفضـل ببيانه مأجورا ؟

الجـــواب :

قـد قيل انه اذا عرف الله تعالى بما يوحـده به من أى معنى ، أو صـفة كان فلا يضيق عليه عـدم معرفة الأسـماء ، ولو سـمع الأعجمى مثلا اسم الله من مائة ألف أو يزيدون من الثقات أو العلماء ، وهو لا يفهم ما يقولون ، لم يكن ذلك حجة عليه •

وكذلك غير الأعجمى اذا كان مؤمنا بدونه ، ولم تقم عليه الحجـة بمعرفته من كتاب الله تعالى ، فهو سالم ما لم تقم عليه الحجة به ، على سبيل ما تقوم به الحجـة فى الفتيـا فى باب المسـموعات ، على ما صرح به الأثر ، وكفى ، والله أعلم فلينظر فيه •

*** مســألة :**

ومما عن الشيخ ناصر بن أبى نبهان فنقول وبالله التوفيق : انـه

لا يلزم أحـد أمر المتعبدين واجب فى شىء قبل أن تنزل عليه بليته ، التعبد بوجوب آدائه من اعتقاد أو قول أو فعل ، أو ترك مع أن القول من الأفعال ، فهى ثلاثة أصـول ، وفى الاعتقاد مما تقوم به الحجـة بمجرد العقل ، أو مما تقوم به الحجة من العقل بعد سماعه ، أو ممـا لا تقوم بوجوبه الا بالسماع ، فذلك ثلاثة أقسام .

وما تقوم الحجة بوجوبه من الاعتقاد ، بمجرد العقل متى خطر بالبال معرفة وجود الله ، أو معرفة صـفة من صـفاته ، بعد معرفة وجوده واجبة له ، فيصـفه بهـا ، أو صفة مستحيلة عليه ، أو معرفة صـفة جائزة فذلك على ثلاثة أقسام أيضـا .

وما تقوم الحجة بوجوبه من العقل بعد سماعه من الرسل مجملا ، والكتب من الله على الاجمال ، والبعث والحساب ، والثواب والعقاب ، والملائكة وكل ما يلزم المتعبد الايمان به ، مما تقوم الحجة بوجوبه من حجة العقل بعد سماعه ، وهـذا القسم على معنى قولنا فيه هـذا هو على خلاف ما ورد فيه عن أصحابنا ، وما لا تقوم به الحجة الا بالسماع منـه اعتقـاد كاعتقاد نبى معين ، أو ولاية ولى معين ، أو البراءة من عـدو معين ، وما أشبه ذلك .

ومنها : فعل كالصـلوات المكتوبات ، والطهارة لها ، والوضوء ، وصـوم شـهر رمضـان ، والزكاة والحج على من لزمه شىء .

ومنهـا : ترك المحرمات ، ومن ورائهـا الوسائل الغير الواجبـة ، وسيأتى بيان ذلك فى الكتاب ان شاء الله تعالى ، فهـذه أقسام أحوال الدين فى اللزوم ، والعـذر من بعدها أقسام أخرى لهذه الأقسـام ، وتتفرع أقساما ووجوها وأنواعا ، وصـورا الى ما لا يحصى ، ولا ينتهى لهـا استقصـاء .

وبالجملة فلا يمكن أن يجب على عبد الله شيء ، ولم يعرف اللـه تعالى ، ومن عرف الله وجبت عليه طاعته ، فصح أنه أول واجب على متعبد معرفة الله تعالى ، مهما نزلت عليه بلية التعبد ، بمعرفته من واجب له فيصفه بالوجه الحق فى ذلك ، والتوحيد كله مما تقوم به الحجة بوجوب كل شيء منه ، بمجرد العقل السليم ، متى خطر بباله معرفته بشيء مما ذكرناه من الأقسام الثلاثة ، أو القسمين الأولين : الواجب والمستحيل ، دون الجائز ، فاذا فهم المعنى فى ذلك منهما ، فهما تامان وجب أن يصفه كما وجب عليه ، ولا ينفس عليه فى الشك مع الاعتقاد ؟

وأما معرفة ما تقوم به الحجة من العقل بعد سماعه على رأينا ، فيلزمه متى سمع بذلك من كل معبر عبر له ذلك ، لأن العقل قابل لثبوت صحة ذلك •

وأما ما لا تقوم الحجة بوجوبه الا بالسماع ، فكرسول معين وشريعته مما لا تقوم الحجة بوجوبه منها الا بالسماع ، فمتى قامت عليه الحجة بوجوب الايمان بذلك الرسول ، وجب عليه حجة الايمان ، ولم يصر مؤمنا بالله بعد ما كان مؤمنا حكمه بايمانه بالله ، واعتقاد الواجب له ، ونفى المستحيل عنه ، واعتقاد الطاعة له ، وأداء كل واجب عليه لله تعالى ، وايمانه بالقسم الثانى الاعتقادى ، الا أن يؤمن بهذا الرسول الذى قامت عليه الحجة ، بوجوب الايمان به ، ويصير مشركا لذلك الرسول ، والحجة قيل : تقوم عليه فى ذلك بكل معبر ، وقيل : لا تقوم الا بمن يكون ورعا فى دينه وقيل : بأمينين ، ولا يجوز الاختلاف فى العدلين ، ولكنى أحب بالعدلين فى قيام الحجة بوجوب الايمان فى غير رسول أرسل لا لغير أهل زمانه ، وأما فى رسول أهل زمانه فبأمينين ، يلزمه هذا اذا لم يشهر معه ذلك فى الوجهين ، فاعرف ذلك • انتهى •

قال الشيخ الخليلى رحمة الله عليـه : هـذا كله فيما معى غير خارج من الصـواب ، وان خالف فى بعض هذه المسألة أكثر أصحابنا ، فلس هو موضـع دين ولا بأس به ، والله أعـلم •

ومما قاله الشيخ ناصر بن أبى نبهان : على أثر ما عن قومـه فى الرؤية ، ولقد شاهدت رجلا من أصحابنا ممن انكب على قراءة كتاب الكشاف ، تفسير الزمخشرى للقرآن العظيم ، الذى فاق فى العالم على كل تفسير ، مما أورده فيه من الحـق المبين . لا فيما خالف فيه الدين القويم ، والصراط المستقيم ، ورأى فيه تفسير قوله تعالى : (قال رب أرنى أنظر اليك) حين قال له قومـه : (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) أن النبى موسى عليه السلام سأل ربه أن يريه ذاته ، كذلك أراد من ربه فى الظاهر لا فى الباطن من ضميره ، وأنه جـاز له ذلك مسامحة لقومه ، فاضطره الأمـر الى اجازة ذلك له ، لأنه عليـه أن ينقذهم من الهلاك الدنياوى عن هلاك أنفسـهم ، فكيف لا يكون عليه أن ينقذهم من الهـلاك الأبدى ، فيرخص بذلك ، أو لزمته اجابتهم الى ما أرادوا منه فى شرط ايمانهم به ، وجاز له لأنه يعـلم أن الله تعالى لا ترى ذاته ، فاعتقاده أن ذاته لا ترى ، ومعرفته بربه أنه كـذلك كافيه ، ومخبرة له أن لا يسأل الله أن يريه ذاته ، ويكون كذلك مراده حقيقة فى الباطن •

ومعى أن هـذا من الظلم العظيم ، والافك المبين ، فى وصـف النبى موسى عليه السلام ، فى ارادته ومطلبه من ربه ، بما يعلم أنه من المستحيل فى وصـفه ، الذى ، يجوز أن يوصـف به ، أو بما اعتقده أنه لا يجوز أن يوصف الله بذلك أنه شىء مرئى ، وأن هـذا كفر فيسأل الله بقصـد قلبه ، واعتقاده وضميره أن يريه ذاته ، وهو معـه أن الرؤية من خلقه مستحيلة ، وطلبه بما هو مستحيل منه كفرا ليس هذا من التناقض لمعرفته واعتقاده ، مع أن معرفة الله بصـفاته الحق مع

القول بما لا يجوز فى الله الصفات ، لا تنفع تلك المعرفة ، لأن المشركين يعرفون الله ويعرفون رسوله أنه رسول الله كما يعرفون أبناءهم ولم تنفعهم تلك المعرفة ، ولم تخرجهم عن اسم ، ولا عن حكم الشرك والمشركين الا باقرار باللسان مع اعتقاده بالجنان •

ومعى أن اعتقاده ذلك فى النبى موسى عليه السلام ، أنه طلب الله تعالى ما هو كفر يطلبه اياه أن قصده حقيقة كما قصده قومه حقيقة لا مخرج له من الاثم ، لأن الله لم يصفه أنه طلب رؤية ذاته فى الباطن ، بل وصفه انه قال : (رب أرنى أنظر اليك) والنظر بالعين الى الله النظر الى آياته لقوله تعالى : (ألم تر الى ربك كيف مد الظل) فجعل البارى سبحانه وتعالى رؤيتنا بالعين الى مدة تعالى الظل هو رؤيتنا الى الله بالعين وبالعقل ، فصح أن النظر بالعين والرؤية الى الله هو النظر ، وهى الرؤية الى أفعاله سبحانه وتعالى ، ومعرفتنا صفاته التى هى حقيقة المعرفة به لا غير ذلك ، بدليل الكتاب وبالسنة ، قول النبى صلى الله عليه وسلم : « العجز عن الادراك هو الادراك » ولم نعلم أن نبيا جاز أن يوصف أنه طلب من ربه بما هو كفر مطلبه مسامحة لقومه •

وقد قال الله تعالى : (الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان) ولا ضرورة مكرهة للنبى موسى عليه السلام فى هذا الموضع ، فصح أنه لم يسأل ربه فى الباطن إلا ما هو جائز له أن يسأله ، وليس هو غير أن يريه أن ينظر الى ربه أنه يقطع طمع قومه ، عن طلب رؤية الذات ، فأتى لفظ سؤاله محتمل المعنيين ، مندوحة لقومه ، وتمويها عليهم ، حتى يظنوا أنه طلب ما أرادوه منه ، وفى باطنه طلب من ربه آية يراها هو وقومه ، وفيها قطع طمعهم عن طلب الرؤية ، فجاء الجواب : (لن ترانى) على ما سألك به قومك (ولكن انظر الى الجبل)

لـما طلبت منى فى الباطن ، وفيـه تأكيـد لنفى رؤية الـذات قطعـا لطمعهم .

فقال : انظر بالعين الى الجبل ، فان استقر مكانه فسوف تـرى ذاتى بعينك ، فهذا هو تأويل الحـق الجامع ، لما طلبه موسى ولما طلبه قومه ، فاذا كان معه هذه المندوحة لقومه التى تصلح أن يسـامح بظاهرها قومه ، ويصلح لطلب ما هو جائز لـه ، فأين موضع الضرورة حتى يترك المعنى الجائز ، ويخلص المعنى الى معنى لا يجـوز ، وكفر من طلبه حقيقة ليس هذا من الضـلال البعيد ، فى وصف موسى عليـه السـلام فى مذهبه أن رؤية الله مستحيلة ، ووصف الله تعالى بها كفر ، ويهلك المرء مما خطر ذلك بباله ، وعرف المعنى ، ولا يعذر بالشـك فى الله بهذه الصفة أنه هو منزه عن ذلك أم لا ، ولا يعذر باعتقـاد السؤال مع الشك فى ذلك .

ثم ان صاحب الكشاف أتى فى هذا المعنى بوجهين : أحدهما معناه قريب مما اعتقده هذا الرجل فى موسى فى الباطل ، ورد عليه الجمـاعة قوله مسامحة لقومه ، أن قوله هذا باطل على قياد مذهبه ، لأن الرؤية باطلة وضـلال ، من اعتقدها فلا يجوز له أن يصف موسى أن يتسامح بسؤاله الى الله الباطل والضلال .

وانما يصح له أن لو كان مذهبه مذهب الجماعة المجيزون الرؤية فى الآخـرة لعباده المؤمنين ، وأن هذا مما هو محجـوج به ، وأن كلامه هذا ما يدل على جواز الرؤية ، والحق ما قاله الجماعة فى أنه محجوج ، وأنه مناقض لقـوله : ان رؤية ذات الله باطـلة ، أن لو صـح ما قاله أن موسى تسـامح فى ذلك ليبقذ قومه عن الهلاك الأبدى ، فلا يصح هذا ، لأن الحـق لا يقـوم بالباطل ، ولا الهـدى بالضلال ، مما لهذا المشـار اليه ما قاله الزمخشرى ، مما هو محجـوج فيه وكلامه يكون عليـه .

ثم أتى الزمخشرى بعد ذلك بوجـــه آخر من التأويل يصح له ، وأيضـــا أن الله سبحانه وتعالى مع ذكره لموسى عليه الســـلام فى سؤال ربه أن يريه ينظـــر اليه ، لم يذكر معه أنهم هم سألوه ذلك ، ولا تجلى ربه للجبل ، وخر موسى صعقا لم يذكر أيضا قومه ، مع ذكره له تعـــالى ما أصابهم ، ولم يذكر أيضا موسى عند سؤاله لربه أن يريه ينظر اليه بعينه قومه ، فلم يشركهم فى ذلك ، فيقول : ربنا أرنا ننظر اليك ، فقيل : لأنه عالم بما سيكون فى الجواب •

واذا جاء المنع له ، فقومه أشـــد منعا ، وأقطع لطمعهم ذلك وأبلغ لا يأسهم وهو وجـــه صحيح من التأويل ، ويحتمل لـــه وجهـــا آخـــر فيكونا معا ، وذلك أنهم أشركهم فى اللفظ لتوجه السؤال الى ما أرادوه هم منـــه لفظا ومعنى ، وذلك كفر صريح ، ولـــم يتوجـــه الى ما أراده موسى من ربه أن يريه أى ينظر اليه بعينه ، أى الى آية من آيات قدرته خارقة للعادة ، فيها دلالة على رؤية عبادك اليك فى الجنة بصفاتك التى عرفوها فى الدنيا •

وفيها قطع طمعهم عن السؤال فى هذا ، فتأدب فى حضرة ربه أن يشرك فى سؤاله سؤال أهل الجهل والضـــلال والباطل ، فلذلك أفـــرد السؤال لنفســـه مجردا عما طلبوه الى ما طلبه •

وفيه إيهام لهم على ما طلبوه ، وأنه ربما أنا اذا ســـألته لنفسى يكون أبلغ فى الاجابة ، والباطل كمـــا ذكرناه فحكى الله عنـــه كذلك ونزهه ان يذكر معه سؤال قومه له ونزهه تعالى ان يذكرهم فى تجليه للجبل مع ذكره ، ونزهه تعالى أن يذكر معه ما أصـــاب قومه حين ذكره لـــا أصاب موسى ، ونزهه أن يذكر قومه الذين حين بعثهم مع ذكـــره تعالى لموسى ، حين أفاق وحين استغفر ، كل هذا ليدل الله تعالى على أن موسى باطنه لم يســـأل ما طلبه منـــه قومه ، فكان سؤال موسى فى معزل ، وسؤال قومه فى معزل •

وقوله تعالى : (لـن ترانى) أى لا تسـتطيع أن ترانى بجميع الصفات التى تعرفنى بها فى الدنيا كما ترانى بها فى الآخـرة ، ولكن انظر بعينـك الى صـفة من صفاتى ، وهى القـدرة ، فان استطعت فسوف تقدر على ما سألت ، وفيه توهيم لجوابهم بقوله : (لن ترانى) حتى يظنوا قومه أى على ما سألك قومك . انظـر الى هـذه البـلاغة العظيمة ، فان موسى عليم ، وقال هـذا كله ، وجاء الجـواب على هذا كله ، ولكن ليس فى قدرة موسى أن يأتى بمثل هذا الايجـاز ، وانمـا حكى الله الواقع على معنـا .

والآية التى أفرد موسى فيهـا السؤال لنفسه ، وأفرد الله ذكره فيهـا قوله تعالى : (ولمـا جـاء موسى لميقـاتنا وكلمه ربه) للجبـل (قـال : رب أرنى أنظر اليـك قال : لن ترانى ولكن انظر الى الجبـل فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخـرّ موسى صعقا . فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين) .

بيـــان :

والآيـات التى ذكـر فيهـا قـومه قـال تعـالى : (واختـار موسى من قومه سبعين رجـلا) (فلما كلمه ربه قالوا أرنا اللـه جهرة فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون) فلم يذكر سؤال موسى فى هـذه الآية تنزيها له ، أنه لم يسأل ربه على معنى ما طلبوه منـه ، وقال تعالى : (واذ قلتم يا موسى أرنا الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون . ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون) أحياهم الله تعالى حين سأل موسى ربه فى إحيـائه لهم ، بما حكاه عنه تعالى حين أخـذه الخجـل من أهلهم ، فيخبرهم بموتهم إلا هو فقال تعالى حاكيا عن ذلك ، وعن تعظيمه للنبى محمد صلى الله عليه وسلم ، وفى ذلك بيـان أن جميع كتب الله فيهـا جميع أخبـار عن أمور كانت ، وعمـا يكون منهـا من ذكر النبى عليه الصـلاة والسـلام وأصحابه وغير ذلك .

قوله تعالى : (واختـار موسى قومه سبعين رجـلا لميقاتنـا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى أتهلكنا بما فعـل السفهاء منا ان هى الا فتنتك تضل بها من تشـاء وتهـدى من تشـاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين • واكتب لنا فى هذه الدنيـا حسنة وفى الآخرة إنا هدنا اليك قال عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون • الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجـدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبـات ويحرم عليهم الخبـائث ويضـع عنهم اصرهـم والأغـلال التى كانت عليهم) والمراد بالرسـول النبى الأمى هـو النبى محمـد صلى الله عليه وسلم وأمته أهل الشكر منهم •

وفى هذه الآية أشـد الايضـاح لما ذكرناه فى بيان السبب الذى لم يشرك موسى قومه فى سؤاله من أى شىء ، وأنه لـم يرد سـؤاله ما أراده قومه ، وأنه لم يطلب ذلك منه كل رجـاله من قومه تعـالى حاكيا عنـه : (أفتؤاخذنا بما فعل السفهاء منا) كيف يسـأل ما طلبه سفهاء قومه ، وهو يعلم أنهم سفهاء فى طلبهم لـذلك ، فيكون مثلهم بالسؤال لهم ينزه نبى الله موسى أن يضمن بسـؤاله لربه ما أضمره قومه من الكفر العظيم •

قال صاحب الكشاف ، فى تأويل هذه الآية : (ولـما جـاء موسى لميقاتنـا وكلمه ربه قال رب أرنى أنظر اليك قال لن ترانى ولكن انظـر الى الجبـل فان استقر مكانه فسـوف ترانى فلما تجـلى ربه للجبـل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين) لميقاتنا لوقتنا الذى وقتنا له ، وحددنا ومعنى اللام الاختصاص ، كأنه قيل : واختص مجيئه لميقاتنـا ؛ كما يقول : أتيته لعشر خلون من الشـهر ، وكلمه ربه من غـير واسـطة ، كمـا يكلم الملك ، وتكليمه

أى يخلق الكلام منطوقا به فى بعض الأجـرام كما خلقــه مخطوطا فى اللــوح •

وروى أن موسى عليــه الســلام كان يســمع الــكلام من كل جهــة •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما : كلمه أربعين يوما وأربعين ليلة ، وكتب له الألواح ، وقيل : انه كلمه فى أول الأربعين أرنى أنظر اليــك ثانى مفعــول أرنى محذوف ، أى أرنى نفســك أنظر اليك •

فان قلت : الرؤية عن النظر فكيف قيل أرنى أنظر اليك ؟

قلت : معنى أرنى نفسك اجعلنى متمكنا من رؤيتك ، بأن تتجـلى فأنظر اليك وأراك •

فان قلت : كيف لــن ترانى ولــم يقــل لن تنظــر الى لقــوله : (أنظــر اليــك) •

قلت : لمــا قال أرنى بمعنى اجعلنى متمكنا من الرؤيــة التى هى الادراك ، علم أن الطلبــة هى الرؤية لا النظر الذى لا ادراك معــه ، فقيل : لن ترانى ولم يقل لن تنظر الى •

فان قلت : فكيف طلب موسى عليه السلام طلبه ذلك ، وهــو من أعلم الناس بالله وصفاته ، وما يجــوز عليه ، وما لا يجــوز وبتعاليه عن الرؤية التى هى ادراك ببعض الحواس ، وذلك انما يصح فيما كان فى جهة ، وما ليس بجسم ولا عرض فمحال أن يكون فى جهة ، ومنــع المجبرة احالته فى المعقــول غير لازمــة ، لأنــه ليس بأول مكابرتهم • وارتكابهم يكون طالبه ، وقــد قال حين أخــذت الرجفة الذين قالوا :

(أرنا الله جهرة) : (أفتهلكنا بما فعل السفهاء منا) الى قوله : (تضل بها من تشاء) فتبرأ من فعلهم ، فدعاهم سفهاء وضلالا ؟

قلت : ما كان طلبه الرؤية إلا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا ، وتبرأ من فعلهم ، وليلقمهم الحجر ، وذلك حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم ، وأعلمهم الخطأ ، وبعدهم عن الحق ، فلجوا وتمادوا فى لجاجهم ، وقالوا ولابد ولن نؤمن حتى نرى الله جهرة ، فأراد أن يسمعوا النص من الله سبحانه وتعالى ، باستحالة ذلك وهو قوله : (لن ترانى) ليتيقنوا وينزاح عنهما ما داخلهم من الشبهة ، فلذلك قال : (رب أرنى أنظر اليك) •

فان قلت : فهلا قال لهم أرهم ينظرون اليك ؟

قلت : لأن الله سبحانه وتعالى كلم موسى عليه السلام ، وهم يسمعون ، فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يرى موسى ذاته فيبصروه معه ، كما أسمعه كلامه ، فيسمعوا معه ، ارادة مبنية على قياس فاسد ، فلذلك قال موسى : (أرنى أنظر اليك) ولأنه اذا زجر على طلب وأنكر عليه فى نبوته واختصاصه ، ولزلفته عند الله وقيل له : لن يكون ذلك كان غير أولى بالانكار ، ولأن الرسول امام أمته ، فكان ما يخاطب به ، أو يخاطب راجعا اليهم •

وقوله : (أنظر اليك) وما فيه من معنى المقابلة التى محض التشبيه والتجسيم ، دليل أنه ترجمة عن مقترحهم ، وحكاية لقولهم ، وجل صاحب الحمد أن يجعل الله منظورا اليه ، مقابلا بحاسة النظر ، فكيف بمن هو أعرف بمعرفة الله من واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، والنظام وأبى الهذيل ، والشيخين وجميع المتكلمين •

فان قلت : ما معنى لن ؟

قلت : تأكيد النفى الـذى تعطيه لا ، وذلك أن لا تنفى المستقبل تقول : لا أفعل هذا ، فاذا أكدت فيها قلت : لن أفعـل غدا ، والمعنى أن فعله ينافى كقوله تعالى : (لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له) فقوله : (لا تدركه الأبصـار) نفى للرؤية فيما يستقبل و (لن ترانى) تأكيـد وبيـان ، لأن المنفى مناف لصفاته •

فان قلت : كيف أفضل الاستدراك فى قوله : (ولكن انظر الى الجبل) بما قبله •

قلت : اتصل به معنى أن النظر الى محـال فلا تطلبه ، ولـكن عليك بنظر آخـر وهو أن تنظر الى الجبـل الذى يرجف بك ، وبمن طلبت الرؤية لأجلهم ، كيف أفعل به ، وكيف أجعله دكا طلبك الرؤية ، لتستعظم ما أقدمت عليه بما أريك من عظم أثره ، كأنه عز وعـلا حقق عنـد طلب الرؤية ما مثله عنـد نسبة الـولد اليـه فى قوله تعالى : (وتخر الجبـال هدا • أن دعوا للرحمن ولدا • وما ينبغى للرحمن أن يتخـذ ولدا) •

(فان استقر مكانه) كما كان مستقرا ثابتـا ذاهبـا فى جهـاته (فسوف ترانى) تعليق لوجود الرؤية بوجود ما لا يكون من اسـتقرار الجبل مكانه ، حين يدكه دكا ، ويسـويه بالأرض ، وهذا كلام مدمج بعضه فى بعض ، وارد على أسلوب عجيب ونمط بديع •

ألا ترى كيف تخلص من النظر على الشريطة فى وجـود الرؤية ، أعنى قوله تعالى ، ثم كيف بنى الوعيد بالرجفـة الكائنة لسـبب طلب النظر على الشريطة فى وجود الرؤية ، أعنى قوله تعالى : (فان استقر مكانه فسوف ترانى فلما تجلى ربـه للجبـل) فلما ظهر لـه القـدرة واقتداره ، وتصدى له أمره وارادته ، جعله دكا أى مدكوكا مصـدر

ومعنى مفعول ، كضرب الأمير ، والدك والدق أخــوان كالشك والشق ، وقرئ دكا والدكاء اســم الرابيـــة الناشــزة من الأرض ، كالدكة من الأرض دكا مستوية ، ومنهم قولهم : ناقة دكاء متواضعة السنام •

وعن الشــعبى : قال لى الربيــع بن خيثم : ابســط يدك دكاء أى مدها مســتوية ، وقرأ يحيى بن وثــاب دكا أى قطعا دكا جمــع دكــاء ، (وخر موسى صعقا) من هول ما رأى ، وصعق من باب فعلته ففعل ، يقال صعقته فصعق وأصله من الصاعقه ، ويقال لهــا : الصاقعة من صقعه اذا ضربه على رأســه ، ومعناه خــر مغشيا عليــه غشــية كالمــوت •

وروى أن الملائكة مرت عليه وهو مغشى عليــه ، فجعلوا يوكزونه ينكرونه بأرجلهم ويقولون له : يا بن النســاء الحيض ، أطمعت فى رؤية رب العزة ، (فلمــا أفاق) من صعقته (قال سبحانك) أنزهك ممــا لا يجــوز عليــك من الرؤية وغــيرها (تبت اليــك) من طلب الرؤية (وأنــا أول المؤمنــين) بأنــك ليس بمــرئى ولا مــدرك بشئ من الحواس •

فان قلت : ان كان طلب الرؤية للغرض الذى ذكرته فمم تاب ؟

قلت : من اجرائه تلك المقالة العظيمة ، وان كان لغرض صحيح على لســانه ، من غير اذن من الله تعالى ، فانظر الى اعظــام اللــه من الرؤية فى هذه الآية ، وكيف أرجف الجبل بطالبيها ، وجعــله دكا ، وكيف أصعقهم ، ولم يخــل كليمه من نفيــان ذلك النفيــان رشــاش المطــر مبالغة فى اعظام الأمر ، وكيف سبح ربه ملتجئــا اليه ، وتاب من اجراء تلك الكلمة ، وقال : (وأنا أول المؤمنين) ثم تعجب من المقسمين بالاســلام ، المقسمين بأهل الســنة والجماعة ، كيف اتخــذوا هــذه

العظيمة مذهبا ، ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة ، فانهـا من منصـوبات أشياخهم ، والقول ما قال بعض العدلية فيهم شعرا :

لجمـاعة سـموا هواهـم سـنة
وجمـاعة حمـر لعمـرى موكفـه

قـد شـبهوه بخلقـه وتخـوفوا
شـنع الـورى وتسـتروا بالبلكفـه

وتفسير آخـر : وهو أن يريد بقوله : (أرنى أنظر اليك) عرفنى نفسـك تعريفا واضحا ، قال : كأنها اراءة فى خلائهـا بآية من آيـات القيـامة التى تضطر الخلق الى معرفتك ، (أنظر اليك) أعرفك معرفة اضطرار كأنى (أنظر اليك) لمـا جـاء فى الحديث : « سترون ربكم كمـا ترون القمر ليلة البـدر » معنى ستعرفونه معـرفة جلية هى فى الجـلاء كإبصارهم كم القمـر اذا امتلأ واسـتوى •

(قال لن ترانى) أى لا تطيق معرفتى على هذه الطريقة ، ولـن يحتمل قوتك تلك الآية المضطرة (ولكن انظر الى الجبـل) فانى أورد عليه وأظهر له آية من تلك الآيات ، فان ثبت لتجليهـا أى استقر مكانه ، ولم يتضعضع ، فسوف ترانى يثبت لهـا وتطيقهـا (فلما تجلى ربـه للجبـل) فلما ظهرت له آيات قدرته وعظمته (جعـله دكا وخر موسى صعقا) لعظم ما رآى (فلما أفاق قال سبحانك تبت اليك) مما اقترحت وتجاسرت (وأنا أول المؤمنين) بعظمتك وجلالك ، وأنت شىء لا يقوم لنطقـك لبأسـك •

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهـان : ان الحق من تأويله هذا الوجه الأخير ، وأيضا فلا يصح معى فيمـا رواه من مرور الملائكة على موسى عليهم السـلام ، وقولهم له ما حكاه عنهم : لأن موسى عليه السـلام

لن يسأل ربه ما هو غير جائز له ، ولم يقصد لسؤاله فى اعتقاده إلا أن يريه أن ينظر اليــه بعينه ، لا الى آية يشـاهدها منه بعينيه ، فهى رؤية العين الى الالــه ، أى رؤيتهــا الى آية خارقة للعــادة •

فيها قطع طمعه لقومه عما طلبــوه ، وفيهــا دلالة على نظــره اليــه بجميع صفاته تعالى التى عرفهــا به فى الحياة الدنيا ، فى كل لحظة فى الآخــرة على صفة ، نظر عبــاده اليه فى الآخــرة بالحضور اليــه بصفاته ، لا بالنظر الى ذاته ، هكذا سؤاله وطلبه فى الباطــن وفى الظاهر ، فى لفظة مندوحة لقومه ، وفى كلا الحالين غير ممكن ، فأما رؤية الذات على ما طلب قومه فهو باطل ، ولا جواب لــه إلا المنــع عن طلب ذلك •

وأما ما طلبه موسى فى الباطن فعقله الذى جعله له فى هذه الحياة الدنيا ، لا يستطيع ، وكلا الحالين جــوابه لن ترانى ، ولمــا تجلى لــه بصفة من صفاته وهى صفة القدرة خر موسى صعقا •

وأما قومه ، وهم السبعون الذى اختارهم ، ماتوا جميعا ، ثــم أحياهم الله بعــد موتهم ، قوله تعالى •

قال الرازى على معنى قوله فى تفسيره لقوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة • الى ربها ناظرة) أن النظر معناه غير الرؤية ، فلا يقصر اطلاقه على نظر العين ، لأنه يجــوز فى الأعمى أن يقال : فلان الأعمى ناظــر الى فلان كثيرا بعين الرضا ، أو بعين المــودة ، أو بعين الاحســان ، والمراعاة الحسنة ، أو بعين الغضب ، أو بعين الحسد وما أشبه ذلك •

ويجوز فى صفات الله أن يقال : ان الله تعالى لا يرى الكافر فى الدنيــا ، ولا يراه يوم القيامة وذلك باطل ، ولا يســع جهل باطــل

ذلك فى صفات الله ، لأنه مما يدل معنـاه على أنه قـد خفى عليـه شخصه ، فلم يعلم به وبذاته ، ولم يعلمه أين هو ، فصـار جاهلا بعلمه فيه وهذا باطـل •

قلت : وعلى هذا من احتج بهذه الآية على ثبوت صحة رؤية اللـه فى الجنة ، واذا كان كذلك فكذلك الرؤية ، لا تقتصر على رؤية العـين فقط ، كقوله تعالى : (ألم تر الى ربـك كيف مد الظل) ونحن لـم نر اللـه يمـد الظل ، وانما رأينـا الظل يمـده الله •

فان قيل : رجع ذلك الى رؤية النظر ، فيقول : أرأيت الله تعـالى يقول فى كتابه كذا وكذا ، ورأيت فلانا يقول فى كتابه كذا وكذا وهـو أعمى ، وانما سمع ذلك •

وقال تعالى : (أفرأيتم الماء الذى تشربون) (أفرأيتم ما تمنون) (أفرأيتم النـار التى تورون) هو خطـاب عام الأعمى العين ، والناظر بهـا ، فلم تنحصر به الدلالة على رؤية صحة العين لذات اللـه بهـذا اللفظ ، لاشتراكه فى رؤية العـين ، ورؤية العـلم بالشىء بالسـماع أو العقل فاعرف ذلك •

＊ مسـألة :

وأما رواية الجماعة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تتضامون » وفى رواية : « لا تضارون فى رؤية الله انكم لترون ربكم فى الآخـرة كما ترون القمر ليلة البدر » •

ومع أصحابنا أن كان رؤية رؤيت عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولم يحتمل لها مخرج إلا الى الباطل الذى لا يجـوز فيه الاختلاف ، لم يجز إلا أن تكون باطلة مما كذب به على رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، وان احتمـل لها تأويل على الحق ، فلا يجـوز ردها •

ومعى أن هذه الرواية يصح أن يكون لها وجوه حق من التأويلات ، وعلى ما هى عليه من قوة ألفاظها ، وكثرة معانيهـا ، حتى يـكاد أن تكون آيـة معجزة لا يـكاد العباد أن يحيطوا بهـا بجميع معانيهـا ، ولا أن يأتوا بمثلها ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا •

ويكاد لظهورها كذلك بين العلماء أن لا يجوز انكارها ، لأن كل من كان عالما بقوانين البلاغة والفصاحة ، ونظر بنـور العقـل النورانى ، يعلم أن هذه الرؤية من المعجـزات التى لا قـدرة للبشر غـير النبى صلى الله عليه وسلم أن يأتيها هكذا ، ولا أن يأتيها هكذا ، ولا أن يأتى بمثلها ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا •

ومن تفصيل معنى من معانيهـا أنه مثل صلى اللـه عليـه وسلم رؤية العباد الى الله تعالى مثل القمر من حين يومه هلالا ، على زيادته فى كل لحظة إلا أن يكون بدرا وهى الغاية التى لا يمكن أن تـرى أكثر من يومه ذلك ، وعلى تفاوت الناس فى قوة نظرهم وضعفه ، وهذا أمر لا يحصيه أى التفاوت بين الرأى والمرئى إلا الله تعالى •

فأهل الجهل هم أهل الغى الذين لا ينظرون البدر ، وأهل الهدى هم الناظرون الى اللـه على تفاوت النظر تمثيلا للهـلال الى أن يصير قمرا ، وفى الآخـرة تمثيلا بالقمر فى حالة ابداره ، يدل بذلك أن رؤيتهم الى الله تامة كاملة على عبد كعبد يـرى ربه بصفاته بقـوة الحضور ، مع الله تعالى بكل صفة لله عرفه بهـا فى كل لحظة ، إذ لا يصـح فى الآخـرة فى الجنة أن يغفل عبدا فيها من عبيده تعالى عن ذكره يغفـله لحظة ، ولا أن يزيد عليـه الحضور تارة ، وينقص أخـرى ، ولا يذكره تارة بصفة دون صفة ، ثم يذكره بعد حين بصفة أخرى •

لأن له فيها ما تتمنـاه نفسـه ، ولا تتمنى شيئا قبـل أن تتمنى حضـورها مع الله ، وأن لا يغفل عن ذكرها لربها طرفة عين ، لأنهـا هى أهم شيء معهم فى قلوبهم ، وهى أعظم مطاوبهم ، وهى ألذ نعمـة ، وأشـد لذة ، وأعظم حـلاوة فى النفس ، فهى أعظم لذات الجنـان ، وأعظم من لذة الخلود فى الجنان ، ولو أمكن حصر نعم الجنان كلهـا على كونها بلا نهـاية ما سـاوت لذة لحظة من لذة الحضـور الذكرى العقلى مع الله تعالى ، بجميع صفاته التى عرفهـا به ، لأن اللـه تعالى ليس لصفاته نهاية ، ولكن بما قدر عرفه العبد بـه ، ولولا لذة الرؤية للمؤمنين ، ما كانت الجنـة جنة ، وما كانت لذاتهـا مع الأولياء لذة ، وما بلغهم الله مناهـم فى الدنيـا ، وهذه الرؤية من المؤمنين فى الجنة ، هى رؤيتهم الى ربهم الذى ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم لا رؤية للذات فالقول برؤيته كفر عظيم .

وتتفاوت هـذه اللذة من هـذه اللذة فى الجنـان وشدتها ، على تفاوت نظرهم الى الله تعالى فى الدنيا ، وعبـادتهم وصفاء قلوبهم ، وقوة عزمهم ، وشـدة حبهم لربهم ، وقوة ايمانهم الى غير ذلك .

ولكن كل منهم ما يعلم ما بصاحبه ، وكل منهم عقله كذلك حاضر مع تجميع صفاتها التى عرفها به ، فى كل لحظة لا يزيد ولا ينقص ، فالكل يعمهم التمثيل بالنظر الى البدر تام نوره ، تام نظر الناظر اليه ، وفى هذه الرواية دليـل واضح أن رؤية المؤمنين الى الله فى الآخرة ، رؤيتهم اليه فى الدنيا ، ولكن رؤية العبـاد الى الله فى الدنيا رؤية ضعيفة ، لأن البدر هو عين القمر لا غير ، والقمر هو غير الهـلال لا غير والمرئى هو شيء واحـد ، والنظر الواحـد اليـه فى حالة هـلالا ، وفى حالة قمـرا ، وفى حالة بدرا هو واحـد ، ولا فرق إلا بتزايد نـوره من نور الشمس فيه أيضا .

ومن المعلوم أن رؤية المؤمنين الى ربهـم فى الدنيـا ، ليس هى شىء غير رؤيته بصفاته من أفعاله فى المحدثات ، لا الى اللذات ، فكذلك رؤيته فى الآخـرة الى اللذات ، وانما هى بالصفات من أفعاله تعـالى التى يتشـاهدونها فى الآخـرة ، ما لو رأوه فى الدنيـا بصفة واحـدة لهلكوا ، كما رآه قوم موسى عليه السلام وموسى ، فماتوا ، وخر موسى صعقا ، والنظر فى الأصل من القمر من النور ، ومن زيادات نـوره : وانما هو النظر الى جرم القمر من النور الى جرم القمر ، وقوة الزيادة بنظر الناظر الى القمر عن نظره هلالا ، إنما هو نظر النور لا زيادة تحقق نظره الى جرمه •

وكذلك نظره بدرا ، ولا شك أنه كلما ازداد نوره ازداد نور أقصر نظر الناظر عن نظر جرمه أكثر مما كان قبل أن يتم نوره كذلك •

فكذلك كلما قويت رؤية العبد الى ربه بصفات من أفعاله تعالى ، قويت معرفته بربه أن ذاته تعالى لا ترى ، ولا يجـوز أن يوصف أنه يرى إلا بالعقـل ، ولا بالعين ، لأنه هو شىء لا يرى ، فجميع هـذه المعانى تخرج من تأويل هذه الرواية الموجـز المنجزة المعجزة لكل البشر أن يأتوا بمثلهـا ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا •

فان قيل : ما الدليل على ضعف هذه الرؤية فى الدنيا ، وما أضعفها إلا ألفـة العباد لهـا ، وما الدليـل على امكان زيادة قوتهـا ، حتى تصور ذلك كل من أراد أن يصـوره ، فيسوغ صحة ذلك فى عقله ؟

قلنا : فلك فى ذلك مثل من نظر العبد الى ربه بقـوة حضور عقله اليه من صفته أنه كريم محسن لعبـاده ، فيكون من جهة الاحسـان ما حالك يكون ، ولو كنت فى موضع تعبد الله تعالى ، وما تدرى أنك مجاب الدعوة ، وما يدرى بك أحـد ، ثم أصـاب أهـل بلدك جـدب

شديد ، أضر بالعباد ضرا عظيما ، وخرج الناس الى الاستقاء ، وتقربوا الى الله بالدعـاء ، والتضرع والابتهـال ، والصـلاة وبذل المـال الى غير ذلك من أنواع الوسائل الى الله ذى الجـلال والاكرام ، وبكثرة السؤال ، وغفلوا أن يأخذوك معهم ، ولم يزدهم ذلك إلا شدة فيما هم فيـه ، وعليه من ضعف الحال •

ثم قال أحـدهم : ألا أنبئكم بمن يسـقيكم الله بدعائه ، ودلهم عليك ، فأتـوك وأعينهم تفيض من الدمع من نظـرهم الى صبيانهم ، وضعف حالهم ، والى عجائزهم والشيوخ منهم ، والى أطفالهم بيكون من ضرر يجـدونه فيهم ، كان سـببه من شـدة الجدب ، وتوضـأت ودخلت المسجد ، وصليت ركعتين لله تعالى ، ثم دعـوت الله تعالى ، وسألته أن يسقيهم ، فحين وصلت نصف تلاوة دعائك بقلبك ، وأنت سـاجد بعد انقضـاء الركعتين ، فأنشـأ الله سحابا متراكما بعضـه فوق بعض ، واشتدت لوامع البروق ، ما خافت الناس على أنفسـها أن يهلكها ، وأموالهـا أن يحرقها ، ودورها أن يهـدمها ، وجبالها أن يدكهـا ، وصمت الأذان من صـواعق الرعـود ، حتى تزلزلت الأرض والجبال من شدة الصواعق ، ونزل المـاء من السماء حتى كادت الدوران يحملهـا ، وخافت النفوس أن يحملها ، وأن يذهب بالأموال من أرضها أن ينزعها ، وقالوا : هلكنا لا محالة ان لم تدعُ الله وتسأله أن يخففه عنـا ، فسجدت ثانية وهم ينظرونك ، وسألت الله ما طلبوا ، فاستجاب الله فى الحين ، وانصرفوا شاكرين لله ثم لك ، وخصبت ديارهم كمـا أحيوا ، فما يكون حالك حينئذ مع الله تعالى •

أما تستعظم نعمته اليك بهذه ، وتستحى منه ، ويكون حضـورك مع الله حين وجـود هذه الكرامة لك أعظم مما كنت فيه مع الحضـور مع الله تعالى قبـل هذا ، ولابد وأن تعـرف بهذا التصـوير أن رؤية العبد لربه تزيد أحـوالا ، وتنقص أحـوالا ، وتعظم عند مشـاهدة

الكرامة له من الله تعالى ، الخارقة للعادة ولا شك أن الألفة بالاحسان تضعف قوة النظر الى من كان منه ، لأنك لو فكرت لوجدت أن فضل الله تعالى لك ، اذ جعلك عاقلا ، وعرفك به ، وجعلك من المسلمين ، وعلمك ما يجب عليك له ، ووفقك على فعله هو أعظم كرامة لك من الله ، من تلك الكرامة التى ضربناها مثلا ، ولم يستعظمها عقلك استعظاما يشتد به الحضور الى الله ، بمثل تلك الكرامة •

وكذلك النبى موسى عليه السلام ، اندهش عقله من نظره الى اندكاك الجبل حتى خر صعقا ، ولم يندهش عقله من نظره الى السماء ، وما فيها والى الهوى ، وما يتكون من سحاب وبروق وأمطار ، ثم يكون الجو صحوا كما كان ، ولا شك أن هذه الآيات ليس اندكاك الجبل بأعظم منها ، ان لم تكن هى أعظم منه آية ، لولا المؤالفة فصح جميع ما قلناه •

وان جميع هذه المعانى تخرج من تأويل هذه الرواية ، وأن معانيها بحر ولا ساحل له ولا قعر ، وأنها لا شكر من قول النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن المراد بالرؤية هى على ما ذكرناه ، بدليل منها عليها ، وأنه ليس كما أولها القوم من رؤية الذات ، وأن رؤية الذات باطلة ، ولا يجوز القول بوجود كونها وان ذلك كفر •

قال الشيخ النسفى : أما برهان وجوده تعالى ، فحدوث العالم ، لأنه لو لم يكن محدثا بلا حدث لنفسه لزم أن يكون أحد الأمرين ، مساويا لصاحبه ، راجحا عليه بلا سبب ، وهو محال من الشرح ، أى لو أحدث لنفسه لزم أن يكون أحد الأمرين المتساويين ، أى الوجود من غير ترجيح ، ومعنى ذلك أن الوجود والعدم هما على حد سواء من غير ترجيح •

قال الشيخ ناصر بن أبى نبهان : أوضح من هذا الكلام أن يقال : كيف يقدر أن يحدث الشيء نفسه ، وهو قبل كونه شيئا ليس بشيء ؟

دل على المحدث له غيره وهو الله تعالى ، فحدوث العالم يدل على وجود الصانع القديم ، الموجود بغير ايجاد موجد له ، والا تسلسل وأدى الى المحال والعدم ، محدوث ، وهو وجود وضد العدم ، وهو الوجود محدوث أيضا ، فأيهما الخالق لنفسه قبل وجوده ، فدل على محال ذلك • انتهى •

قلت لشيخى الخليلى : ما تقول فى كل هذا ؟

قال : ان قولهما فى هذه المسألة الأخيرة التى فى حدوث العالم كله صحيح ، ولقد جاء فى الجواب لموافقتهما الحق والصواب ، والله أعلم •

وأما تلخيص القول فى المسائل السابقة ، فان فى كل منها محلا للنظر ، ومجالا للتأمل لمن أمده الله تعالى بالفهم ، ورزقه شيء من العلم ، وعلى قلة ما بى من الفطنة ، واعترافى بالعجز والقصور ، فى أكثر الأمور ، فاننى قد تأملت فيما قاله صاحب الكشاف ، من جواز الوجهين فى سؤال الرؤية لموسى عليه السلام ، فلم أجد فى أحدهما ما يدل على خروجه من الصواب ، ولا مخالفته للسنة والكتاب ، وما رفعه الشيخ عمن كان مكبا على قراءة الكشاف من ادعائه أن موسى عليه السلام سأل الرؤية حقيقة •

فالزمخشرى لم يقل بذلك ، وهو برىء من عهدته ، وانما صرح بأنه سأل الرؤية ليسكت قومه ويلقمهم الحجر ، ويتبرأ من فعلهم ، ويبين له فساد اقتراحهم وطلبتهم ، وهذا مناف لدعوى أنه سألها ، وهو يريد ذلك حقيقة ، وكيف يظن به هذا مع قوله : لم يسألها

الا ليتبرأ من فعلهم مع تصريحه فى غير موضع ، بأن موسى عليه السلام كان أعلم بالله من أن يجوز عليه الظاهر ، لكن ظاهر السؤال يوهم أنه طلب حقيقة الرؤية ، ولهذا كان من أعظم ما يحتج به المخالفون فى شبههم على جوازها على الله تعالى ، وجملة أكثر أهل العام من أصحابنا على الوجه الثانى لقربه من أفهام العامة هربا من الاشكال المتصور من نفس سؤال الرؤية على ظاهر اللفظ ، والوجه الأول أصح فى النظر ، وأليق بالمحل لأنه المطابق للغرض ، والملائم للمقصود ، والكلام قد يعدل به عن المعنى الظاهر اذا اقتضى له المحل معنى آخر التوبة ، ويكتفى بالقرائن فى ذلك •

ومثال الأمر وأن الدعاء كله فى ظاهر الأمر متحد الصورة لفظا ، ولكنه مختلف معنى بالقرائن الدالة عليه ، فقوله : (كلوا واشربوا) يفيد الاباحة ، (وأتموا الحج والعمرة لله) يفيد الوجوب ، (واعملوا ما شئتم) يفيد الوعيد والتهدد ، (واقض ما أنت قاض) يفيد اظهار القوة والتجلد ، وهاتان الصورتان لا يراد بهما معنى الأمر أصلا ، فان الله تعالى يأمر بفعل ما شاءه من المعاصى ان الله لا يأمر بالسوء والفحشاء •

وكذلك السحرة ، لم يأمروا فرعون بفعل ما فعله بهم ، لعدم جوازه فى دين الله قطعا ، وانما أرادوا بذلك اظهار قوتهم فى الدين ، وبيان تصلبهم فيه ، وعدم مبالاتهم بما لا يصنع فيهم فى هذه الحياة الفانية ، التى لا يعدونها شيئا ، وربما كان ذلك من غيرهم لاظهار الاذعان والخضوع وارادة الترحم لا غير ، وهكذا فى سائر المعانى •

فاذا كان سؤال الرؤية من موسى عليه السلام انما جاء لمعنى اسماع قومه الجواب عن الله تعالى بالمنع ، فهو الغرض الكافى فى جواز سؤالها •

ولم يكن سؤاله اياها على هذه الحالة باطلا ، ولا كفرا ولا ضلالا ، وانمـا يكون حقا ، وهدى وصوابا ، وليس هو بمحجوج فى ذلك ، كما توهم الشيخ وفاقا للجماعة من أهل السـنة ، وليس كلما أمكنت المناديح فيه ، كانت واجبة كما قاله ، بل قد تكون واجبة مرة ، وفاضـلة طورا ، ومفضـولة أخرى ، فهى كغيرها من القـول المتنوع فى الأحـكام على ما تقتضـيه من الأقسام •

فقد يكون العدول عنهـا الى التصريح بالحقائق أولى ، وان كان ظاهرها الكفر اذا اقتضاها المقام لغرض صحيح ، ولـكن الغوص على حقائق مثل هـذه المعانى ، ربما لا يقتدر عليه الا بعض الفرسان من علماء المعانى والبيان •

وشاهد هـذا قوله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام : (فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هـذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين • فلما رأى القمر بازغا قال هـذا ربى فلما أفل قـال لئن لم يهـدنى ربى لأكونن من القوم الضالين • فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هـذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون) فانظر كيف جاز لابراهيم عليه السلام أن يتكلم بلفظة الشرك ثلاث مرات ، مخبرا بهـا عن نفسه ، من غـير مندوحة ، ولا فى موضـع تقية على نفس ولا دين ولا مال ، وليس هو مجبرا على ذلك ، ولا مأخوذا به ، وقـد كان له فى الاحتجاج بغير هـذا مجال رحب وسعة ، وقد احتج عليهم بغيره فى غـير مرة ، كما صرح به فى كتاب الله تعـالى ، ولكن برأى خطابهم على هـذا الأسلوب ، والجرى معهم على هذه الطريقة أقطع لحجتهم ، وأدمـغ لكلمتهم ، وأبلغ لتبكيتهم ، وأوضـح لاعجازهم ، فأثنى الله عليه بذلك ، وحـكى ما قاله هنالك •

وقال تأييدا له : (وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه) واذا كانت كلمة ابراهيم عليه السلام بالشرك الصريح ، لمـا كانت مسوقة

لهـدم قواعد الشرك ، ومقولة لايضـاح الحق لم تسم شركا لفظـا ولا معنى ولا عقـلا ولا حـكما ، فكيف يصـح فى مقالة موسى عليه السلام ، اذا كان مقصـده بها تبكيت قومه ، واقامة الحجـة عليهم ، بسـماع المنع من الله تعالى أن تكون باطلة وهى نفس الحق المبين •

فموسى الكليم ، وابراهيم الخليـل فى أحـكام الحق سـواء ، وكلمتاهما فى أحـكام الظاهر ممنوعتان سواء ، ولكنهما كانتا مسـوقتين لازهاق الباطل ، واثبات الحق ، فهما فى معنى الجواز سواء ، أم يجوز الفرق بينهما ، ولا فرق عند من عرف الحق ، فهما نفس الصـواب ، وحقيقة الهدى ، ولا يكاد يصـدر مثلهما الا عن منصب النبوة ، ولكن ربما يخفى ضـياء النهار ، على بعض الأبصـار ولله در من قـال :

واذا كنت بالمـدارج غـرا
ثـم أبصـرت حاذقـا لا تمـارى
واذا لم تر الهـلال فسـلم
لأناس رأوه بالأبصـار

فان قلت : كيف يسوغ التشبيه والاحتجاج بقصة ابراهيم عليـه السلام فى هـذه الآية الشريفة ، وقـد اختلف المفسرون فى تأويلها ؟

قلنا : ان الوجه الحق فيهـا ما قلناه ، وهو عمـدة المحققين ، وقول المنصـفين ، ولكن القوم لـما لم يقتدروا على استخراج زبدها ، قال قائل منهم : ان ابراهيم عليه السلام قال ذلك فى صـباه ، وهـذا باطل ، لأن حـكاية الشرك لا معنى لها عن صبى ولا بالغ لغير فائدة ، وأى فائدة فى تجهيل الخليل عليـه السلام ، وحـكاية الشرك عنه فى صـباه •

وقال آخرون : انه قالهـا على معنى الاسـتفهام ايهاما لقومه ، وليس بالقـوى •

وقــال بعض : تقــديره (قال هــذا ربى) بزعمكم وليس بشىء لعــدم الدلالة •

وقال بعضهم : تقديرة يقولون هــذا ربى ولا دليل عليه أيضــا فليس الوجــه الا الأول ولهذا فان نقيب المفسرين وامامهم فى المعانى والبيان ، العلامة الزمخشرى لم يذكر غيره ، ولم يلتفت الى سواه ، وبهــذا كفاية ، والله أعــلم •

فصـــــل

وأما ما ذكره من شرح الحديث الذى يرويه أهل السنة والجماعة ، فى رؤية الله تعالى فى الدار الآخرة ، فينبغى النظر فيه من وجــوه ، أحــدها تشبيه مراتب الناس بالتدريج من كونه هلالا ، الى أن يكون قمرا ، ثم بدرا ، وتشبيه أهل الجهل بالعمى الذين لا ينظرون أصــلا ، وليس هــذا مما دل عليه هــذا الحديث لفظــا ولا معنى ، فليس فى الحــديث الا رؤية الله ضرورة لا يمكن انكارها ، كما لا يمكن المبصر انكار البــدر المتجلى له فى ليــلة تمامه ، والمراد أنه لا يمكن أحــدا فى يوم القيامة انكار معرفة الله تعالى •

(اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العــذاب وتقطعت بهم الأسباب) ، (واذا رأى الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون) (وألقوا الى الله يومئــذ الســلم وضــل عنهم ما كانوا يفترون) فلم يبق فى القيامة موحد ولا مشرك الا وقد رأى اللــه بمعنى عرفه رؤية ضرورية لا يمكنه انكارها ولا دفعها كما لا ينكر البصير انكار رؤية البدر المتجلى له وما زاد على هذا من عبارات شيخنا ، فهى من آثاره أوردها باعتباره ، وليس هى من هــذا الحــديث فى شىء ، وكأنها فى الأصل من العبارات

الصوفية التى ذكرها بعض شراح ديوان ابن الفارض فى القصيدة الخمرية ، فلينظر فيها •

وثانيها قوله : اذ لا يصح فى الآخرة فى الجنة أن يغفل عبد فيها من عبيده تعالى عن ذكره بعقله لحظة ، ولا أن يزيد عليه الحضور تارة ، وتنقض أخرى ، ولا أن يذكره تارة بصفة دون صفة ، ثم يذكره بعد حين بصفة أخرى ، لأن له فيها ما تتمنى نفسه ، ولا تتمنى شيئا قبل أن تتمنى حضورها مع الله ، وأن لا تغفل عن ذكرها طرفة عين ، لأنها هى أهم شىء معهم فى قلوبهم ، وهى أعظم مطلوبهم • انتهى •

وليس فى كتاب الله تعالى ، ولا فى الحديث عن رسوله صلى الله عليه وسلم ما يدل على هذا ، قال الله تعالى : (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون • هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون • لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون • سلام قولا من رب رحيم) ولم يقل أهل الجنة بغير الله ، لا يشتغلون ولا أنه فى الذكر له متبتلون ، ولا أنهم بذلك مخاطبون ، ولا أنه لا يمكن غفلتهم طرفة عين عن جميع صفاته تعالى ، ولا أنهم دائمون على التنعم بحضرات القدس بجميع الأسماء والصفات فى كل حالة ، ولو كان الأمر كذلك لجاء به معظم آيات القرآن ، لأنه أشرف الأشياء وأجلها عند الله ، وأعظمها قدرا ، ولكان ذكر غيره من الأنهار المطردة •

والأزواج المطهرة ، واللحوم الشهية ، والفواكه اللذيذة ، وما شبهها من النعم لا يذكر الا بعدها بحكم التبعية ولكن هذا ما لا دليل عليه البتة وانما هو من عبارات المتصوفة ، ومقالات الرهبان من النصارى ، كما وجدناه فى بعض الكتب الفرنسيسية ، محتجا بذلك على أن التزويج فى الجنة غير ممكن ، وان ذكر الأزواج فى القرآن ليس على

ظاهره ، لأنها لا ينبغى أن يكون محلا للشـــهوات ، وانما هى لكمال معرفة الله تعالى والانقطاع اليه ، ولكن هـذا باطل •

وجملة القول هاهنا أن الله غنى كريم ، وأن فضــل الله واسع عظيم ، وقد سبق فى وعــده الصادق ، وأن لكل أحــد فيها ما تشتهى نفســه ، وتلذ عينه ، فيجــوز أن تختلف منهم الشــهوات ، وتتنوع الارادات •

فمن كان همته فى الحضرات القدسية ، والواردات الالهية ، فهى هناك أتم وأكمل وأعظم وأجزل ، فما نحن بمنكرين لذلك ، أو شىء منه فى حق بعض المقربين ، وانما أنكرناه لزوم ذلك ، وعــدم امكان غيره هنالك ، لعــدم الدليل عليه ، ولأن ظاهر القرآن خلافه ، ولا يلتفت الى مقــالات المتصــوفين •

وثانيها قوله : ولولا لذة الرؤية للمؤمنين ما كانت الجنة جنــة ، وما كانت لذاتها مع الأولياء لذة • انتهى •

وهــذا أيضا لا دليل عليه ، والقول فيه كما ســبق ، وقد جرى الشيخ فى هــذه المسألة الى آخرها مع هــذا المنوال ، والقول فيه كله واحــد ، فلا حاجة الى تكرار المقــال ، وكفى به فى هــذا الموضــع ، والله أعــلم •

*** مســألة :**

ومنــه : فى المشبه اذا جسم ماذا عليه ؟

الجــــواب :

يختلف فيه : قيل : كافر نعمة ، وقيل : مشرك ، وأكثر القول أنه مشرك على هــذه الصــفة ، والله أعلم •

*** مسألة :**

ومنه : ما تقول أيجوز أن يقول الرجل : يعلم الله بعلمه أم لا ؟

الجواب :

قيل بجوازه ، وقيل بمنعه ، وقيل بجوازه لمن عرف حقيقة معناه ، والا فالمنع ، ويجوز القول بجوازه الا لمن يعتقد فيه معنى لا يجوز ، والله أعلم .

*** مسألة :**

ومنه : وما حقيقة معناه ، وما الذى لا يجوز الاعتقاد فيه من ذلك .

الجواب :

من اعتقد فيه أنه يعلم بعلم هو غيره ، فقد جعله محتاجا لغيره ، وجعله محتاجا للحوادث ، وهذا لا يجوز ، ومن عرف أن علم الله صفة من صفاته الذاتية ، وهى هو فليست هى غيره ، ولا هى شيئا زائدا عليه ، فالقول بذلك جائز ، ويكون سبيلها كسبيل القول بأنه يعلم بذاته لا غير ، والله أعلم .

*** مسألة :**

وهل يجوز أن يدعى الله تعالى يا نور بغير اضافة تفضل علينا بالجواب مأجورا ان شاء الله ؟

الجواب :

انى لا أحفظ فى ذلك شيئا ، ولا يعجبنى الا أن يكون بالاضافة ، فيقال يا نور السموات والأرض ، والله أعلم .

فانظر شيخنا فى هذا وذلك ، ثم لا تأخذ منه الا الحق .

فهـرس